نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

المتوفى ٧٣٣ هـ

الجزء الحادي والثلاثون

تحقيق

الدكتور نجيب مصطفى فوّاز و الدكتورة حكمت كشلي فوّاز

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

هو حسبي وكفى

ذكر أخبار السلطان الملك المنصور[1] سيف الدين قَلاوُون الألَفي الصالحي النجمي

وهو السابع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية: وهو من خالصة القفجاق[2] من قبيلة بُرْج أُغْلي. وكان مملوك الأمير علاء الدين أقسنقر الساقي العادلي. اشتراه بألف دينار، فعرف بالألفي. واتفقت وفاة أستاذه[3] في الأيام الصالحية، في يوم الجمعة، الثامن والعشرين، من شهر رجب، سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة، فارتجع إلى المماليك السلطانية[4] هو وجماعة من خشداشيته[5]، فهم يعرفون بالعلائية.

(١) ترجمته وأخباره في: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٤٨، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٣، والمواعظ والاعتبار للمقريزي، ج ٣، ص ٣٨٧، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٤٠٩، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ٩٢.

(٢) القفجاق: أو القبجاق: فرع من الترك مساكنهم الأصلية حوض نهر أرتش، وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر إثل (الفلجا) في جنوبي الروسيا الحالية، فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق كما عرفت به أيضاً دولة المغول المسماة باسم القبيلة الذهبية، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٣، ٣٨. والمقريزي: السلوك ج ١، ص ٦٦٣. وابن دقماق: الجوهر الثمين، ج ٢، ص ٥١.

(٣) الأستاذ في العصر التركي كان يستعمل ليشير إلى رب النعمة، إذ كان يطلقه المملوك على من جلبه، وهو طفل وتعهده، وقام بتربيته أو حرره، وقد أطلق أيضاً على الصانع على أن لقب الأسطى المعروفة في عصرنا الحاضر، والتي تطلق على بعض الصناع الحرفيين ما هي إلا تحريف للأستاذ والأسطى لقب فارسي هو أصل الأستاذ. د. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية.

(٤) المماليك السلطانية: كانوا فرقة واحدة مؤلفة من عدة فئات: هي الخاصكية، والمشتروات، والسيفية والقرانيص: فالخاصكية أقربهم إلى السلطان يليهم المشتروات أو الأجلاب، ثم القرانيص الذين هم مماليك السلاطين القدامى ثم السيفية التي عاش بدون أمل وهدف وهم مماليك الأمراء الذين قتلوا أو سجنوا وأسقطت عنهم الإمارة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٥، حاشية (٣).

(٥) جمع خشداش: وهو معرب اللفظ الفارسي خواجاتاشي أي الزميل في الخدمة، والخشداشية أو الخوشداشية أو الخجداشية، أو الخوجداشية في اصطلاح عصر المماليك عصر الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد فنبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة، يقابلها في الفرنسية Camarades. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٣٨٨، حاشية (٣)، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد =

وكان السلطان الملك المنصور هذا، في جملة البحرية الذين خرجوا من الديار المصرية، بعد مقتل الأمير فارس الدين أقطاي[١]، ثم تنقلت به الحال إلى هذه الغاية. ملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وما مع ذلك. وجلس على تخت[٢] السلطنة، بقلعة الجبل[٣]، في يوم الأحد، العشرين[٤] من شهر رجب الفرد، سنة ثمان وسبعين وستمائة. واستحلف الأمراء والمقدمين، ومن جرت العادة باستحلافه. وخُطِب له على المنابر، وكتب إلى دمشق، وإلى سائر الممالك يخبرهم بذلك. فوصل البريد إلى دمشق في الثامن والعشرين من الشهر. وساق بعض مماليك المنصور من باب الإسطبل السلطاني، بظاهر قلعة الجبل إلى دمشق، في يومين وسبع ساعات. وخلف الناس له بالشام. وخُطب له على منابر دمشق[٥]، في يوم الجمعة ثاني شعبان.

وكان من أول ما اعتمده السلطان عند جلوسه على تخت السلطنة، أنه أمر بإبطال زكاة الدولية[٦]، بالديار المصرية، وكانت قد أجحفت بالرعية. وأفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم[٧] الصالحي، ورتَّبه في نيابة السلطنة. فتولاها مدة يسيرة، ثم استعفى

= قنديل البقلي ص ١٢٠، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ٥١ ـ ٥٢. والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٩، حاشية (٦).

(١) هو أقطاي بن عبد الله الجمدار الصالحي النجمي التركي فارس الدين، توفي مقتولاً سنة ٦٥٢ هـ/ ١٢٥٤ م. ترجمته في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ج ٨، ص ٧٩٢ ـ ٧٩٣، وكنز الدرر لابن أيبك الدواداري، ج ٨، ص ٢٤ ـ ٢٦. والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٣٨٩ ـ ٣٩١، والمنهل الصافي لابن تغري بردي ج٢، ص ٣٠، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٢٥٥.

(٢) التخت: هو المقعد أو السرير الذي يجلس عليه السلطان في الديوان والمواكب ويقال له سرير الملك، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ٥.

(٣) قلعة الجبل: وهي على قطعة في الجبل، وتتصل بجبال المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة، وكان موضعها أولاً يعرف بقبة الهواء إلى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أو المملوك بالديار المصرية، في سنة ٥٧٢ هـ/ ١١٧١ م، وأصبحت من بعده دار الملك بديار مصر، انظر المواعظ والاعتبار للمقريزي . دار صادر ج ٢، ص ٢٠٢.

(٤) في الثاني والعشرين من رجب في تاريخ أبي الفداء، والمختصر في أخبار البشر ج ٧، ص ١٧. وفي حادي عشرين وقيل عشر شهر رجب في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٤٨.

(٥) «وخُطب بجامع دمشق للملك المنصور قلاوون وجوامع الشام بأسرها خلا مواضع يسيرة، ثم خطبوا بعد ذلك». النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٤٩.

(٦) زكاة الدولية: هي مال مقرر على كل مستخدم الدواليب (الآلات) في الري والغزل أو صناعة السكر. انظر المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٦٤، حاشية (٢).

(٧) هو عز الدين أيبك بن عبد الله الأفرم الكبير الصالحي توفي سنة ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٥ م. ابن دقمان: الجوهر الثمين، ج ٢، ص ٦٨.

منها فأعفاه، وفوّض نيابة السلطنة بعده، لمملوكه الأمير حسام الدين طرنطاي[(١)] بن عبد الله المنصوري الأمير [الكبير][(٢)]، وذلك في يوم السبت الثالث والعشرين من شهر رمضان من السنة. وأقر الصاحب برهان الدين[(٣)] السنجاري على الوزارة، ورتب مملوكه الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في شد الدولة.

وكان أول ركوب السلطان الملك المنصور بشعار السلطنة، في يوم السبت الثالث من شعبان. وكتب إلى الأمير [شمس الدين][(٤)] سُنْقَر الأشقر[(٥)] بركوبه. والكتاب بخط القاضي تاج الدين بن الأثير[(٦)]، جاء منه:

ولا زالت أيامه بمحابّها تهنى، وترى من النصر ما كانت تتمنى، وتتأمل آثارها فتملأها حسناً. وتشاهد من أماير الظفر ما يوسع على العباد أمناً. ويستزيد الحمد على ما وهب من الملك، الذي أولى كُلاً مِنّا منّا.

المملوك يهدي من لطيف أنبائه، ووظائف دعائه، وما استقر من عوارف الله لديه، وما حباه به من النعم، التي ملأت يديه، ما يستروح بنسيمه؛ ويستفتح لسان الحمد بتقديمه، وتزداد به مسرة نفسه وابتهاجها، وتزدان عقود السعود، وإنما يزين اللآلىء في العقود ازدواجها، وتقوى به قوى العزائم، وتمثله الأعداء في أفكارها، فتكاد تجر ذيول

---

(١) هو حسام الدين أبو سعيد طرنطاي بن عبد الله المنصوري توفي سنة ٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠ م تحت العقوبة في أيام الأشرف خليل بن قلاوون. ترجمته في الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ٣٢٣. وفي البداية والنهاية ج ١٣، ص ٣٣٦، واسمه حسام الدين (طرقطاي).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٢٣. اعتمدنا في منهجيتنا على استكمال النواقص في الإضافات التي لم ترد في طبعة الهيئة المصرية العامة ١٩٩٢. في الأجزاء الآتية: (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١).

(٣) هو الخضر بن الحسن بن علي السنجاري برهان الدين توفي سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧ م. العيني: عقد الجمان حوادث سنة ٦٨٦ هـ. وانظر أيضاً المنهل الصافي لابن تغري بردي، ج ٣، ص ٤٨٨، حاشية (٥).

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٥٢.

(٥) هو شمس الدين سنقر الأشقر الصالحي النجمي «نيابة دمشق» قتل في دولة الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢ م. ابن دقماق: الجوهر الثمين ج ٢، ص ٥٤، انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٤٤ ـ ٢٥٠، وج ٨، ص ٣١.

(٦) هو تاج الدين (أو نجم الدين) أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد. ابن الأثير الحلبي الأصل القاهري، تولى ديوان الإنشاء بمصر أيام الأشرف خليل بن قلاوون بعد وفاة القاضي فتح الدين بن محيي الدين بن عبد الظاهر. توفي ابن الأثير المذكور سنة ٧٣٧ هـ. الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٩٧. سماه المقريزي «عماد الدين» في السلوك، ج ١، ص ٦٦٤.

العزائم، وتبعث الآمال على تمسكها بالنصر، وتظهر منه المحاب التي لو قصدت الأقلام لحصرها، لعجزت عن الحصر. وهو أن العلم الكريم، قد أحاط بالصورة التي استقرت، من دخول الناس في طاعة المملوك، واجتماع الكلمة عليه، واستقلاله بأمر السلطنة المعظمة.

ولما كان يوم السبت، الثالث من شعبان المبارك، سنة ثمان وسبعين وستمائة، ركب المملوك بشعار السلطنة، وأبهة الملك؛ وسلك المجالس العالية، الأمراء والمقدمون والمفاردة[(١)] والعساكر المنصورة، من آداب الخدمة، وإخلاص النية، وحسن الطاعة كلّ ما دلّ على انتظام الأمر واتساق عقد النصر.

ولما قضينا من أمر الركوب وطراً[(٢)]، وأنجزنا للأولياء وعداً من السعادة منتظراً، عدنا إلى قلعة الجبل المحروسة، والأيدي بالأدعية الصالحة لنا مرتفعة، والقلوب على محبة أيامنا مجتمعة، والآمال قد توثقت بالعدل واستمراره، والأبصار قد استشرفت من التأييد مطلع أنواره. وشرعنا من الآن في أسباب الجهاد، وأخذنا في كل ما يؤذن، إن شاء الله تعالى، بفتح ما بأيدي العدو من البلاد. ولم يبق إلا أن تتثنى الأعنة[(٣)] وتسدد الأسنة، ويظهر ما في النفوس، من مضمرات المقاصد المستكنة.

[ورسمنا][(٤)] بأن تزين دمشق المحروسة، وتضرب البشائر في البلاد، وأن يسمعها كل حاضر وباد، والله تعالى، يجعل أوقاته بالتهاني مفتتحة، ويشكر مساعيه، التي ما زالت في كل موقف ممتدحة، إن شاء الله تعالى، والحمد لله وحده.

ذكر عزل الصاحب بُرهان الدين السِّنجاري[(٥)] عن الوزارة، وتفويضها للصاحب فخر الدين إبراهيم بن لُقمان وغير ذلك

وفي هذه السنة، في السادس والعشرين، من شهر رمضان، عزل السلطان، الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري عن الوزارة، ولزم مدرسة أخيه قاضي القضاة بدر الدين، بالقرافة الصغرى. واستوزر السلطان بعده، الصاحب فخر الدين إبراهيم بن

---

(١) المفاردة: مفردها مفردي: وهي فئة تشكل جانباً من الحلقة السلطانية والحلقة لفظ يطلق على جند السلطان الأيوبي. وظلت كذلك في أوائل عصر المماليك. انظر Dosy. supp. dict. Ar.

(٢) وطراً: قضيت من أمر كذا وطري أي حاجتي. ابن منظور: لسان العرب (وطر).

(٣) مفردها عنان: السير الذي تمسك به الدابة أعنّ اللجام: حصل له عناناً. ابن منظور: لسان العرب (عنن). الفيروزأبادي: القاموس المحيط (عنن) وبطرس البستاني محيط المحيط.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٥٣.

(٥) تقدمت ترجمته.

لقمان. [صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية][١].

وفيها، في شعبان، رسم السلطان بإعفاء تقي الدين توبة التكريتي بيع[٢] الخزانة بدمشق، من هذه الوظيفة؛ وأن يسامح بما عليه من البواقي[٣]. وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق فباشرها، واستمر إلى خامس شوال منها. ثم فوض إليه وزارة الشام، وخلع عليه خلع الوزارة.

وفيها، في أواخر شوال، حضر الأمير عز الدين أيدمر الظاهري، من دمشق، تحت الاحتياط، وجرد معه جماعة، [فلما وصل إلى قلعة الجبل اعتقل بها][٤].

وفيها، فوض السلطان نيابة قلعة دمشق لمملوكه الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار[٥]، وهو المعروف بلاجين الصغير، فوصل إليها وسكنها، وذلك في العشرين من ذي الحجة من هذه السنة، فتخيل منه الأمير شمس الدين سُنْقَر الأشقر، نائب السلطنة بالشام. وكان من خروجه عن طاعة السلطان، وسلطنته بدمشق ما نذكره.

وقد رأينا أن نذكر أخباره[٦]، وما كان من أخبار أولاد السلطان الملك الظاهر بالكرك في هذا الموضع إلى آخر أخبارهم، ليكون ذلك سياقه. ثم نذكر الغزوات والفتوحات في الأيام المنصورية بجملتها، على توال واتساق. بمقتضى ما يقدمه التاريخ، ثم نشرح بعد ذلك حوادث السنين، وما وقع فيها من الولاية والعزل والأخبار، والوفيات، إلى انقضاء الدولة، على ما نقف على ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعه.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٤٩.

(٢) ورد في السلوك للمقريزي ج ١، ص ٦٦٥ «وأعفى تقي الدين توبة التكريتي من البواقي، وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق».

(٣) البواقي: لفظ اصطلاحي كان يطلق على ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين في مال الخراج. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٦٦٥، حاشية (٣).

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٥٩.

(٥) السلاح دار: هو المنوط بحمل سلاح السلطان، والأمير الذي هو في خدمته ومن وظيفته أيضاً الإشراف على السلاح خاناه، وما هو من توابع ذلك ولفظ السلاح دار مركب من كلمتين أولاهما: عربية ومعناها آلة القتال، والثانية فارسية: ومعناها ممسك ويكون المعنى ممسك السلاح، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص ٤٣٤، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي ص ١٨٢.

(٦) منهج النويري هو سرد ما وقع من الأحداث في داخل المملكة ثم ذكر ما جرى من الغزوات والفتوحات مع مراعاة الترتيب الزمني ثم ذكر بعد ذلك حوادث السنين، وما وقع فيها من الولاية والعزل، والوفيات إلى انقضاء الدولة المنصورية، وهذا لم يختلف عن ابن الفرات إلا في ترتيب الأحداث.

ذكر أخبار الأمير شمس الدين سُنْقَر الأشقر وخروجه عن طاعة السلطان، وسلطنته بدمشق، وما كان من أمره إلى أن عاد للطاعة، ورجع إلى الخدمة السلطانية

قد قدمنا أن السلطان الملك المنصور، في زمن أتابكيته(١)، في سلطنة الملك العادل [بدر الدين](٢) سُلامش(٣). جهزه إلى الشام، نائباً عن السلطنة بدمشق، وكان قد نقل الأمير جمال الدين أقش الشمسي من دمشق إلى نيابة السلطنة بحلب. فلما ملك السلطان الملك المنصور، واستقر بالسلطنة، خطر ببال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، أن يستبد بسلطنة الشام، ويصير الأمر على ما كان عليه في أواخر الدولة الأيوبية. فجمع الأمراء الذين عنده، وأوهمهم أن الأخبار وصلت إليه، أن السلطان الملك المنصور قد قتل، وهو يشرب الخمر(٤). ودعاهم إلى طاعته، واستحلفهم لنفسه. فأجابوه، وحلفوا له، وتقلب بالملك الكامل، وركب بشعار السلطنة، [وأبَّهة الملك](٥)، بدمشق، وذلك في الرابع والعشرين من ذي الحجة(٦) سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة. وفي الوقت، قبض على الأمير حسام الدين لاجين المنصوري، نائب السلطنة بقلعة دمشق، وعلى الصاحب تقي الدين توبة [التكريتي](٧)، وجهز الأمير سيف الدين بلبان الحبيشي، إلى سائر الممالك الشامية والقرع، ليحلفَّ من بها من النواب وغيرهم. [ويولي فيها من جهته من

(١) الأتابك: لفظ مؤلف من الكلمتين التركيتين: «أتا» بمعنى الأب، والشيخ المحترم لسنه، واللقب التركي «بك» بمعنى الأمير. وهو في الاصطلاح: مربي الأمير، ومدبر المملكة. ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب «أتابك العساكر». وكان سلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) يطلقون لفظ «أتابك أو أطابك على كبير أمرائهم. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨ وانظر أيضاً الألقاب الإسلامية لحسن باشا ص ١٢٢، وتأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل لأحمد السعيد سليمان، ص ١٢، ودائرة المعارف الإسلامية.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٦٢.

(٣) ترجمته وأخباره في: السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٥٦، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ٩٠، وبدائع الزهور لابن إياس ج ١، ص ٣٤٦ وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٤١١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٤٣.

(٤) في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٢ «القمز» والقمز: نبيذ يعمل من لبن الخيل، واللفظ تتري الأصل، وقد كان الظاهر بيبرس شغفاً بهذا النوع من الشراب. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٦٠٧.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٦٢.

(٦) «في يوم الجمعة رابع عشرين ذي القعدة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٤٩.

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١/٣، ص ٦٧١.

يريد][(١)]، واستوزر الصدر مجد الدين أبا الفداء إسماعيل بن كُسَيْرات [الموصلي][(٢)]، وجعل وزير الصحبة الصدر عز الدين أحمد بن مُيسّر المصري[(٣)]، وانتقل بأهله من دار السعادة، التي يسكنها نواب السلطنة [بدمشق][(٤)]، إلى القلعة، وأمر عند انتقال أهله، بغلق باب النصر، وفتح باب سر القلعة، المقابل لدار السعادة[(٥)] بجوار باب النصر، ففعلوا ذلك. فتطاير الناس له بأشياء، وقالوا: أغلق باب النصر، وانتقل من دار السعادة، وسكن القلعة، وولى وزارته ابن كسيرات، فهذا لا يتم أمره، وكان كذلك[(٦)].

ذكر التقاء العسكرِ المصري والعسكر الشامي، وانهزام عسكر الشام، وأَسْر عدد من أمرائِهِ في المرة الأولى

كان السلطان الملك المنصور، قد جهّز الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك [على سبيل الإرهاب][(٧)]، عندما بلغه وفاة الملك السعيد، على ما نذكر ذلك، إن شاء الله. فبلغ الأمير شمس الدين سُنْقَر الأشقر، أنه خرج من الديار المصرية، في طائفة من عساكرها، فظن أنه يقصده. فكتب إليه ينهاه عن التقدم، ويقول: «إنني مهدت الشام، وفتحت القلاع، وخدمت السلطان، وكان الاتفاق بيني وبينه، أن أكون حاكماً على ما بين الفرات والعريش، فاستناب أقوش[(٨)] الشمسي بحلب، وعلاء الدين الكبكي بصفد، وسيف الدين بلبان الطباخي بحصن الأكراد. وآخر الحال أن يسيّر إليّ من يقصد مسكي».

واتبع سُنْقَر الأشقر كتابه، بتجريد العساكر، فلما وصل الكتاب إلى الأمير عز الدين الأفرم، كتبت مطالعة[(٩)] إلى السلطان، وجهَّز الكتاب الذي أرسله سنقر

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٢.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٢.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٢.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٢.
(٥) دار السعادة: هي دار العدل التي أنشأها في دمشق قريباً من باب النصر قبلي قلعة دمشق الشهيد محمود بن زنكي، واشتهرت في عصر المماليك بدار السعادة. وموضعها اليوم قبلي سوق الأروام، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، وكانت دار السعادة مسكناً لنواب السلطنة بدمشق. ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٢.
(٦) عبارة النويري مشابهة تماماً لما يقابلها في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٧١.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٧.
(٨) يرد هذا الاسم برسم أقش أيضاً.
(٩) مطالعة: المكاتبة الرسمية. انظر قوانين الدواوين لابن مماتي ص ٣٣٠ Dosy. supp. Dict. Ar.

[الأشقر][١] عطفها[٢]. فكتب السلطان إلى الأمير شمس الدين سُنقر الأشقر، وكتب إليه أيضاً الأمراء خوشداشيته، يقبحون عليه فعله، ويحضونه على الرجوع إلى الطاعة. وتوجه بالكتب الأمير سيف الدين بلبان الكريمي العلائي خوشداشه[٣]، فوصل إلى دمشق في ثامن المحرم سنة تسع وسبعين وستمائة. فخرج إليه سُنْقَر الأشقر، وتلقاه وأنزله عنده، بقلعة دمشق وأكرمه، ومع ذلك لم يصغ إلى قوله، ولا رجع إلى ما أشار به خوشداشيته.

قال: ولما وصل كتاب سنقر الأشقر إلى الأمير عز الدين الأفرم، رجع إلى غزة. وعاد الأمير بدر الدين الأيدمري من الشوبك، بعد أخذها، على ما نذكره، إن شاء الله تعالى، فاجتمعا على غزة[٤].

وجمع سنقر الأشقر العساكر، من حلب وحماه وحمص. استدعى علي الكبكي من صفد، والعربان من البلاد، وجهّز جماعة من عسكر الشام، وقدم عليهم الأمير شمس الدين قراسُنْقُر المعزي، فتوجه إلى غزة. والتقوا هم والعسكر المصري. فانكسر عسكر الشام، وأسر جماعة من أعيان الأمراء، منهم بدر الدين كنجك الخوارزمي، وبهاء الدين كجك الناصري، وناصر الدين باشقرد الناصري، وبدر الدين بيليك الحلبي، وعلم الدين سنجر التكريتي، وسنجر [البدري][٥]، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون، وسُيِّروا إلى السلطان، فأحسن إليهم، وخلع عليهم، ولم يؤاخذهم.

ذكر تجريد العساكر إلى دمشق، وحرب سُنقر الأشقر وانهزامه وإخلائه دمشق، ودخول العسكر المصري إليها

قال: ولما وصل خبر الكسرة، إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، المنعوت بالملك الكامل، بدمشق، أخذ في الاهتمام وجمع العساكر. وكتب إلى الأمراء الذين بغزة، [من جهة الملك المنصور][٦]، يعدهم ويستميلهم، وعين لكل منهم قلعة. وعسكر بظاهر دمشق، فجرَّد السلطان، الأمير علم الدين سنجر الحلبي، والأمير بدر

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٨.

(٢) عطف: أي أرفق لكتاب، الفيروزأبادي: القاموس المحيط (عطف).

(٣) خوشداشة:تقدم التعريف به.

(٤) لم يذكر النويري اسم المؤرخ الذي أخذ عنه، ولكن ما أورده النوري نجده مفصلاً في كتاب ابن الفرات.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٨.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٦٩.

الدين بكتاش الفخري أمير سلاح، بالعساكر ومن معهما من مضافيهما. فاجتمعا بالأميرين عز الدين الأفرم، وبدر الدين الأيدمري ومن معهما. وساروا، والمقدم عليهم الأمير علم الدين سنجر الحلبي.

وكان سنقر الأشقر، قد برز من قلعة دمشق، بعساكر الشام في ثاني عشر صفر، سنة تسع وسبعين وستمائة، ونزل بالجُسُورة، ووصل العسكر المصري إلى الكسوة. وترتبت الأطلاب(١) وتقدمت. والتقى العسكران بالجُسُورة(٢)، في خامس عشر(٣) الشهر. وعند اللقاء انهزم عسكر حماه والعسكر الحلبي. وانحاز جماعة من الشاميين إلى العسكر المصري. وحمل [سنجر](٤) الحلبي على سنقر الأشقر، فانهزم لوقته. وصحبه من الأمراء الأخصاء به، الأمير عز الدين ازدمر الحاج. والأمير علاء الدين الكبكي، والأمير شمس الدين قراسنقر المعزي، والأمير سيف الدين بلبان [الحبيشي](٥). وكان سنقر الأشقر(٦) من عشية يوم الجمعة، ثالث عشر صفر، قد جهز أولاده، وحريمه إلى صهيون. فلما انهزم توجه به العرب إلى الرحبة(٧)، وكان من خبره ما نذكره.

قال: ولما انهزم سنقر الأشقر غلقت أبواب المدينة، مخافة أن ينهبها العسكر المصري، وامتنعت القلعة أيضاً. ونزل الأمير علم الدين الحلبي بالقصر الأبلق، بالميدان الأخضر، وبات العسكر حوله إلى اليوم الثاني. فجاء الأمير سيف الدين الجوكندار(٨)،

---

(١) الأطلاب: فرق الجيش وكتائبه. ويقول ابن إياس أن هذا اللفظ ظهر في أيام صلاح الدين الأيوبي، ويذكر المقريزي أن «الطلب» في لغة الغز هو أمير له لواء، وبوق ومائتا فارس إلى مائة إلى سبعين «محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٦.

(٢) الجُسُورة: موضع بظاهر دمشق. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٥١، حاشية (٢).

(٣) وقيل يوم الاثنين سابع عشر، وقيل يوم الأربعاء تاسع عشر صفر» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٥١، حاشية (٣). وذكر المقريزي في السلوك ج١، ص ٦٧٦، تاريخ التاسع عشر من صفر.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧٠.

(٦) يشير ابن الفرات ج ٧، ص ١٦٩ ـ ١٧٠. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج ٧، ٢٥١ إلى من قدم إلى سنقر الأشقر من أمراء العرب مثل: الأمير أحمد بن حجي ملك العرب بالبلاد القبلية والأمير عيسى بن مُهنا ملك العرب بالبلاد الشرقية والشمالية وهو الذي لازم خدمته وحربه بعد أن انهزم. ونزل به ويمن معه على الرحبة. والرحبة قرية من قرى دمشق. ياقوت الحموي: معجم البدان، ج ٣، ص ٣٨.

(٧) مدينة دمشق: ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧١.

(٨) الجوكندار: ويرسم أيضاً الجوكان، والجوكندار: وهو لقب الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة، وهو مركب من لفظين فارسيين، أحدهما: جوكان، وهو المحجن الذي تضرب به الكرة =

وهو نائب القلعة، من جهة الأمير شمس الدين سُنْقَر الأشقر، إلى الأمير ركن الدين بيبرس العجمي الجالق، والأمير حُسام الدين لاجين المنصوري، والصاحب تقي الدين توبة، وهم في الاعتقال بالقلعة، وحلَّفهم أنهم لا يؤذونه إذا أخرجهم، ولا يؤذون أحداً من مستخدمي(١) القلعة، وأمنوا الناس. وكان الأمير علم الدين الحلبي قد نادى ظاهر دمشق بالأمان، ثم فتح الأمير حسام الدين [لاجين](٢) المنصوري(٣) باب الفرج، ووقف عليه، ومنع العسكر المصري من الدخول [إلى المدينة](٤) خوفاً أن يشعثوا(٥). ثم نودي بإطابة قلوب الناس، وأمر بالزينة ودق البشائر.

وكتب الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبي، إلى السلطان بالنصر. وسير الأمراء الذين قبض عليهم، فأحسن إليهم، ولم يؤاخذهم. وتوجه بالبشائر إلى السلطان الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، أمير سلاح، فأنعم السلطان عليه. وأمَّره بعشرة طواشية(٦)، ثم كان من أمر دمشق وأخبار أهلها، وما استقر من أمر النيابة بها، ما نذكره إن شاء الله تعالى، في حوادث السنين.

ذكر توجه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى صِهْيَوْن(٧) وتحصنه بقلعتها

قال: لما انهزم الأمير شمس الدين المشار إليه، من دمشق، كما تقدم توجه إلى

= ويعبر عنه بالصولجان أيضاً. والثاني: دار، ومعناه الممسك. فيكون المعنى: ممسك الجوكان. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٨.

(١) و«المستخدمين بالقلعة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧١.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح، حاشية الطبعة المصرية.

(٣) لاجين: اسم تركي بجيم تحتها ثلاث نقط، ويكتبها بعضهم لاشين بحرف الشين أي كما تلفظ الجيم التركية ذات النقط الثلاث. انظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا، ج ٧، ص ١٦. وحسام الدين هذا يعرف بلاجين الصغير مات سنة ٧٢٩ هـ/١٣٢٨ م. انظر البداية والنهاية لابن كثير، ج ١٤، ص ١٥٣.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧١، حاشية الطبعة المصرية.

(٥) «يشغبوا»: في ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧١.

(٦) الطواشية: والمفرد طواشي، ويقصد هنا الجندي الفارسي. ويتقاضى راتباً يتراوح بين ٧٠٠ و١٠٠٠ دينار، ويصل أحياناً إلى ١٢٠ ديناراً. وله برك، وغلام يحمل سلاحه في الحرب. انظر المواعظ والاعتبار: المقريزي طبقة بولاق، ج ١، ص ٨٦.

(٧) صِهْيون: بكسر أوله ثم السكون. حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص وهي قلعة حصينة في طرف جبل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٩٦.

الرحبة، ففارقه أكثر من كان معه، وامتنع الأمير موفق الدين خضر الرحبي، النائب بقلعة الرحبة، من تسليمها إليه. فعند ذلك كاتب أبغا بن هولاكو(١)، ملك التتار، يعرفه بما وقع بين العساكر الإسلامية من الاختلاف، وحثه على قصد البلاد بجيوشه، ووعده الانحياز(٢) إليه، والإعانة والمساعدة على ذلك وكتب إليه(٣)، الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، بمثل ذلك وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

قال: وكان سنقر الأشقر، لما تغلب على الشام، كاتب نواب القلاع، فمنهم من أطاعه، ومنهم من امتنع عليه. وكان ممن أطاعه، نائب صهيون وبُرزية(٤) وبلاطُنُس والشغر(٥) وبكَّاس، وشيزر وعكار(٦) وحمص. فلما انهزم سنقر [الأشقر](٧)، جرَّد السلطان خلفه جيشاً صحبة الأمير حسام الدين [يتمش](٨) بن أطلس خان. فبادر هو، وعيسى بن مهنا، بالهرب إلى صهيون، وذلك في جمادى الأولى(٩) من السنة المذكورة. وعاد ابن أطلس خان ومن معه، واستمر سنقر الأشقر بصهيون.

ذكر انتظام الصلح بين السلطان الملك المنصور، وبين سُنْقَر الأشقر، وما استقر بينهما، وانتقاض ذلك، وأخذ صِهْيون منه

وفي سنة ثمانين وستمائة، انتظم الصلح بين السلطان الملك المنصور، والأمير

---

(١) هو أبغا بن هولاكو بن تولي بن جنكيزخان. توفي سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١ م. ترجمته في المختصر في أخبار البشر لابن الفدا، ج ٤، ص ١٦، والوافي بالوفيات للصفدي، ج ٦، ص ١٨٧، والدليل الشافي لابن تغري بردي ج ١، ص ٣٣، والمنهل الصافي لابن تغري بردي ج ٢، ص ١٨٥ ـ ١٨٧. والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٩٤.

(٢) في الأصل الإنجاز: والتصحيح من ابن الفرات، ج ٩، ص ١٧. نشير هنا إلى أن هذه الحاشية وبعض الحواشي التي يُعتمد فيها على الأصل والواردة في الأجزاء ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١ هي من عمل المحقق.

(٣) المقصود هنا أبغا.

(٤) برزية: حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق والاسم برزُويه والعامة تقول برزيه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥٦.

(٥) في الأصل الشعرة. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧٢، والسلوك للمقريزي: ج ١، ص ٦٨٧.

(٦) في الأصل: عكاره، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧٢، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٧ عكار.

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧٢.

(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧٢.

(٩) في الأصل الأول.

شمس الدين سنقر الأشقر. وذلك أن السلطان جرَّد الأمير عز الدين أيبك الأفرم، والأمير علاء الدين كشتغدي[١] الشمسي إلى شيزر، فترددت الرسائل بين السلطان وبين سنقر [الأشقر][٢]، وطلب منه تسليم شيزر، فطلب منه الشغر وبكَّاس، [وكانتا قد أخذتا منه][٣]، وطلب معهما فامية، وكفرطاب وأنطاكية، وبلادها، [فأجيب إلى ذلك][٤]. وتقرر أن يقيم شمس الدين سنقر الأشقر، على هذه البلاد، وعلى ما بيده قبل ذلك من البلاد، [وهي صِهْيون وبلاطُنُس واللاذقية بستمائة فارس][٥]، لنصرة الإسلام[٦]، وأن الأمراء الذين معه، [إن أقاموا عنده][٧]، يكونون من أمرائه، وإن حضروا إلى السلطان يكونون آمنين، ولا يؤاخذون.

وحضر عنده الأمير علم الدين سنجر الدواداري، [بنسخة اليمين على ما تقرر][٨]، فحلف السلطان على ذلك. وكتب له تقليداً بالبلاد، وسأل سنقر الأشقر أن ينعت بلفظ الملك، [فلما أجاب السلطان إلي ذلك، ونعت بالإمرة][٩]. وسير السلطان، الأمير فخر الدين أياز المقري الحاجب فخلَّفه، وسير إليه السلطان من الأقمشة والأواني والأنعام شيئاً كثيراً. وانتظم الصلح والاتفاق. وحضر مع السلطان في مصاف[١٠] حمص، وعاد

---

(١) في الأصل كشغدي: والتصحيح من السلوك للمقريزي، ج ١، ص،٦٨٧.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٠٩، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص،٦٨٧.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٠٩، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٧.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٩.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٩.

(٦) في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧. ورد ما يأتي: «وصدره انتظم الصلح عليه أن سنقر الأشقر يرفع يده عن شيزر ويسلمها إلى نواب الملك المنصور قلاوون وعوّضه قلاوون عنها فامية وكفرطاب وأنطاكية والسويدية وبكاس ودركوش بأعمالها كلها وعدة ضياع معروفة، وأن يقيم على ذلك وعلى ما كان استقر بيده عند الصلح، وهو صهيون بلاطُنس وحِصن برزة وجبلة واللاذقية بستمائة فارس لنصرة الإسلام.

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٩.

(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٩، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٨.

(٩) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٩، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٨.

(١٠) في الأصل مصنف. والصواب مصاف. وفي هذه السنة أي سنة ٦٨٠ هـ، اشترك سنقر الأشقر مع السلطان المنصور قلاوون في قتال التتار في حمص في يوم الأحد ثالث عشر في شهر رجب. وكان السلطان قد أرسل سنقر الأشقر بالحضور إليه بمن معه من الأمراء والعساكر. ووصلت التتار إلى =

إلى صهيون على ما نذكره إن شاء الله تعالى؛ واستمر ذلك إلى سنة أربع وثمانين وستمائة.

فلما حضر السلطان لحصار المَرْقَب[1]، وهي بالقرب من صهيون، لم يحضر الأمير شمس الدين إلى خدمة السلطان. فتنكر السلطان لذلك، وحنق عليه بسببه. وأرسل سنقر الأشقر ولده ناصر الدين صمغار إلى خدمة السلطان يتلافى ذلك، فمنعه السلطان من العود إلى والده، واستمر إلى سنة ست وثمانين وستمائة. فجرد السلطان نائبه بالديار المصرية، الأمير حسام الدين طرنطاي، إلى صهيون، في جماعة كثيرة من العساكر، فنازلها، وراسله في تسليمها، وذكر له مواعيد السلطان له، فامتنع من ذلك، فضايقه، ونصب المجانيق حتى أشرف على أخذ حصن صهيون عنوة. فلما رأى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ذلك، أرسل في طلب الأمان والأيمان. فحلف له الأمير حسام الدين طرنطاي، إن السلطان لا يضمر له سوءاً. فنزل إلى الأمير حسام، وسلَّم إليه الحصن. فأخبرني من ذكر أنه شهد كيف كان نزوله إليه، وما عامل كل منهما الآخر به، فقال: بينما الأمير حسام الدين جالس في خيمته، إذ قيل له، هذا الأمير شمس الدين قد جاء. فوثب وأسرع المشي، وخرج إليه وتلقاه، فترجل الأمير شمس الدين. وخلع الأمير حسام الدين قباء كان عليه، وبسطه على الأرض، ليمشي الأمير شمس الدين عليه. فرفعه الأمير شمس الدين عن الأرض، وقبَّله ولبسه، فأعظم الأمير حسام الدين طرنطاي ذلك، وعامل الأمير شمس الدين بأتمّ الخدمة وغاية الأدب، ورتَّب في الحصن نائباً ووالياً ورجَّالة. وسار هو والأمير شمس الدين إلى الديار المصرية. فلما قرب من قلعة الجبل، ركب السلطان وولداه الملك الصالح علاء الدين علي، والملك الأشرف صلاح الدين خليل، وأولاد الملك الظاهر، والعساكر. وتلقاه الأمير شمس الدين وتعانقا، وطلعا إلى القلعة، وحمل السلطان إليه الخلع والأقمشة والحوائض الذهب والتحف، وساق إليه الخيول، وأمَّره بمائة فارس، وقدَّمه على ألف. واستمر في الخدمة السلطانية، من أكابر أمراء الدولة.

= حمص في يوم الخميس رابع عشر شعبان فركب الملك المنصور بعساكره وصافف العدو والتقى الجمعان عند طلوع الشمس، وكان عدد التتار على ما قيل مائة ألف فارس أو يزيدون، وعسكر المسلمين على مقدار النصف من ذلك أو أقل. وعظم القتال بين الفريقين. التفاصيل في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٤.

(١) المرقب: بلد وحصن بساحل الشام بينه وبين أنطرسوس ثمانية أميال، وكان حصن المرقب من الحصون المشهورة بالمنعة والحصانة وقد بقي بيد فرسان الاسبتارية من الفرنجية، وكان هؤلاء الفرسان الرهبان قد انحازوا إلى المغول، وذهبوا إلى حد القتال إلى جانبهم ضد المسلمين. وهكذا فقد كان تصميم المنصور قلاوون أن يأخذ هذا الحصن مهما كلّف الأمر، وأن يجعل الفرنجة يدفعون ثمن انحيازهم إلى المغول. انظر تشريف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر، ص ٨٥ ـ ٨٦.

فهذا ما اتفق له، في خروجه وعوده على سبيل الاختصار. ثم كان من أخباره بعد ذلك، ما نذكره إن شاء الله تعالى في مواضعه. فلنذكر حال الملك السعيد وأخيه المسعود.

ذكر خبر الملك السعيد[١] وما كان من أمره بالكرك واستيلائه على الشوبك واستعادتها منه

قال المؤرخ[٢]: لما توجه الملك السعيد إلى الكرك، كان السلطان الملك المنصور، قد شرط عليه، أنه لا يكاتب الأمراء، ولا يفسد العساكر، ولا يتطرق إلى غير الكرك. فلما استقر بها حركة مماليكه، وحسَّنوا له التطرق إلى الحصون وأخذها، أولاً فأولاً، فوافقهم على ذلك. وكاتب النوّاب وسيّر الأمير حُسام الدين لاجين، رأس نوبة الجمدارية[٣]، إلى الشوبك، فتغلب عليها، وأقام بها. فكاتبه السلطان الملك المنصور، ونهاه فلم ينتهِ، فجرد الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري إلى الشوبك، فنزل عليها، وضايق أهلها، وتسلّمها في العاشر من ذي القعدة سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة، ورتّب بها نائباً وعاد عنها.

ذكر وفاة الملك السعيد، وقيام أخيه الملك المسعود خضر مقامه بالكرك

[قال][٤]: وفي سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة، ركب الملك السعيد، إلى الميدان

---

(١) هو محمد بركة خان ابن الملك الظاهر ركن الدين أبي سعيد بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي ويلقب ناصر الدين وينعت بالملك السعيد صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية، وهو الخامس من ملوك الترك ممن ملك الديار المصرية في الدولة التركية ولي الحكم في المحرم من سنة ٦٧٦ هـ. ترجمته وأخباره في: السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٤١، والخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار) ج ٢، ص ٢٣٨ (دار صادر). والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ٨٥. وبدائع الزهور لابن إياس ج١، ص ٣٤٢، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٣٦٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٢٣. ومعجم الأنساب والأسرات لزامباور ص ١٦٢.

(٢) لم يذكر النويري عنوان الكتاب الذي أخذ عنه ولا صاحبه. ولكنه يلجأ إلى تلخيص الرواية بينما ابن الفرات يفصّل الأحداث.

(٣) الجمدارية: الجمدار: موظف يتصدى لإلباس الأمير ثيابه، هي كلمة فارسية مركبة في لفظين: أحدهما: جاما، ومعناه الثوب. والثاني: دار ومعناه ممسك أي ممسك الثوب، وأصل الكلمة جامادار. فحذفت الألف بعد الجيم، وبعد الميم استثقالاً فقيل جمدار. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٩ الطبعة المصرية. ومحمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٩٠.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٦.

بالكرك، ولعب بالكرة، فتقَنْطَر على فرسِهِ، فصدع وحُمَّ أياماً قلائل[١] فمات[٢]. وكانت وفاته، رحمه الله تعالى، في ثالث عشر[٣] ذي القعدة، من السنة.

وعمل السلطان الملك المنصور له عزاء، بقلعة الجبل، في الثاني والعشرين من الشهر. وحَضَرَه وعليه ثيابُ البياض، وحَضَرَ الأمراء والقضاة والعلماء، والوعّاظ. ولما تُوفي صُبِّر، ووُضع في تابوت مدة، ثم حُمل إلى التربة الظاهرية بدمشق، وذلك في سنة ثمانين وستمائة، ووصَلَت والدته إليها في ثامن عشرين شهر ربيع الآخر، والسلطان الملك المنصور يوم ذاك بالشام. فأدخل التربة الظاهرية ليلاً في تابوت، ولم يدخلوا به من باب المدينة، وإنما رفعوا تابوته من أعلى السور، ودلّوه من الجانب الآخر، ووضع في قبره، وألحده القاضي عز الدين بن الصائغ، كما ألحد والده.

وحضر السلطان الملك المنصور في بكرة دفنه إلى التربة الظاهرية، ومعه القُضاة والعُلَماء والقُرّاء والوعّاظ، وأظهر الحزن عليه، وذلك في سلخ شهر ربيع الآخر. ومولده بمنزلة العش[٤]، من ضواحي القاهرة، في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة[٥].

قال: وكان الملك السعيد، لما استقر بالكرك، رتّب في النيابة بها الأمير علاء الدين ايدغدي الحرّاني الظاهري، لما فارقه الأمير علاء الدين الفخري النائب بها إلى الديار المصرية، فلما مات اتفق نائبه الأمير علاء الدين [ايدغدي][٦] الحرّاني ومن معه، وأقاموا أخاه خُضراً مقامه، ولُقّب بالملك المسعود. فشرع المماليك، الذين حول الملك

---

(١) «ودفن بأرض برية عند جعفر الطيار، ثم نقل إلى دمشق» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٦٦.

(٢) «يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٦٦. يقول ابن الفرات في الصفحة نفسها: «وقيل في ثالث عشر ذي القعدة وقيل في الثامن عشر. واختلف في سبب وفاته، فقيل مات مسموماً، وقيل حصل له مرض. وقيل: لعب بالكرة فتنقطر عن فرسه». وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٣٢ ورد ما يأتي: «لما تسلطن قلاوون بلغه عن الملك السعيد أنه استكثر من استخدام المماليك وأنه ينعم على من يقصده. فاستوحش منه وتأثر من ذلك فمرض الملك السعيد بعد ذلك بمدة يسير وتوفي».

(٣) انظر تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١١.

(٤) منزلة العش: هي القرية التي تعرف اليوم باسم منية شبين إحدى قرى شبين القناطر بمديرية القليوبية. والعش ما زال يطلق على الحوض رقم ٣ المجاور لسكن منية شبين. محمد رمزي: القاموس الجغرافي.

(٥) «وحزنت عليه زوجته بنت الملك المنصور سيف الدين قلاوون وبكت عليه إلى أن ماتت بعده بقليل» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١١.

(٦) يشير إلى المصدر الذي ينقل عنه.

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

المسعود نجم الدين خضر، في سوء التدبير، ففرّقوا أموال الذخائر[(١)]، وأرادوا أن يستجلبوا بها الناس، وانضمّ إليه كل من قطع رزقه. وتوجه منهم جماعة إلى الصلت فاستولوا عليها، وأرسلوا إلى صرخد، وقصدوا الاستيلاء عليها، فعجزوا عن ذلك. وشرعوا في استفساد الناس، وتسامع بهم العربان والطماعة، أنهم يبذلون الأموال فقصدوهم من كل الجهات، وهم يبذلون الأموال لمن يقصدهم ويصل إليهم. فكان جماعة من العربان وغيرهم يقصدونهم من أطراف البلاد، ويجتمعون ويحضرون إلى الملك المسعود، ويبذلون له الطاعة، ويتقربون إليه بالنصيحة، فإذا وثق بهم، وأنفق فيهم الأموال، وحصلوا عليها، وبلغوا الغرض مما راموه تسلّلوا وفارقوه، وعادوا من حيث جاءوا وتفرّقت جماعاتهم. وهو ومن عنده لا يرجعون عن بذل المال لمن يصل إليهم، إلى أن فنيت أكثر تلك الذخائر، التي كانت بالكرك، التي حصّنها السلطان الملك الظاهر، وجعلها بهذا الحصن ذخيرة لأوقات الشدائد، فنفقوها فيما لا أجدى نفعاً، بل جلب ضرراً، وغَلّتَ الخواطر، ثم كاتبوا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب السلطنة [بدمشق][(٢)] في الموافقة [معهم][(٣)]، واتصل ذلك بالسلطان، فجرد الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك على سبيل الإرهاب. وكان بينه وبين الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ما قدّمناه[(٤)].

ذكر الصُّلح بين السلطان والملك المسعود وانتقاض ذلك وإخراجه من الكرك

وفي سنة ثمانين وستمائة، ورَدت رسل الملك المسعود الخضر بن بيبرس البندقداري الصالحي [النجمي][(٥)] إلى السلطان في طلب الصلح، والزيادة على الكرك، وأنْ يكون له ما كان للناصر [صلاح الدين][(٦)] داود، فلم يُجبهُ السلطان إلى ذلك، ولا إلى إقامته بالكرك بالأصالة. وترددت رسائله إلى السلطان، وسأل أن يقرّ بيده الكرك وأعمالها من حدّ الموجب[(٧)] إلى الحسا[(٨)]. فأجابهم السلطان، وحلف لهم؛ والتمسوا

---

(١) الذخائر: المؤن، ابن منظور: لسان العرب (ذخر).
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٦٠.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٦٠.
(٤) انظر تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٦٠.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٠.
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٨.
(٧) الموجب: هو بلد بين القدس والبلقاء، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥٥.
(٨) الحسا: وادٍ قرب الكرك، انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٨، حاشية (٤).

شروطاً: منها تجهيز الإخوة الذكور والإناث، أولاد الملك الظاهر إلى الكرك، وردّ الأملاك الظاهرية عليهم، وتمَّ الصلح وحلف السلطان عليه.

وتوجه الأمير بدر الدين بيليك المحسني السلاح دار، والقاضي تاج الدين(١) ابن الأثير، إلى الكرك، وحلفا الملك المسعود. وكوتب من ديوان الإنشاء، كما يكاتب صاحب حماه(٢)، واستمر الأمر على ذلك إلى سنة اثنتين وثمانين [وستمائة](٣)، فبلغ السلطان أنهم نقضوا ما كان قد تقرر. وحضر الأمير علاء الدين ايدغدي الحراني، نائب الملك المسعود بالكرك، وأنهى إلى السلطان ما اعتمدوه، مما يغلّت(٤) الخواطر. فكتب السلطان إلى الملك المسعود ومن معه ينهاهم عن ذلك، فلم ينتهوا. فجرد إلى الكرك في هذه السنة(٥) الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، أمير سلاح، وأمره بمراسلتهم، فراسلهم، فلم يرجعوا عن اعتمادهم، فضايق الكرك، ورعت خيول العسكر تلك الزراعات كلها، ثم عاد عن الكرك.

وتراخى الأمر، واستمر الملك المسعود بالكرك إلى سنة خمس وثمانين وستمائة. فجرّد السلطان الملك المنصور، الأمير حسام الدين طرنطاي، نائب السلطنة، بجيش كثيف، وأمره بمنازلة الكرك ومحاصرتها(٦)، فتوجه إليها، وأحضر آلات الحصار، من الحصون الإسلامية، وضايقها وقطع الميرة عنها. واستدعى بعض الرَّجالة(٧)، وأحسن إليهم، فوافقوه(٨) على الملك المسعود. فلما رأى الملك مسعود نجم الدين خضر، وأخوه بدر الدين سلامش الحال على ذلك، أرسل الملك المسعود إلى الأمير حُسام الدين طُرَنْطَاي، في طلب الأمان، فأمّنه عن السلطان، فقال: لا بد من أمان السلطان وخاتمه. فطالع الأمير حُسام الدين السلطان بذلك، فأرسل السلطان بأمانه الأمير رُكن الدين بيبرس الداوادار المنصوري، فاجتمع بهما، وأبلغهما أمان السلطان، فنزلا من قلعة الكرك، إلى الأمير حسام الدين طُرَنْطاي، وذلك في صفر سنة خمس وثمانين وستمائة(٩).

---

(١) «عماد الدين» في السلوك ج ١، ص ٦٨٨.
(٢) «وانبرم الصلح بينهما في العشر الأول من شهر ربيع الأول» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢١٠، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٨.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.
(٤) الغلت والغلط سواء. وغلتِ: غلط. ابن منظور: لسان العرب (غلت).
(٥) هذا الخبر أورده ابن الفرات في أحداث سنة ٦٨٣. وتاريخ ابن الفرات ج ٨، ص ١.
(٦) في الأصل: وحصاراتها.
(٧) المقصود رجّالة الكرك.
(٨) في الأصل: فوافقه.
(٩) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

فرتّب الأمير حُسام الدين طرنطاي، وولدا الملك الظاهر صحبته، فلما وصلوا إلى الديار المصرية، وقربوا من قلعة الجبل، ركب السلطان، وتلقاهما وأقبل عليهما، وطلعا إلى القلعة، وذلك في يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول، وأمّر كلا منهما مرة مائة فارس. واستمرار يركبان معه في الموكب والميدان، ونزّلهما منزلة أولاده، ثم بلغه عنهما ما تنكر له، فقبض عليهما واعتقلهما، وبقيا في الاعتقال في أيام السلطان الملك الأشرف فسيرهما إلى القسطنطينية.

هذا ما كان من أخبار هؤلاء المناوئين في الملك، فلنذكر الفتوحات والغزوات، ونوردها في الترتيب، على حكم السنين، إن شاء الله تعالى.

ذكر الفتوحات والغزوات التي شهدها السلطان بنفسه، والتي ندب إليها عساكره المؤيدة

ذكر عبور التتار إلى الشام، والمصاف الذي وقع بينهم وبين العساكر المنصورة، بحمص وانهزام التتار.

قال المؤرخ[(١)]: وفي سنة ثمانين وستمائة، وردت الأخبار بدخول مَنْكُوتُمر[(٢)]، إلى بلاد الروم، بعساكر المُغل، وأنه نزل بين قيسارية[(٣)] وأُبلُستين[(٤)]، فتوجه كشافة من عين تاب[(٥)]، فوقعوا بفرقة من التتار بالقرب من صحراء هوتي[(٦)]، الذي كسر الملك

---

(١) يتابع النويري بإيراد عبارات قال وقال المؤرخ دون ذكر المصدر الذي يرجع إليه. وتتفق هذه الرواية مع ما ورد في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٢ ـ ٢٥٣. مما يدل على استقائهما من مصدر واحد.

(٢) هو منكوتمر بن هولاكو أخو أبغا بن هُولاكو بن طُلُوي بن جنكيزخان أو «تُولي» توفي سنة ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م. انظر تشريق الأيام والعصور لابن عبد الظاهر ص ١٨ ـ ١٩، وكنز الدرر لابن أيبك الدواداري ج ٨، ص ٢٤٨، والدليل الشافي لابن تغري بردي ج ٢، ص ٧٤٦. والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٠١، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٣٧٥.

(٣) قيسارية: مدينة كبيرة في بلاد الروم أي آسيا الصغرى، وعاصمتها قيصرية وهي في تركية اليوم. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ١٥٢، حاشية (١)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ج ٤، ص ٤٧٨. قارن بما ورد في الروض المعطار للحميري عن قيسارية (ص ٤٨٦).

(٤) أبلستين: هي ما كان يطلق عليها اسم ارابيسوس (Arabissus) وموقعها في الشرق من قيصرية، وتعد من مدن الثغور في أيام الروم. لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٨. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١، ص ٩٧.

(٥) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية، وكانت تعرف بدُلُوك، ودلوك رستاقها، وهي من أعمال حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤، ص ١٩٩.

(٦) هكذا في الأصل، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٢٨، صحراء هوتي من بلد أبلستين.

الظاهر التتار عليها. فظفروا منهم بإنسان يسمى حلتار بهادر[١] أمير آخور [أبغا][٢] بن هولاكو، كان قد توجه لكشف المروج، فأمسكوه وأحضروه إلى السلطان إلى دمشق. فوانسه السلطان، وسأله عن الأخبار، فذكر أنهم في عدد كثير يزيدون على ثمانين ألف فارس من المُغل، وعزمهم أنهم يقصدون البلاد، قولاً جزماً، ويركبون من منزلتهم أول شهر رجب.

ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة، أنهم ركبوا من منزلتهم، وأنهم يسيرون برفق، وأن فرقة منهم توجهت صحبة أبغا إلى الرّحبة، ومعه صاحب ماردين، فسير السلطان كشافة إلى الرحبة، صحبة بجكا[٣] العلائي. وركب السلطان من دمشق[٤]، ووصل العدو المخذول إلى صوب حارم. وراسل السلطان الأمير شمس الدين سنقر الأشقر عدة مراسلات، إلى أن تقرر أنه ينزل من صِهْيون بمن معه للغزاة، بشرط أن يعود إليها، إذا انقضى المصاف. فنزل ووافى السلطان على حمص هو ومن كان عنده من الأمراء، وهم: ايتمش السعدي، وازدمر الحاج، وسنجر الداواداري، وبجق[٥] البغدادي، وكراي، وشمس الدين الطنطاش وابنه، ومن معهم من الظاهرية. ففرح المسلمون بحضورهم، وكان ذلك قبل المصاف بيومين[٦].

ثم ورد الخبر أن منكوتمر على حماه بعساكر التتار، في ثمانين ألف، منهم خمسون ألف من المُغل، وبقيتهم مرتدة وكرج وروم وأرمن[٧] وفرنج، وأنه نفر إليهم مملوك من مماليك الأمير ركن الدين بيبرس[٨] العجمي الصالحي، الجالق، ودلّهم على عورات المسلمين وأخبرهم بعددهم.

---

(١) «جلنار» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٣. ولم يذكر المقريزي اسم هذا الشخص بل قال: «بعث السلطان الكشافة فلقوا طائفة من التتر أسروا منهم شخصاً وبعثوا به إلى السلطان» المقريزي: السلوك ج ١، ص ٦٩٠.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٣.

(٣) في الأصل: نحكا، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٣، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩١.

(٤) «وركب السلطان من دمشق يريد حمص فنزل عليها في حادي عشر رجب ومعه سائر العساكر» المقريزي السلوك، ج ١، ص ٦٩١.

(٥) «بيجق» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩١.

(٦) «كان ذلك في ثاني عشرة جمادى الآخرة» في السلوك للمقريزي ج ١، ص ٦٩١.

(٧) كانت فئة الأرمن من ذلك الجيش بقيادة ملكهم ليون، وكانت فئة الكرج بقيادة ملكها أيضاً واسمه دمتري الثاني. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٩٢، حاشية (١).

(٨) هو بيبرس بن عبد الله الجالق الصالحي المتوفى سنة ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧ م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ٣، ص ٤٧٤ رقم ٧٠٩.

ودخلوا ليلة الخميس عن حماه، ورتّبوا جيشهم. فكان طرف ميمنتهم حماه، وطرف ميسرتهم[١]، وساقوا طالبين اللقاء، والمقدم عليهم من قبل أبغا، [منكوتمر بن][٢] هولاكو، أخو أبغا.

ورتب السلطان الملك المنصور عساكره ميمنةً وميسرةً [وقلباً][٣]، وبات المسلمون على ظهور خيولهم. واتفق أن شخصاً من عسكر التتار، دخل حماه، وقال للنائب بها: «واكتب الساعة إلى السلطان، على جناح طائر، وعرفه أن القوم ثمانون ألف مقاتل في القلب، ومنهم أربعة وأربعون ألف من المغل وهم طالبون القلب، وميمنتهم قوية جداً، فتقوي ميسرة المسلمين، وتحترز على الصناجق»[٤]. فكتب النائب بذلك إلى السلطان. فلما قرأ الكتاب ركب عند إسفار الصباح، في يوم الخميس رابع عشر شهر رجب، سنة ثمانين وستمائة، وهو يوم اللقاء. ورتب العساكر المنصورة الإسلامية، على ما نذكره، بمقتضى ما أورده الأمير ركين الدين بيبرس الداوادار المنصوري في تاريخه[٥] هو:

الميمنة المنصورة: فيها الملك المنصور صاحب حماه، والأمير بدر الدين بيسري الشمسي، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيري والأمير عز الدين أيبك الأفرم، والأمير علاء الدين كشتغدي[٦] الشمسي ومضافوهم[٧]، والأمير حسام الدين لاجين نائب الشام

---

(١) وطرف ميسرتهم سلميّة في عقد الجمان للعين، ج ٢، ص ٢٧٢، بينما ذكر المحقق أن ما بين الحاصرتين بياض بالأصل، ولم يستطع المحقق أن يملأ هذا الفراغ. ولم يرد في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١١ ما أورده النويري واكتفى بالإشارة إلى الميسرة.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٥.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من عقد الجمان للعيني ج ٢، ص ٣٢.

(٤) الصنجق أو السنجق. الجمع صناجق. لفظ تركي يطلق في الأصل على الرمح، وهي رايات صفر صغار يحملها السنجقدار، ويظهر أن العادة كانت أن يركب السلطان في الموكب زمن السلم بالسناجق فقط. أما موكب الحرب فكان سير السلطان فيها بالأعلام. ومنها السناجق. ثم راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقابه واسمه وتسمى العصابة ثم راية أخرى عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ويتولى أمر هذه الأعلام كلها الأمير علم. القلقشندي: صبح الأعشى الطبعة المصرية، ج ٤، ص ٨، وج٥، ص ٤٥٦، ٤٥٨. والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد البقلي ص ١٨٦.

(٥) «زبدة الفكرة» لبيبرس الدوادار الأمير ركن الدين بن عبد الله المنصوري، توفي سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٤ م. زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة الجزء التاسع مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨. انظر عقد الجمان للعين، ج ٢، ص ٤٩٦.

(٦) في الأصل السعدي: والتصحيح من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩٢.

(٧) في الأصل: «ومضافيهم». والصواب كما ورد في المتن.

والعسكر الشامي. وفي رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وآل فضل وآل مري[١]، وعربان الشام، ومن انضم إليهم.

الميسرة المباركة، فيها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ومن معه من الأمراء، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمري، والأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، والأمير علم الدين سنجر الحلبي، والأمير بجكا العلائي، والأمير بدر الدين بكتوت العلائي، والأمير سيف الدين خبرك[٢] التتري، ومن معهم من المضافين. وفي رأس الميسرة التركمان بجموعهم وعسكر حصن الأكراد.

ذكر الجاليش[٣] وهو مقدمة القلب[٤]، فيه الأمير حسام الدين طرنطاي، نائب السلطنة، ومن معه من مضافيه، والأمير ركن الدين اياجي[٥] الحاجب، والأمير بدر الدين بكتاش بن كرمون، ومن معهم من المماليك السلطانية. ووقف السلطان تحت الصناجق، وحوله مماليكه وألزامه وأرباب الوظائف.

وأشرفت كراديس[٦] التتار [وهم مثلا عساكر المسلمين][٧]. وكان الملتقى بوطأة حمص، بالقرب من مشهد خالد بن الوليد، فالتقى الجمعان، في الساعة الرابعة، من نهار الخميس، [رابع عشر رجب][٨]، وجاءت ميسرة العدو، تجاه الميمنة الإسلامية، وصدموا[٩] الصدمة الأولى، فثبت المسلمون. وانكسرت ميسرة التتار كسرة تامة، وانتهت إلى القلب الذي للتتار وبه منكوتمر.

---

(١) «آل مرا» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩٠.

(٢) «جبرك» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٥، و«حيرك» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩٢.

(٣) الجاليش: مقدمة القلب، وكان ميسر السلطان في مواكب الحرب بالأعلام ومنها السناجق ثم راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقابه وتسمى العصابة، ثم راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش. القلقشندي: صبح الأعشى الطبعة المصرية ج ٤، ص ٨، وج ٥، ص ٤٥٦ - ٤٥٨، والمقريزي: السلوك ج ١، ص ١٢٤، حاشية (١) Dosy. supp. dict. Ar.

(٤) انظر ما تقدم قبل قليل.

(٥) في الأصل «أباجي» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٦، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩٣.

(٦) الكراديس: جمع كردوس، أو كردوسة، وهي الفرقة الراكبة، والقطعة العظيمة من الخيل. بطرس البستاني: محيط المحيط (كردوس) Dosy. supp. dict. Ar. والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٩٣، حاشية (٣).

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك، ج ١، ص ٦٩٣.

(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك، ج ١، ص ٦٩٣.

(٩) هكذا في الأصل وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢١٦ «وصدموها».

وأما الميسرة الإسلامية، فصدمتها ميمنة التتار، فلم تثبت لترادف كراديسهم، وساق التتار وراء المسلمين، حتى انتهوا إلى تحت حمص. ووقعوا في السوقة والعوام، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ولم تعلم المسلمون ما تهيأ للميمنة من النصر، ولا علم التتار ما أصاب ميسرتهم. فاستقل بعض من انهزم إلى دمشق، وبعضهم إلى قرب صفد. ومنهم من وصل غزة.

ولما رأى التتار، أنهم قد استظهروا، نزلوا(١) عن خيولهم في المرج الذي عند حمص، وأكلوا الطعام، ونهبوا الأثقال(٢) والوطاقات(٣)، والخزانة. وانتظروا قدوم بقيتهم، فلما أبطأوا عنهم، أرسلوا من يكشف خبرهم، فعاد الكشافة وأخبروهم [أن](٤) منكوتَمُر هرب، فركبوا خيولهم، وكروا راجعين.

هذا والسلطان ثابت في موقفه، في نفر يسير من المماليك، والعساكر قد تفرقت. ومنهم من تبع التتار الذين انهزموا، ومنهم من استمر به الهرب. فلما رجعت ميمنة التتار، أمر السلطان أن تلف الصناجق، وتبطل الكوسات(٥)، فمروا ولم يقدموا عليه. وأخذوا على طريق الرستن، ليلحقوا بأصحابهم. وعندما تقدموه قليلاً، ساق عليهم، فانهزموا لا يلوون على شيء. كان ذلك تمام النصر، وهو عند غروب الشمس من يوم الخميس. ومرّ هؤلاء المهزمون من التتار نحو الجبل، يريدون منكوتمر. وكان ذلك من تمام نعمة الله على المسلمين وإلا لو قدر الله أنهم رجعوا على المسلمين، لما وجدوا فيهم قوة. ولكن الله نصر دينه، وهزم عدوه مع قوتهم وكثرتهم. [وانجلت هذه الواقعة على قتلى كثيرة من التتر لا يحصى عددهم](٦). وكتبت البطائق بالنصر.

---

(١) في الأصل «ولوا» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٦.

(٢) الأثقال: جمع ثقل وهو متاع الفارس والجندي. وما يتعلق به من الحشم Dosy. supp. dict. Ar.

(٣) الوطاقات ومفردها وطاق: وفي التركية أوتاق وأوطاق وأوتاغ وليس المقصود بالوطاق الخيمة بل خيام عديدة تعتبر معسكر الجيش، Dosy. supp. dict. Ar. وانظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٩٥، حاشية (٢).

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٩.

(٥) الكوسات: من رسوم السلطان وآلاته، وهي صنوج من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ويتولى ذلك الكوسي. القلقشندي: صبح الأعشى الطبعة المصرية ج ٤، ص ٩، ١٣. خليل بن شاهين الظاهرة، زبدة كشف الممالك ص ١١٣. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٢٩٠.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٧ ـ ٢١٨، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩٥.

وعاد السلطان من يومه إلى المنزلة، [بعد انفصال الحرب][1]. وكان قد فرّق[2] ما بالخزانة من الذهب، في أوساط مماليكه، فسلم بجملته. وبات السلطان بالمنزلة ليلة الجمعة. فلما كان عند السحر، ثار صياح بالوطاقات، فظن الناس عود العدو، فركب السلطان ومعه من كان بالوطاقات، فانكشف الخبر بعد ساعة، أن جماعة من العسكر، الذين تبعوا التتار عند الهزيمة رجعوا. وقتل من التتار في الهزيمة، أكثر من الذين قتلوا في المصاف، واختفت منهم طائفة بجانب[3] الفرات. فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار[4] التي على الفرات، فأحرق أكثر من اختفى فيها. وهلكت فرقة منهم، كانوا سلكوا درب سليمة.

ولما وصلت البطائق إلى الرحبة، بخبر النصر وهزيمة التتار، كان أبغا ملك التتار يحاصرها، فدقت البشائر، وأعلن الناس بالنصر، ففارقها أبغا وتوجه إلى بغداد.

وعاد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى صخيون، ورجع إلى الخدمة السلطانية ممن كان معه، ايتمش السعدي، وسنجر الداواداري وكراي التتاري وولده، وتماجي[5]، وجماعة من الأمراء الذين كانوا عنده. وعاد السلطان إلى دمشق، فكان وصوله إليها، في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رجب الفرد. وامتدحه الشعراء، وأكثروا المدائح والهناء بهذا النصر.

وخرج السلطان من دمشق، عائداً إلى الدّيار المصرية، في يوم الأحد ثاني شعبان. وكان وصوله إلى قلعة الجبل، في يوم السبت الثاني والعشرين من الشهر، فزينت له المدينة، ودخل، وبين يديه الأسرى، وبعضهم يحمل صناجقهم المكسورة وطبولهم. وخلع السلطان على الأمراء والأكابر.

واستشهد في هذه الواقعة من الأمراء من نذكر: منهم الأمير عز الدين ازدمر الحاج. وهو الذي جرح منكوتمر، وكان من أعيان الأمراء، وكانت نفسه تحدثه أنه يملك، والأمير بدر الدين بكتوت الخازندار، والأمير سيف الدين بلبان الرومي الداوادار الظاهري، والأمير شهاب الدين [توتل][6] الشهرزوري، رحمهم الله تعالى.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٨.

(٢) «فرّق ما بين الخزائن على مماليكه أكياساً في كل كيس ألف دينار ليحملوه على أوساطهم» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩٥.

(٣) في الأصل «بجنب» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٨، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٩٥.

(٤) الأزوار والأزيار: جمع زارة. وهي الأجمة ذات الماء والحلفاء والقصب، ابن منظور: لسان العرب.

(٥) في الأصل: «تماحي» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٢١.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٩. والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٤.

هذا ما كان من خبر هذه الواقعة.

ذكر فتوح قلعة قطيبا[١]

وهذه القلعة كانت في الزمن الأول محسوبة في جملة قلعة آمد، ثم صارت في يد ملك الروم، وصارت في يد العدو المخذول [من][٢] التتار، وفيهم نوابهم. وكانت مُضِرَّة بقلعة كركر والثغور المجاورة لها، وما كان يمكن أخذها بحصار، فتلطف النواب، واستمالوا من كان بها.

فلما كان في سنة اثنتين وثمانين وستمائة. خلت هذه القلعة من الغلال. فجرد السلطان إليها رجالة كركر، فضايقوها. فسأل[٣] أهلها مراحم[٤] السلطان فأجيبوا إلى ملتمسهم. وتسلمها نواب السلطان، واحضروا إليها جماعة من الرجالة من قلعة البيرة وعين تاب والروندان. وجعل فيها ما يحتاج إليه من الغلال والسلاح والعدد. وصارت من حصون الإسلام المنيعة.

ذكر فتوح ثغر الكختا[٥]

وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة أيضاً، فتحت قلعة الكختا. وهي من أمنع الحصون وأعلاها وأتقنها بنية[٦]. فاجتهد السلطان في تحصيلها وإضافتها إلى الحصون الإسلامية. ووعد من بها المواعيد الجميلة. فأجابوا بالسمع والطاعة، وقتلوا النائب بها، وهو الشجاع موسى، وراسلوا نائب السلطنة الشريفة بالمملكة الحلبية، وبذلوا تسليم القلعة. فجهز إليهم الأمير جمال الدين الصرصري[٧]، والأمير ركن الدين بيبرس السلاح

---

(١) قلعة قطيبا: هي إحدى قلاع آمد وتقع بالقرب من قلعة كركر. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧١٤.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٣. والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٤.

(٣) في الأصل: «فسألوا» والتصحيح من ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٣.

(٤) في الأصل: «تراحم» والتصحيح من ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٣.

(٥) الكختا: وهي قلعة في شرقي ملطية، وكانت تحت حكم الأرمن، انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٤.

(٦) في الأصل: بينة، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٣.

(٧) في الأصل: الصرودي. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٤، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٤١٣، والنسبة إلى صرصر، وهو اسم يطلق على قريتين من سواد بغداد، وهما صرصر العليا وصرصر السفلى، وكلتاهما على ضفة نهر عيسى الذي يسمى أحياناً نهر صرصر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٥٥، انظر الروض المعطار للحميري، ص ٣٥٧.

دار، والأمير شمس الدين أقش الشمسي العينتابي[١]، ومن معهم. فتسلموا الحصن. وحلّفوا من به للسلطان ولولده الملك الصالح، وألبسوهم التشاريف، ثم جهزوا من كان بها، طائفة بعد أخرى إلى الأبواب الشريفة السلطانية. فأحسن السلطان إليهم، وأقطع منهم من يستحق الأقطاع، وجهزت إليها الزردخانات، وآلات الحصار، واستقرت في جملة الحصون الإسلامية. وصارت هذه القلعة شجي[٢] في حلق الأرمن، وحصل الاستظهار بها على الغارات.

ذكر الإغارة على بلاد سيس[٣]

وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة أيضاً، كتب السلطان إلى نائب السلطنة بالمملكة الحلبية، أن يوجه من يغير[٤] على بلاد سيس، بسبب ما كان الأرمن اعتمدوه، من إحراق جامع حلب، لما جاءوا صحبة التتار. وجرد السلطان عسكراً من الديار المصرية، ومن عسكر الشام لذلك. فتوجهوا وأغاروا، ووصلوا إلى مدينة أياس، فقتلوا من أهلها جماعة، ونهبوا وخربوا. فلما عادوا ووصلوا إلى باب الاسكندرونة، أتاهم عسكر الأرمن فاقتتلوا. فانهزم الأرمن، وتبعهم العسكر إلى تل حمدون، واقتلعوا جماعة من خيالتهم، وعاد العسكر الإسلامي بالظفر والغنيمة.

ذكر فتوح حصن المرقب[٥]

وفي سنة أربع وثمانين وستمائة، توجه السلطان الملك المنصور إلى المرقب، ونازله في أوائل شهر ربيع الأول، وذلك أن أهله فعلوا ما يوجب نقض الهدنة، التي كانت حصلت بينهم وبين السلطان، وعلى ما نذكرها في حوادث السنين، ولم يتفقوا عند شروطها. فحاصر السلطان الحصن، وعملت النقوب، وأشرفت الفرنج على أنه يفتح عنوة. فطلبوا الأمان، وسلموا الحصن. فتسلمه السلطان، وذلك في الساعة الثامنة من نهار الجمعة سابع عشر شهر ربيع الأول. وكان هذا الحصن لبيت الاسبتار، وجهز أهله إلى طرابلس.

---

(١) «العنتابي» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٤.

(٢) «شجًا» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٤. وانظر لسان العرب لابن منظور مادة (شجج).

(٣) بلاد سيس: وصوابه سيسية كما في معجم البلدان، وعامة أهلها يقولون سيس، وهي من مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة. معجم البلدان ج ٣، ص ٣٣٨، وهي اليوم مدينة في تركية في إيالة أطنة، وهي بلدة كبيرة ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٢٥، حاشية (٤).

(٤) في الأصل: يغار. والصواب كما ورد في المتن.

(٥) تقدم التعريف به.

ذكر غزوتي النوبة[١] الأولى والثانية

كانت الغزوة الأولى في سنة ست وثمانين وستمائة. وذلك أن السلطان الملك المنصور، جهز الأمير علم الدين سنجر المسروري، المعروف بالخياط، متولي القاهرة والأمير عز الدين الكوراني، وجماعة من أجناد الولايات، بالوجه القبلي والقراغلامية[٢]. وجرد الأمير عز الدين أيدمر السَّيْفي[٣] السلاح دار، متولي الأعمال القوصية، بعدته، ومن عنده من المماليك السلطانية، المركزين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص، وعربان الإقليم وهم: أولاد أبي بكر، وأولاد عمر، وأولاد شريف، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز، وجماعة من العربان الريسية[٤] وبني هلال، فتوجه الأمير علم الدين الخياط بنصف الجيش من البر الغربي. وتوجه الأمير عز الدين أيدمر بالنصف الثاني من البر الشرقي، وهو الجانب الذي فيه مدينة دنقلة، وكان متملك النوبة في ذلك الوقت اسمه سمامون[٥]، وكان ذا دهاء ويأس، وبالنسبة إلى أمثاله.

فلما وصل الجيش إلى أطراف البلاد، أخلا سمامون البلاد، وأرسل إلى نائبه بجزائر ميكائيل وعمل الدّر، وهو جُرَيْس ـ ويسمى من يتولى هذه الولاية، عند النوبة، صاحب الجبل[٦] ـ فأمره بإخلاء البلاد التي تحت يده أمام الجيش. فكانوا يرحلون أمام الجيش منزلة بمنزلة، إلى أن انتهوا إلى متملك النوبة بدنقلة. فأقام بها إلى حيث وصل

---

(١) النوبة: لهذا اللفظ معانٍ اصطلاحية كثيرة أحدها فرق الجند التي تتناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان وهي خمس نوبات، ويكون تغييرها في الظهر والعصر والعشاء ونصف الليل وعند الصباح. والنوبة عند المغنين اسم لآلات الطرب إذا أخذت معاً وربما أطلقت على المطربين بها إذا اجتمعوا ويقال لهم النوبتيجية عند الأتراك، ويقال: ضربت النوبة بطرس البستاني: محيط المحيط. (نوب) Dosy. supp. dict. Ar. والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي ص ٣٥٣.

(٢) القراغلامية: وهم سائر الأجناد. انظر صبح الأعشى للقلقشندي، ج ٨، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) السَّيْفي: هذه النسبة كثيرة الورود في أسماء أمراء المماليك في كتب المؤلفين المعاصرين، وكان لاستعمالها وترتيبها في الاسم دلالة على معانٍ اصطلاحية مختلفة، فإذا أتت في أول الاسم كالسيفي يلبغا مثلاً كان معناها أن لقب هذا الأمير سيف الدين، وإذا وردت بين اسمين مثل أرغون السيفي دمرداش، كان معناه أن صاحب هذا الاسم من مماليك الأمير دمرداش، وإذا جاءت في آخر الاسم مثل الوارد هنا في المتن، كان معناها ذلك الاسم قد مات عنه سيده وأستاذه، ونقل إلى ديوان السلطان. لهذا كان من بين مماليك السلطان فرقة اسمها السيفية تمييزاً لها من فرقة المماليك السلطانية المكونة من مماليك السلاطين السابقين. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧٣٦، حاشية (٦).

(٤) هكذا في الأصل، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٧.

(٥) هكذا في الأصل، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٧.

(٦) في الأصل: «الخيل» والتصحيح من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٧٢.

الأمير عز الدين ومن معه، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم سمامون، وقتل من أصحابه خلق كثير. واستشهد من المسلمين أناس قلائل.

ولما انهزم سمامون، تبعه الجيش إلى ميسرة خمسة عشر يوماً من دنقلة، فأدركوا جريس، فأخذوه، وأخذوا ابن خاله متملك النوبة، وهو من أعيان أصحابه، وممن يرجع إليه الملك. فرتب الأمير عز الدين، ابن أخت الملك ملكاً، ورتب جريس في النيابة عنه، وجرد معهما جماعة من العسكر، وقدر(١) عليهما قطيعة، يحملونها إلى الأبواب السلطانية في كل سنة. وعاد الجيش بعد أن غنموا غنائم كثيرة من الرقيق، والخيل، والجمال، والأبقار، والأكيسة.

ولما فارق الجيش النوبة وعاد، وتحقق سمامون عودهم، رجع إلى دنقلة، وقاتل من بها، وهزمهم واستعاد البلاد. فحضر الملك المستجد وجريس، ومن كان معهما من العسكر المجرد، إلى الأبواب السلطانية، وأنهوا ما اتفق من سمامون، فغضب السلطان لذلك، وجرد جيشاً كثيفاً.

ذكر تجريد الجيش في المرة الثانية إلى النوبة

قال(٢): وجرد السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم، أمير جاندار إلى النوبة، وصحبته من الأمراء، الأمير سيف الدين قبجق المنصوري، والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار، والأمير عز الدين أيدمر، متولي الأعمال القوصية. وجرد أيضاً من أطلاب(٣) الأمراء، من نذكر: طُلب الأمير زين الدين كتبغا المنصوري، وطُلْب الأمير بدر الدين بيدرا، وطُلْب الأمير سيف الدين بهادر، رأس نوبة الجمدارية، وطُلْب الأمير علاء الدين الطيبرس، وطُلْب الأمير شمس الدين سنقر الطويل. وسار أجناد المراكز بالوجه القبلي، ونواب الولاة من العربان بالديار المصرية، من الوجهين القبلي والبحري، وعدتهم أربعون ألف راجل. وجهز معهم متملك النوبة، ونائبه جريس.

وكان توجه الجيش من الأبواب السلطانية، في يوم الثلاثاء، ثامن(٤) من شوال، سنة ثمان وثمانين. وصحب هذا الجيش من الحراريق والمراكب الكبار والصغار، لحل الأذواد، والزردخاناة، والأثقال، ما يزيد على خمسمائة مركب.

---

(١) «قرّر» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٧.
(٢) يشير هنا إلى المصدر الذي نقل عنه.
(٣) الأطلاب: تقدم التعريف به.
(٤) هكذا في ابن الفرات ج ٨، ص ٨٣ المحقق.

ولما وصل العسكر إلى ثغر أسوان، مات متملك النوبة، فدفن بأسوان. وطالع الأمير عز الدين الأفرم السلطان بذلك. فأرسل إليه، من أولاد أخت الملك داود رجلاً، وكان بالأبواب السلطانية. ورسم له أن يملّكه بالنوبة، فأدركهم على خيل البريد، قبل رحيل العسكر من أسوان. ولما وصل إليهم انقسم العسكر نصفين على العادة. فكان الأمير عز الدين الأفرم، والأمير سيف الدين قبجاق[١]، ونصف العسكر ونصف العربان بالبر الغربي، والأمير عز الدين أيدمر، متولي الأعمال القوصية، والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار، ونصف العسكر ونصف العربان بالبر الشرقي.

وتوجهوا ورسموا الجريس نائب النوبة أن يتقدمهم، منزلة بمنزلة، ومعه أولاد الكنز، أمراء أسوان، ليطمئنوا أهل البلاد ويؤمنوهم[٢]، ويجهزوا الإقامات للعسكر. فكان الجيش إذا وافى بلداً، خرج من بها من المشايخ وأعيانها، وقبلوا الأرض بين يدي الأمراء، وأخذوا أماناً واستقروا ببلدهم، وذلك من الدّو إلى جزائز ميكائيل، وهي البلاد التي كانت تحت يد جريس، صاحب الجبل[٣]. وأما ما عدا ذلك من البلاد، التي لم يكن لجريس عليها ولاية، فإنها أخليت[٤]، طاعة لمتملك النوبة. فكان العسكر ينهب ما يجده بها. ويقتل من تخلف من أهلها بها، ويرعون[٥] زروعهم، ويحرقون[٦] سواقيهم ومساكنهم، إلى أن انتهوا إلى مدينة دنقلة. فوجدوا الملك قد أخلاها، وأجلى أهلها، ولم يجد الأمراء بها إلا شيخاً كبيراً وعجوزاً. فسألوهما عن أخبار الملك، فذكرا أنه توجه إلى جزيرة وسطى، في بحر النيل، مسافتها من دنقلة خمسة عشر يوماً، واتساع هذه الجزيرة مسافة ثلاثة أيام طولاً. فتبعهم الأمير عز الدين ومن معه إلى الجزيرة المذكورة ولم يصحبهم حراق ولا مركب، لتوعر البحر بالأحجار. فلما انتهوا إلى قبالة الجزيرة، شاهدوا بها عدة من مراكب النوبة، وجمعاً كثيراً. فسألوهم عن الملك، فأخبروهم أنه بالجزيرة المذكورة، فعرضوا عليه الدخول في الطاعة والحضور، وبذلوا له الأمان، فأبى ذلك. فأقام العسكر ثلاثة أيام، وأوهموه[٧] أنهم أرسلوا يطلبون المراكب والحراريق، ويعدون إليه، ويقاتلونه. فانهزم من الجزيرة إلى جهة الأبواب، وهي مسافة

---

(١) سبق أن ورد هذا الاسم برسم قبجق.
(٢) في الأصل: يأمنوهم.
(٣) تقدمت الإشارة إليه قبل قليل.
(٤) في الأصل: أخلت.
(٥) في الأصل: «ويرعوا» الصواب لغوياً كما ورد هنا.
(٦) في الأصل: «ويحرقوا» الصواب لغوياً كما ورد هنا.
(٧) في الأصل: وأوهموا، والتصحيح يقتضيه السياق.

ثلاثة أيام من الجزيرة، وليست داخلة في مملكته. ففارقه من كان معه من السواكرة[١]، وهم الأمراء، وفارقه أيضاً الأسقف والقسوس، ومعه الصليب الفضة، الذي يحمل على رأس الملك، وتاج المملكة، وطلبوا الأمان، ودخلوا تحت الطاعة. فأمنهم عز الدين المتولي، وخلع على أكابرهم، ورجعوا معه إلى دنقلة[٢]، وهم في جمع كثير. ولما وصلوا إليها، عدَّى الأمير عز الدين الأفرم، والأمير سيف الدين قبجاق، إلى البر الشرقي، دون من معهما من العساكر.

واجتمع الأمراء بدنقلة[٣]، ولبست العساكر آلة الحرب، وطلَّبوا من الجانبين وزينت الحراريق في البحر، ولعب الزارقون بالنفط، [ومدّ الأمراء][٤] الأخوان [السماط][٥] في كنيسة أُسُوس[٦]، وهي أكبر كنيسة بدنقلة. فلما أكلوا الطعام، ملَّكوا الملك الواصل من الأبواب السلطانية. وألبسوه التاج، وحلَّفوه للسلطان. وحلَّفوا له أهل البلاد. وتقرر عليه البقط[٧] المستقر أولاً، والبقط هو المقرر. وجرّد عنده طائفة من العسكر[٨]. وقدّم عليهم ركن الدين بيبرس العزي، أحد مماليك الأمير عز الدين متولي قوص.

وعاد العسكر، وكان وصوله إلى القاهرة في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وستمائة، وكانت مدة غيبته منذ خرج من ثغر أسوان، إلى أن عاد إليه ستة أشهر، وغنموا غنائم كثيرة.

فلما عاد العسكر عن دنقلة، حضر سمامون إليها ليلاً، وصار يقف على بابه كل سوكري[٩] بنفسه ويستدعيه. فإذا خرج ورآه، قبَّل الأرض بين يديه وحلف له، فما طلع

---

(١) السواكرة: أمراء النوبة. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧٥٢.

(٢) «دمقلة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٢.

(٣) «بدمقلة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٢.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٢.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٢.

(٦) كنيسة أسوس، جاء أن هذه التسمية مأخوذة من لفظ عيسى Jesus، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧٥٢، حاشية (٣).

(٧) في الأصل: «النقط» والتصحيح من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٢، والبقط ما تقرر من الإتاوة على بلاد النوبة منذ فتحها أيام إمارة عمرو بن العاص على مصر، وذلك وفقاً للمعاهدة المعقودة في رمضان سنة ٣١ هـ (مايو ٦٥٢)، وتألفت من أعداد من الرقيق والهدايا. على أن النوبيين كانوا يتلقون من القمح والشعير والنبيذ والملابس والخيول والهدايا ما يعتبر مقابلاً للبقط. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٢، و.Dozy. Supp. Dict. Ar

(٨) «وعينوا طائفة عنده من العسكر تقيم عنده» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٢.

(٩) سوكري: تقدم التعريف به.

الفجر حتى ركب معه جميع العسكر النوبي. فزحف بهم على دار الملك، وقبض على الملك. وأرسل إلى ركن الدين بيبرس [العزي][١] أن يتوجه إلى مخدومه، بحيث لا يلتقيان[٢]. فتوجه ركن الدين، ومعه معه إلى قوص. واستقر الملك سمامون بدنقلة[٣]. وأخذ الملك الذي ملَّكه العسكر، فعراه من ثيابه، وذبح ثوراً، وقدَّ جلده سيوراً، ولفَّها عليه طِرية، وأقامه مع خشبة. فيبست عليه تلك السيور فمات. وقُتل جُريس أيضاً.

وكتب سمامون إلى السلطان الملك المنصور يستعطفه ويسأله الصفح عنه. والتزم أن قوم بالبقط المقرر في كل سنة، وزيادة عليه. وأرسل من الرقيق والتقادم عدة كثيرة، فوصل ذلك في أواخر الدولة المنصورية، وحصل اشتغال السلطان بما هو أهم من النوبة. فاستقر سمامون بالنوبة إلى أيام العادلية الزيتية كتبغا، وكان من أمره، ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر[٤] فتوح طَرابُلُس الشام

كان فتح طَرَابُلُس، في الساعة السابعة[٥]، في يوم الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الآخر، سنة ثمانٍ وثمانين وستمائة، عُنوةً. وذلك أن السلطان الملك المنصور توجه إلى الشام، في شهر المحرم من هذه السنة، وعزم على غزو طرابلس[٦]. لأن أهلها كانوا قد نقضوا قواعد الصلح، ونكثوا أسباب[٧] الهدنة. فكتب السلطان إلى النواب بالممالك الشامية، والحصون الإسلامية، بتجهيز الجيوش إليها، وإنفاذ المجانيق وآلات الحصار.

ووصل السلطان إلى دمشق، بعساكر الديار المصرية، في يوم الاثنين ثالث عشر

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٣.

(٢) في الأصل يلتقيا، والتصيح اللغوي يقتضيه السياق.

(٣) «بدمقلة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٢.

(٤) انظر السلوك ج ١، ص ٧٤٧، وعقد الجمان للعيني، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٥) «في الساعة الرابعة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٧٣.

(٦) كانت طرابلس في ذلك الوقت بيد الأميرة لوسيا (Lucia) أخت الأمير المتوفى بوهيمند السابع الذي مات سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧ م. ولم يعقب ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٧، ص ٢٧٢.

(٧) تقرر عقد هدنة في ١٦ يوليه سنة ١٢٨١، بين المنصور قلاوون وبوهمند السابع كونت طرابلس لمدة عشرة سنوات، كيما يتفرغ لقتال المغول، وليمنع تحالفهم مع الفرنج في عكا وطرابلس على أن ما وقع من النزاع على وراثة الحكم في طربلس بعد وفاة بوهمند السابع سنة ١٢٨٧. وانحياز الاسبتارية بحصن المرقب إلى جانب الملك الأرمني ليو والمغول مثل ذلك جعل المنصور قلاوون يتدخل في أحداث طرابلس ويهاجمها في سنة ١٢٨٩. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٥٦، حاشية (١).

صفر من هذه السنة. وتوجه منها في العشرين من الشهر، ونازل طرابلس بالجيوش وحاصرها. ووالى الزحف والحصار والرمي بالمجانيق. وعملت النقوب، فنقبت الأسوار، وافتتحت عنوة في التاريخ المذكور. وكانت مدة المقام عليها، أربعة وثلاثين يوماً. وكات عدة المجانيق التي نصبت عليها، تسعة عشر منجنيقاً[١]، وهي فرنجية ستة، وقرابغا ثلاثة عشر. وعدة الحجارين والزراقين ألف وخمسائة نفر.

ولما فتح المدينة، فرت طائفة من الفرنج إلى جزيرة تعرف بجزيرة[٢] النخالة، حيال طرابلس في البحر، لا يتوصل إليها إلا في المراكب. فكان من السعادة الأزلية للمسلمين، أن البحر زجر وانطرد عن طرابلس فظهرت للناس المخائض. فعبر الفارس والراجل إلى هذه الجزيرة، وأسروا وقتلوا من فيها، وغنموا[٣] ما كان معهم. وكان جماعة من الفرنج قد ركبوا في مركب وتوجهوا، فألقتهم الريح إلى الساحل، فأخذهم الغلمان والأوشاقية. وقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون غنائم كثيرة.

وكان السلطان أمر بإبقاء المدينة، وإنزال الجيش بها. فأشير عليه أن هدمها أولى من بقائها، فأمر بهدمها فهدمت، وكان عرض سورها بمقدار ما يسوق عليه ثلاثة فرسان بالخيل. ووصل إلى الزردخاناة[٤] السلطانية من الأسرى، ألف أسير ومائتا أسير.

(١) المنجنيق: لفظ أعجمي معرب، وهو آلة من خشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل، له رأس طويل، وذنب خفيف تقذف منه الحجارة، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه، والمنجنيقات زمن صلاح الدين على أنواع: منها العربي، والتركي والفرنجي. وفي زمن المماليك هناك نوع آخر معروف بقرابغا وهو المغولي. انظر مفرج الكروب لابن واصل ج ١، ص ١٨٠، حاشية (٢)، وصبح الأعشى للقلقشندي، ج ٢، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) اسم هذه الجزيرة في المراجع الأوروبية سنت نقولا. ورد في المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ج ٥، ص ٩٠. وكان بهذه الجزيرة كنيسة تسمى كنيسة سنطماس (St thamas) وقد شهد لقتال مع والده الملك الأفضل وابن عمه الملك المظفر صاحب حماه. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٧، حاشية (٢).

(٣) كان أبو الفدا ممن شهدوا وقعة طرابلس، وقد شاهد بنفسه مبلغ ما حدث بالجزيرة بعد فراغ الناس من النهب، والسلب عبرت إليها في مركب، فوجدتها من القتلى وقد جافت بحيث لا يستطيع الإنسان الوقوف فيها من نتن القتلى» المختصر في أخبار البشر ص ١٦٢. وانظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٧، حاشية (٣).

(٤) الزردخاناه: خزينة السلاح الخاصة بالسلطان، وقد جرت العادة أن يحمل ما يتحصل من السلاح في كل سنة إليها مرة واحدة، وفيها من أنواع السلاح المختلفة كالدروع والزرد والقسي والسيوف وغير ذلك. القلقشندي: صبح الأعشى (الطبعة المصرية) ج٤، ص ١١، وج١١، ص ٣٤٥. والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ١٦٩.

واستشهد عليها من المسلمين ممن يعرف، الأمير عز الدين معن[١]، والأمير ركن الدين منكورس الفارقاني، ومن الحلقة، خمسة وخمسون نفراً، رحمهم الله تعالى.

وحكى الشيخ قطب الدين اليونيني في تاريخه[٢] قال: ولما فتح السلطان طرابلس، تسلم أنفة[٣]، وأمر بإخراب حصنها، وكان حصناً منيعاً، وأبقى على أخت البرنس[٤] صاحب طرابلس قريتين من قراها.

قال: وحضر إلى السلطان، وهو بظاهر طرابلس ولد سيركي صاحب جبيل[٥]، وكان صاحب طرابلس قتل أباه في سنة إحدى وثمانين وستمائة. فخلع السلطان عليه، وأقر جبيل عليه، على سبيل الإقطاع، وأخذ منه معظم أموالها. وتسلم السلطان البِتْرون[٦]، وجميع ما بتلك الخط من الحصون والمعاقل. ثم عاد السلطان بعد النصر إلى دمشق، وكان من خبره ما نذكره، إن شاء الله تعالى في حوادث السنين.

ذكر أخبار طرابلس الشام،
منذ فتحها المسلمون في خلافة عثمان إلى وقتنا هذا

وإنما ذكرناه في هذا الموضع ملخصاً مختصراً، لتكون أخبارها مجتمعة، فنقول: وبالله التوفيق:

كان ابتداء فتح طرابلس[٧]، أنه لما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأقر

---

(١) في الأصل: «مغن» والتصحيح من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان لقطب الدين موسى بن محمد توفي سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م. العيني: عقد الجمان ج ٢، ص ٤٩٥.

(٣) أنفة: بلدة على الساحل اللبناني بين طرابلس والبترون، في منتصف المسافة بينهما. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٧٣. حاشية (١).

(٤) هي الأميرة لوسيا (Lucia) أخت الأمير المتوفى بوهيمند السابع الذي مات سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧ م ولم يعقب. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٧٢، حاشية (٢).

(٥) كان صاحب جبيل في ذلك الوقت بارثولوميو أمير باكو يطمع في الظفر بكونتية طرابلس، وقد صارت إليه جبيل، بعد أن تزوجت ابنته من ابن عمه بطرس أي جاي الثاني (سيركي في المصادر العربية). اليونيني: ذيل مرآة الزمان حوادث سنة ٦٨١ هـ. والذي قتل على يد بوهيمند السابع سنة ٦٨١ هـ. وعندما أدرك قلاوون ما يحدث في طرابلس وما جرى من انتقاض الهدنة من جانب الفرنج عزم على الاستيلاء على طرابلس. ابن تغري بردي: النجوم الزهرة ج ٧، ص ٢٧٣. والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧٤٧.

(٦) هكذا في الأصل وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٧٣.

(٧) «وكان فتح طرابلس الأول في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وتنقلب في أيدي الملوك، =

معاوية بن أبي سفيان على الشام، وجه معاوية إلى طرابلس سفيان بن مُجيب[١] الأزدي، وكانت إذ ذاك ثلاث[٢] مدن مجتمعة، فبنى في مرج على أميال منها حصناً، سمي بحصن سفيان. وقطع الميرة عن أهل طرابلس، وحاصرها، فلما اشتد الحصار على أهلها، اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة، وكتبوا إلى ملك الروم، يسألونه أن يمدهم، أو يبعث إليهم بمراكب ينهزمون فيها. فسير إليهم مراكب كثيرة، فركبوها ليلاً وهربوا. فلما أصبح سفيان، وتقدم لقتالهم على عادته، وجد الحصن خالياً، فملكه، وكتب إلى معاوية بالفتح. فأسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود، وهو الحصن الذي فيه الميناء ثم بناه عبد الملك بن مروان وحصنه.

وكان معاوية يوجه في كل سنة جماعة من الجند، يشحنها بهم، ويوليها نائباً، فإذا غلق البحر، عاد الجند وبقي النائب في جماعة يسيرة. فما برح أمرها كذلك، حتى ولي عبد الملك بن مروان. فقدم بطريق في بطارقة الروم، ومعه خلق كثير، فسأل أن يعطى الأمان، على أن يقيم بها، ويؤدي الخراج، فأجيب إلى ذلك. فلم يلبث غير سنتين أو أكثر بأشهر، عند عود الجند منها، حتى أغلق بابها، وأسر من بقي بها من الجند، وعدة من اليهود، وتوجه هو وأصحابه إلى بلاد الروم. فقدر الله، عز وجل أن ظفر به المسلمون بعد ذلك، في البحر وهو متوجه في مراكب كثيرة، فأسر وأحضر إلى عبد الملك، فقتله وصلبه، وقد قيل إنه كان تغلبه عليها، وقتل من بها، بعد وفاة عبد الملك، ثم فتحها الوليد بن عبد الملك.

ولم يزل في طرابلس نواب الخلفاء، مدة أيام بني أمية، وأيام بني العباس، إلى أن استولى العبيديون ملوك مصر على دمشق، على ما قدمنا ذكر ذلك في أخباره، فأفردوا طرابلس عن دمشق، وكانت قبل ذلك مضافة إليها. وولوا عليها من جهتهم ريان الخادم، ثم سند الدولة ثم أبا السعادة، ثم علي بن عبد الرحمٰن بن حيدرة، ثم نزال، ثم مختار الدولة بن نزال، ثم تغلَّب عليها قاضيها أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار. ولم يزل بها إلى أن توفي، في سنة أربع وستين وأربعمائة. وكان ابن عمار هذا، رجلاً عاقلاً،

= وعظمت في زمن بني عمّار قضاة طرابلس، وحكامها، فلما كان في آخر المائة الخامسة ظهرت طوائف الفرنج في الشام واستولوا على البلاد فامتنعت عليهم طرابلس مدة حتى ملكوها بعد أمور في سنة ثلاث وخمسمائة. واستمرت في أيديهم إلى أن فتحها الملك المنصور قلاوون في هذه السنة (أي ٦٨٨ هـ) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٧، ص ٢٧٣.

(١) في الأصل: «مخنف» والتصحيح من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٧٣.

(٢) في الأصل ثلاثة. وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٧، ٢٧٣، «وثلاثة حصون مجتمعة باللسان الرومي».

سديد الرأي. وكان شيعياً، من فقهائهم. وكانت له دار علم بطرابلس، فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفاً. وهو الذي صنَّف كتاب «ترويح الأرواح ومصباح السرور والأفراح»، المنعوت بجراب الدولة. ولما مات أمين الدولة، كان بطرابلس، سديد الملك بن منقذ، هرب من محمود بن صالح. فساعد جلال الملك أبا الحسن علي بن محمد بن عمار وعضده بمماليكه، وبمن كان معه من أصحابه، فأخرجوا أخا أمين الدولة من طرابلس، وولي جلال الملك، فلم يزل متولياً عليها، حتى مات في سلخ شعبان، سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وملكها بعده أخوه فخر الدين عمار بن محمد بن عمار(١)، [واستقر](٢) بها، إلى أن نازلها صنجيل(٣)، واسمه ميمنت وهو ميمون، وصنجيل اسم مدينة نسب إليها. فنزل صنجيل بجموعه على طرابلس، في شهر رجب سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وحاصرها وضايقها، وابتنى عليها حصناً، [وبنى تحته ربضاً](٤) يقاتل أهلها منه، ويعرف به إلى وقتنا هذا.

فبعث فخر الملك الهدايا والتحف إلى الملوك واستنجدهم واستنصرهم، فلم ينجده أحد منهم. فلما أيس منهم، بذل لصنجيل في رحيله عنه أموالاً، وبعث إليه ميرة، فلم يجبه إلى ذلك. فلما ضاق ذرعاً بالحصار، وعجز عن دفعه، خرج من طرابلس، بعد أن استناب بها ابن عمه، أبا المناقب، ورتب معه سعد الدولة فتيان ابن الأغر. وأنفق(٥) في العسكر ستة شهور. وسار يقصد السلطان محمود بن ملكشاه السلجوقي. فجلس أبو المناقب في بعض الأيام، وعنده وجوه طربلس وأكابرها، فخلط في كلامه. فنهاه سعد الدولة بلطف فجرد سيفه، وضرب سعد الدولة فقتله. وانهزم من كان في المجلس. وقام أبو المناقب، وصعد على السور، وصفق بإبطيه، فأمسكه أهل البلد وحبسوه، ونادوا بشعار الأفضل أمير الجيوش، شريك الخليفة الفاطمي صاحب مصر، وذلك في شهر رمضان سنة خمسمائة.

ثم مات صنجيل في ثامن وعشرين رمضان، وتولى مكانه مقدم اسمه السرداني(٦).

---

(١) «لما توفي قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمار» انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٠، ص ٧١.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير ج١٠، ص ٤١١.

(٣) في الأصل: صينجيل. والتصحيح من الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٠، ص ٤١١، وهو: ريموند دي سان جيل قومس تولوز. Raymond de Saint- Gilles, Comte de Toulouse. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٥، ص ١٤٤.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من الكامل لابن الأثير ج ١٠، ص ٤١١.

(٥) في الأصل: «نفق» والصواب كما ورد في المتن.

(٦) السرداني: هو كونت سرادان ابن أخت سان جيل (صنجيل). انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي =

ولما نادى أهل طرابلس بشعار الأفضل، وبلغه ذلك حضر إليهم جيشاً في البحر، وقدم عليهم تاج العجم. فلما وصل إلى طربلس، أخذ جميع الأموال، وما يحفظ به البلد. وبلغ الأفضل أنه يقصد العصيان بطرابلس. فقبض على ما كان حصّله، وولّى بدر الدولة ابن أبي الطيب الدمشقي. فوصل إلى طربلس، وكان أهلها قد ضاقت صدورهم، من طول الحصار. ثم رأوا من خلفه، ما رغبهم عنه، ونفرهم منه، فعزموا على طرده. ثم رأوا إبقاءه، لأنهم لا ملجأ لهم إلا من جهة المصريين.

ثم وصلت مراكب من مصر بالغلات والرجال، فقرر المذكور مع مقدم الأسطول، القبض على أعيان البلد، وأصحاب فخر الملك بن عمار وحريمه. فأخذهم وسيّرهم في البحر إلى مصر. وبعث معهم ما كان في طرابلس من السلاح والذخائر، ما لم يكن عند أحد من الملوك مثله. وبعث مائة ألف دينار عيناً. فلما وصلوا إلى مصر، اعتقل الأفضل أهل بني عمار.

وأما فخر الملك بن عمار، فإنه وصل إلى بغداد، واجتمع بالسلطان محمود، وأقام ببغداد، فما تهيأ له منه ما طلبه، وبلغه رجوع أمر طرابلس إلى المصريين، وأن حريمه وأمواله وذخائره وسلاحه نقل إلى مصر، فرجع إلى دمشق، فدخلها في نصف المحرم، سنة اثنتين وخمسمائة، فأكرمه أتابك طغتكين[1] صاحب دمشق. فسأله أن يعينه على الدخول إلى جبلة، فسير معه عسكراً فدخلها.

وأما الفرنج، فإنهم لازموا الحصار، وضايقوا البلد حتى ملكوه، وقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا، وذلك في يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة[2]. وقد تقدم أن أخذها كان في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسمائة، والله أعلم.

وحكي أن السبب في أخذ طرابلس، أنه لما ضايقها الفرنج، كتب من بها إلى الديار المصرية، يستنجدون الخليفة. ويسألونه الميرة. وأقاموا ينتظرون ورود الجواب بالمدد والميرة. فبينما هم في ذلك، إذا بمركب قد أقبل، فلما شكوا أن فيه نجدة. فطلع منه رسول، وقال قد بلغ الخليفة، أن بطرابلس جارية حسنة الصورة، وأنها تصلح

= ص ١٦٣. والظاهر أنه كان متملكاً لعرقه حين قتل سنة ٥٠٢ هـ. أسامة بن منقذ الاعتبار ص ٧٢، حاشية (١٤٢).

(١) في الأصل: طغرلين. والتصحيح من الكامل لابن الأثير ج ١، ص ٤٦٧.

(٢) «في هذه السنة (أي ٥٠٣ هـ) حادي عشر ذي الحجة ملك الفرنج طرابلس» في الكامل لابن الأثير ج ١، ص ٤٧٥.

للخدمة، وقد أمرنا بإرسالها إليه، وأرسلوا إليه من حطب المشمش ما يصنع منه عيدان للملاهي. فعند ذلك آيسوا من نصره، وضعفت قواهم، وخارت نفوسهم وذلوا، وملكها الفرنج في التاريخ المذكور. وكانت مدة الحصار سبع سنين وأربعة أشهر.

ولما ملكها السرداني(١)، تحكم فيها واستقبل بملكها. فبينما هو كذلك، وإذا بمركب قد وصل إليها، وفيه صبي ادّعى أنه ولد الملك صنجيل، واسمه تبران(٢)، ومعه مشايخ من أصحاب والده، يخدمونه ويدبرون أمره. فطلعوا إلى السرداني، وقالوا له هذا ولد صنجيل، وهو يريد تسليم مدينة والده التي فتحها عسكره، فأنكر السرداني ذلك، وقام ورفس الصبي وأخرجه. فأخذه أصحابه، وجعلوا يطوفون به على الفرسان، فرحموه، وتذكروا أيمانهم لأبيه، وقالوا: إذا كان نهار الغد، ونحن عنده، فأحْضَروا وتحدثوا معه، ففعلوا. وتحدث الصبي ابن صنجيل، فصاح به السرداني، فقام الفرسان كلهم على السرداني، وأخرجوه من المملكة، وسلموها إلى الصبي ابن صنجيل. فأقام ملكاً حتى قتله بزواج، وذلك في يوم الأحد، لأربع خلون من شهر رجب، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة. وقتل أكثر أصحابه، وأسر بطرس الأعور. واستخلف في طرابلس ولد القومص بدرا، فأسره أتابك زنكي، لما كان في صحبة متملك القدس فلك بن فلك، وذلك بالقرب من قلعة بعرين، فطلع الملك وجماعة معه إلى قلعة بعرين(٣)، فحاصرهم زنكي وضايقهم، فصالحه الملك على تسليم حصن بعرين، واستخلص القومص صاحب طرابلس وجميع الأسرى. وعاد القومص إلى طرابلس، وأقام حتى وثب عليه الإسماعيلية، فقتلوه. فتولى بعده ريمند(٤)، وهو صبي، وحضر الحرب مع

---

(١) ابن أخت صنجيل، انظر الكامل لابن الأثير ج ١٠، ص ٤٧٥.

(٢) هو ابن غير شرعي لريموند كونت تولوز اسمه برتران Bertrand وتولى أمر أملاكه في تولوز أثناء وجود ريموند في الشرق عندما توفي ريموند حاول الابن الشرعي ألفونسو جوردان أن يحوز إرثه في جنوب فرنسا فتناول عن أملاكه في الشرق لبرتران الذي رحل إلى الشرق سنة ١١٠٨ م في أسطول حتى يأخذ أملاكه من وليم جوردان وساعده ملك بيت المقدس بأن ينال طرابلس بعد فتحها سنة ١١٠٩ م. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٣.

(٣) دارت المعركة عند حصن بعري سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ م، وأحرز زنكي انتصاراً عظيماً. ذلك أن الوقعة انجلت عن هزيمة الفرنج، وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب. واحتمى ملوك الفرنج وفرسانهم بحصن بعري لقربه منهم فحصرهم زنكي فيه ومنع عنهم كل شيء حتى الأخبار. فسلموا. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١١، ص ٥١ ـ ٥٢. وابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٩، وابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥٩ ـ ٦٢.

(٤) هو ريموند الثالث كونت طرابلس ١١٥٢ ـ ١١٨٧. وقع في أسر نور الدين محمود سنة ١١٦٤. وبقي مسجوناً حتى سنة ١١٧٤ وأطلقه سعد الدين بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير. انظر الكامل لابن الأثير ج ١١، ص ٤١٩، والتاريخ الباهر لابن الأثير ص ١٢٢ ـ ١٢٦.

الفرنج على حارم[١]. فكسرهم الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بن زنكي، وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر. وكان من أسر، القومص ريمند، وذلك في سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وبقي في اعتقاله إلى أن ملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فأعتقه في تاسع عشري[٢] شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة[٣]. وبقي المُلْكُ بيده، ويد أولاده من بعده، إلى أن فتحت هذا الفتح المبارك سنة ثمان وثمانين وستمائة في الأيام المنصورية وهدمت المدينة.

واستقر العسكر على عادته بحصن الأكراد والنائب عن السلطنة الأمير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري، وكان اليزك[٤] ينزل إلى طرابلس، من حصن الأكراد. ثم عمَّر المسلمون مدينة مجاورة للنهر. واختلفوا بها، وعمّروا فيها حمامات وقياسر ومساجد، ومدارس للعلم. وأجريت المياه في دورها بقساطل[٥] وعمرت دار السلطنة، ينزلها نائب السلطنة بالمملكة، وهي عالية مشرفة على المدينة.

واستمر الأمير سيف الدين الطباخي في النيابة، إلى أن نقل إلى حلب، في الدولة الأشرفية، في سنة إحدى وتسعين وستمائة. وولاّها [السلطان][٦] الأمير سيف الدين طغربل الإيغاني، فأقام أياماً، واستعفى فأعفاه السلطان الملك الأشرف. ورتب في النيابة، الأمير عز الدين أيبك الخزندار المنصوري، فبقي في النيابة إلى الأيام العادلة الزينية كتبغا المنصوري، فعزله عنها في سنة أربع وتسعين وستمائة. ودفن بتربته التي أنشأها، وهي بجوار حمامه بطرابلس وفوّضت النيابة بها بعده إلى الأمير سيف الدين كرت الحاجب، فلم تطل أيامه إلى أن كان من دخول التتار البلاد، ما نذكره إن شاء الله تعالى، في أخبار الدولة الناصرية، فشهد الوقعة وعدم، وربما استشهد رحمه الله تعالى، ثم فوضت النيابة بعد خروج التتار من الشام، إلى الأمير سيف الدين قطلبك المنصوري، فتوجه إليها، وأقام بها، إلى سنة سبعمائة. واستعفى من النيابة فأعفي، واستقر في جملة الأمراء بدمشق.

وفوضت نيابة السلطنة إلى الأمير سيف الدين استدمر كرجي المنصوري، فاستمر

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١١، ص ٣٠٢.

(٢) في الأصل عشرين.

(٣) راجع ما سبق.

(٤) اليزك: لفظ فارسي، معناه طليعة الجيش ويجمع على أيزاك. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٣٦٤.

(٥) القساطل. المفرد قسطل. وهو أنبوب من الخزف يجري فيه الماء. محيط المحيط.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

بها إلى سنة تسع وسبعمائة[١]. وعمّر بها حماماً عظيماً، أجمع التجار ومن يجوب البلاد، أنه ما عمّر مثله في بلد من البلدان، وعمّر قيسارية وطاحوناً. وأنشأ مماليكه بها مساكن حسنة البناء، تجري إليها المياه بالقنوات، وتجري في طباقها، وعمّر أيضاً بعض القلعة، وأقام أبراجاً. وهذه القلعة مجاورة لدار السلطنة بطرابلس. وتمكّن استدمر تمكّناً كثيراً، وتأمّر عدّة من مماليكه ثم نقل إلى حماه.

وفوض السلطان الملك الناصر نيابة المملكة الطرابلسية وما معها إلى الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحاجب، كان المعروف بالحلبي فأقام بها إلى أن توفي في ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة عشر وسبعمائة. وفوضت النيابة بها إلى الأمير جمال الدين آقش الأفرم، فأقام بها إلى مستهل المحرم سنة ثنتي عشرة وسبعمائة وفارقها، وتوجه إلى بلاد التتار، على ما تذكر ذلك، إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة الناصرية.

وفوّضت النيابة بعده إلى الأمير سيف الدين كستاي الناصري، فأقام بها، إلى أن توفي في شهر رجب سنة ست عشرة وسبعمائة. وفوضت النيابة بعده إلى الأمير شهاب الدين قرطاي الصالحي، وهو النائب بها الآن، إلى حين وضعنا لهذا الجزء، وذلك في سلخ شهر رجب، سنة خمس وعشرين وسبعمائة وسنذكر إن شاء الله تعالى، أخبار هؤلاء النواب في موضعها من هذا الكتاب على ما سنقف عليه. وإنما أوردناها في هذا الموضع، لتكون أخبار طرابلس سياقة، وإن كانت على سبيل الإجمال والاختصار. ولنرجع إلى سياقة أخبار الدولة المنصورية.

ذكر ما اتفق عليه في الدولة المنصورية على حكم السنين خلاف ما ذكرناه من إقامة النواب، ومهادنة الفرنج، والحوادث الغريبة، التي يتعين إيرادها والوفيات

سنة ثمان وسبعين وستمائة [٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م]

قد قدمنا بعض حوادث هذه السنة، في ابتداء الدولة المنصورية، وبقي منها تتمة نذكرها في هذا الموضع.

في هذه السنة فوّض السلطان الملك المنصور نيابة السلطنة، بحصن الأكراد، وما معه من الفتوحات، لمملوكه الأمير سيف الدين بلبان الطباخي.

وفيها، في ذي القعدة، فوّض نظر الدواوين بدمشق، للصدر[٢] جمال الدين

---

(١) في الأصل: «تسعمائة» وهذا تحريف والتصحيح تقتضيه الأحداث.

(٢) هو «صدر الدين».

إبراهيم بن صصري، وذلك بعد وفاة الناظر بها، القاضي علم الدين محمد بن العادلي، وكانت وفاته في يوم الأربعاء خامس عشرين شوال. وتوفي أيضاً قبله، أخوه القاضي تاج الدين ناظر حلب، بها في حادي عشرين شهر رمضان.

وفي هذه السنة، توفي الأمير بدر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمي، خال الملك السعيد. وكانت وفاته بدمشق، في تاسع شهر ربيع الأول. وصلى عليه الملك السعيد، بسوق الخيل، ودفن بقاصيون رحمه الله تعالى.

وفيها، لما كان العسكر ببلاد سيس، في الأيام السعيدية، توفي جماعة من الأمراء، أصحاب الطبلخانات[١]، منهم سيف الدين البطاح، وعلم الدين بلبان المشرفي[٢]، وناصر الدين بلبان النوفلي، وسيف الدين جمق[٣]، وسيف الدين قلاحا الركني، وجمال الدين أقش الشهابي وغيرهم، رحمهم الله تعالى.

وفيها، في يوم الأحد، ثامن شوال، توفي شيخ الشيوخ شرف الدين أبو بكر عبد الله ابن شيخ الشيوخ تاج الدين، أبي محمد عبد السلام، ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن علي بن محمد حمويه بدمشق، ودفن بقاسيون، رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة تسع وسبعين وستمائة
[٦٧٩ هـ = ١٢٨٠ م]

في هذه السنة، في يوم الاثنين خامس المحرم، توفي الأمير جمال الدين أقش الشمسي، نائب السلطنة بالمملكة الحلبية، وهو خوشداش[٤] الأمير بدر الدين بيسري، كلاهما كان مملوك الأمير شمس الدين سراسنقر الكاملي. ففوض بعد وفاته، نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية، للأمير علم الدين سنجر الباشقردي.

وفي هذه السنة، كان من خبر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، وانهزامه من دمشق، وتوجّهه إلى صِهْيُون ما قدمناه. وكان بدمشق بعد مفارقته لها، أمور نذكرها في هذا الموضع.

---

(١) الطبلخانات: كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بين الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق، وكانت العادة أن تدق نوبة في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صحبة السلطان في الأسفار والحروب، والطبلخاناة أيضاً المكان المخصص من حواصل السلطان لطبول الفرقة وأبواقها، وتوابعها من الآلات. القلقشندي: صبح الأعشى (الطبعة المصرية) ج ٤، ص ٨، ٩، ١٣، انظر أيضاً: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي ص ٢٢٩.

(٢) في الأصل: المشرقي، والتصحيح من السلوك للمقريزي ج ١، ص ٦٧٤.

(٣) «حمق» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٧٤.

(٤) خوشداش: تقدم التعريف به.

ذكر ما تجدد بدمشق، بعد أن فارقها الأمير شمس الدين سُنقر الأشقر

لما انهزم الأمير شمس الدين، المشار إليه، كما تقدم، دخل العسكر المصري إلى دمشق، ونزل الأمير علم الدين سنجر الحلبي بالقصر الأبلق، بالميدان الأخضر [خارج دمشق][(١)]. وكان هو المشار إليه في الولاية والعزل، والعطاء والمنع وغير ذلك. فرسم بإيقاع الحوطة على مجد الدين إسماعيل بن كسيرات، وزير سنقر الأشقر، وجمال الدين بن صصري ناظر الدواوين بدمشق، وأخذ خطوطهما بجملة. ورسم على قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان[(٢)]. وضرب زين الدين وكيل بيت المال، ومحيي الدين بن النحاس. ثم ورد بعد ذلك كتاب السلطان بأمان أهل دمشق.

ذكر تفويض نيابة السلطنة بالشام للأمير حُسام الدين لاجين، وشدّ[(٣)] الدواوين للأمير بدر الدين بَكْتُوت العَلائي، والوزارة للصاحب تقيّ الدين تَوْبَة التّكريتِيّ

كان الأمير بدر الدين بكتوت العلائي[(٤)]، قد وصل إلى دمشق، في جملة الجيش المجرّد إليها، لدفع سنقر الأشقر عنها، صحبة الأمير علم الدين الحلبي. فلما استقر أمر دمشق للسلطان، تحدث في نيابة السلطنة بدمشق. واستند في ذلك، إلى أن السلطان الملك المنصور، لما جرده رسم له بها[(٥)] مشافهة. إلا أنه كان في نيابته يلزم الأدب مع الأمير علم الدين الحلبي. واستمر الأمر على ذلك، إلى حادي شهر ربيع الأول من هذه السنة. فلما كان في هذا اليوم، ورد من الباب السلطاني، سبعة نفر على خيل البريد،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في السلوك ج ١، ص ٦٧٦.

(٢) صاحب كتاب وفيات الأعيان، ولد سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١ م. وتوفي سنة ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م. ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ج ١، ص ١١٠، وقضاة دمشق لشمس الدين بن طولون، ص ٧٦، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ج ٥، ص ١٤. ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ١، ص ٥ والأعلام للزركلي ج ١، ص ٢٢٠.

(٣) الشدّ: ترادف كلمة تفتيش، ويسمى متولي هذه الوظيفة «الشاد» مضافاً إليها جهة الاختصاص مثل شاد الحوالي، وشاد الأوقاف، وشاد الزكاة، وشاد الدواوين، وغير ذلك. وشاد الدواوين كانت مهمته مرافقة الوزير والتفتيش على مالية الدواوين وعلى موظفيها. القلقشندي: صبح الأعشى (ط. دار الكتب العلمية) ج ٤، ص ٢٢، محمد قنديل البقلي: التعريف بمطلحات صبح الأعشى ص ١٩٣.

(٤) هو بكتوت بن عبد الله التركي بدر الدين، توفي سنة ٦٩٣، ترجمته في الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ٩٥ حاشية (٣)، والوافي بالوفيات للصفدي ج ١، ص ٢٠٠، ترجمة ٤٦٨٠، والعبر للذهبي ج ٥، ص ٣٧٨.

(٥) في الأصل: «به» والتصحيح يقتضيه السياق.

ومعهم تقليد للأمير حُسام الدين لاجين [الصغير][(١)] المنصوريّ، بنيابة السلطنة بالشام، وتقليد للأمير بدر الدين بكتوت العلائي، بشد الدواوين، وتقليد للصاحب تقيّ الدين تَوْبَة التكريتي بوزارة الشام، ولكل منهم تشريف[(٢)]، و[تشريف][(٣)] لصاحب حماه.

فلما كان في يوم الخميس، ثاني عشر الشهر، اجتمع سائر الأمراء بالميدان الأخضر، ولبس الأمير حُسام الدين لاجين تشريف النيابة، ولبس[(٤)] الأمير بدر الدين بكتوت تشريف الشدّ. وركب الأمير عَلَم الدين الحلبي، والأمير عز الدين الأفرم، والأمير بدر الدين بيليك الأَيْدَمُرِي، وسائر الأمراء والعساكر المصرية والشامية، وساقوا كلهم في خدمة الأمير حُسام الدين. فلما انتهوا إلى باب سر القلعة، ترجلوا بأجمعهم. وقبَّل الأمير حُسام الدين عَتَبة باب السر، ثلاث مرات. ثم تقدّم الأمير عَلَم الدين الحلبي، والأمير عزّ الدين الأفرم ليعضداه حتى يركب، ويمشيان في خدمته إلى دار السعادة. فسلك سبيل الأدب معهما، وامتنع من الركوب، واستمر ماشياً، والأمير علم الدين عن يمينه، والأمير عزّ الدين الأفرم عن يساره، وبقية الأمراء والعساكر، بين يديه، وكذلك القضاة والأعيان والأكابر. ولم يزل ماشياً، إلى أن دخل دار السعادة، وجلس بها في رتبة النيابة، وقُرىء تقليده. ثم خلع في هذا النهار، بعد الظهر، على الصاحب تقي الدين تَوْبة، وأعطى دواة الوزارة بالشام.

ذكر عزل قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان عن القضاء بدمشق وإعادته، وما اتفق في هذه السنة الحادثة

كان السلطان الملك المنصور، قد رسم بشنق قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان لأنه بلغه أنه أفتى الأمير شمس الدين سُنقَر الأشقر، بجواز قتال السلطان. فلما ورد كتاب السلطان بأمان أهل دمشق، قُرىء بحضور القاضي شمس الدين. فقال الأمير عَلَم الدين الحلبي: هذا كتاب أمان لمن سمعه، وقد سمعه القاضي، فهو آمن. ثم عَزله في حادي عشر صفر، وفوّض القضاء لقاضي القضاة، نجم الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين سني الدولة. وكان ابن خلكان بالمدرسة العادلية، فطالبه القاضي نجم الدين بإخلاء مسكنها ليسكن فيه، وكرَّر عليه الطلب. وكان ابن سني الدولة، قد أرسل إلى

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٧٦.
(٢) في الأصل: وفي تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٧٦ «تشريفاً»، والصواب كما ورد في الفتن.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

حلب، لإحضار أهله. فاتفق وصولهم، إلى ظاهر دمشق، في يوم الأربعاء تاسع عشر شهور ربيع الأول. فخرج لتلقيهم، ورسم على القاضي شمس الدين بن خلكان، إلى أن ينتقل من المدرسة، وضيق عليه، وبقي في شدة بسبب ذلك. وسُئل ابن سني الدولة، أن يمهلَ عليه أياماً، إلى أن ينتقِل إلى مكان آخر، فامتنع وشدّد في ذلك وصمّم عليه.

وبقِي القاضي شَمْس الدين في الترسيم، إلى الرابعة من النهار المذكور، وهو يجمع كتبه، ويعبّي قماشه للنقلة، ونقل بعضه. فبينما هو كذلك، وإذا بجماعة من الجاندارية[١] حضروا في طلبه، فظن أن ذلك بسبب خلو المكان فأراهم أنه يهتم[٢] في النقلة. فقالوا له، أنك لم تُطْلب لذلك، وإنما قد حضر بريدية من باب السلطان، فطلبت لذلك. وظن أن الطلب لأمر، هو أشد من النقلة. وخاف، وتوجه إلى نائب السلطنة. فإذا كتاب السلطان قد ورد، وهو ينكر ولاية ابن سني الدولة القضاء وهو أطروش. ويقول[٣]: نحن بيننا وبين القاضي شمس الدين معرفة، من الأيام الصالحية. وسيّر إليه تقليداً بالقضاء على عادته. فرجع إلى المدرسة قاضياً واستقر بها. وعدّت هذه الواقعة من الفرج بعد الشدة. ويقال: إن ابن سني الدولة كان قد أعطى الحلبي على ولايته القضاء ألف دينار، والله أعلم.

ذكر إعادة الصاحب برهان الدين السنجاري إلى الوزارة وعزله

وفي هذه السنة، في أواخر الآخرة، أعيد الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري إلى الوزارة، وعزل الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لُقمان، فعاد إلى ديوان الإنشاء. وكتب من جملة الكتاب، وتصرف عن أمر صاحب الديوان. وولى الصاحب برهان الدين الوزارة. واستمر إلى أن عزل وقبض عليه، وعلى ولده وأَلْزَامه، في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة. واعتقل إلى يوم عرفة من السنة، فأفرج عنه في اليوم المذكور ولزم داره.

وفيها، جرد السلطان، الأمير عز الدين أيبك الأفرم لحصار[٤] شيزر[٥]، وبها

---

(١) الجاندارية: فئة من مماليك السلطان أو الأمير ومثلها الخاصكية، وهي مركبة من لفظين فارسيين: أحدهما «جان» ومعناه سلاح، والثاني: «دار» ومعناه ممسك. ووظيفة الجاندار أنه يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان. القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، صفحة ٢٠. وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٦، ص ١٢٠، حاشية (١).

(٢) في الأصل: «مهم» بدون نقط. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٧٤.

(٣) في الأصل: «ونقول» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٧٥.

(٤) في الأصل: «لحار» والتصحيح يقتضيه السياق.

(٥) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة بينها وبين حماه يوم في وسطها نهر الأردن عليه =

الأمير عز الدين أيبك كرجي من قبل الأمير شمس الدّين سُنقر الأشقر. فبينما هو يحاصرها، وردت الأخبار، أن التتار قد وصلوا على ثلاث[١] فرق: [فرقة][٢] من جهة الروم، ومقدمتهم[٣] صمغار[٤] وتنجي[٥] وطونجي[٦]، وفرقة من الشرق ومقدمتهم بيدو[٧] بن طوغاي[٨] بن هولاكو، وصحبته صاحب ماردين، والفرقة الثالثة فيها معظم العسكر، شرة[٩] المغل صحبة منكوتمر بن هولاكو. فرحل الأمير عز الدين عن شيزر، وكتب السلطان إلى سنقر الأشقر يستميله وذلك قبل انتظام الصلح فجنح إلى السلم، ونزل من صِهْيون، على عزم اتحاد[١٠] المسلمين، وجفل عسكر حلب وحماه وحمص، ولم يحصل قتال التتار هذه السنة.

ذكر[١١] تفويض السلطنة ولاية العهد للملك الصالح علاء الدين علي ابن السلطان الملك المنصور

في هذه السنة، في شهر رجب[١٢]، فوَّض السلطان الملك المنصور ولاية عهده وكفالة السلطنة لولده السلطان الملك الصالح علاء الدين أبي الفتح علي، وذلك عندما

= قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد في كورة حمص وهي قديمة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٤٣٤.

(١) في الأصل: «ثلاثة» والصواب ما ورد في المتن.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٣) «ومقدمهم» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٥.

(٤) هكذا رسم في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٥، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨١.

(٥) في الأصل: «وسحى» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٥، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨١.

(٦) في الأصل: «طرنجي» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٥ والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨١

(٧) في الأصل: بيدر، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٥، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨١.

(٨) في الأصل: طرغاي: والتصحيح من السلوك للمقريزي ج ١، ص ٦٨١.

(٩) في الأصل: وشره، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٥، ورد في السلوك للمقريزي ج ١، ص ٦٨١ «شرار المُغل».

(١٠) في الأصل: «وإيجاد» والصواب كما ورد في المتن.

(١١) انظر تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٦.

(١٢) «في سابع عشر جمادى الآخرة» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٦، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٩.

عزم على التوجه للقاء التتار. وركب الملك [الصالح][١] بالقاهرة بشعار السلطنة، وخُطب له على سائر المنابر بعد والده. وكُتب تقليده[٢] بذلك، وهو من إنشاء المولى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر وبخطه، أجاد فيه وأبلغ، تركنا إيراده اختصاراً.

وفيها، في شهر رمضان، عزل السلطان القاضي صدر الدين عمر ابن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بنت الأعز، عن القضاء بالديار الصرية. وكان قد سلك في ولايته، طريق الخير والصلاح والصلابة، وتحرى الحق والعدل في أحكامه. ثم مات رحمه الله تعالى، في عاشر المحرم سنة ثمانين وستمائة، ولما عزل، أعيد قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين إلى القضاء بالديار المصرية[٣].

ذكر توجه السلطان إلى غزة،وعوده إلى الديار المصرية

وفي هذه السنة، توجه السلطان إلى الشام، وصحبته العساكر الإسلامية، لدفع التتار، فوصل إلى غزة. وكان التتار قد وصلوا[٤] إلى عين تاب[٥] وبغراس[٦] والدربساك[٧]، وتقدموا إلى حلب، فوجدوها خالية[٨]، وقد جفل العسكر وأهلها منها، فأحرقوها[٩] وذلك في العشر الأوسط من جُمادى الآخرة. ولما بلغهم اهتمام السلطان وخروجه، تفرقوا إلى مشاتيهم. وعاد السلطان إلى الديار المصرية؛ لاستحقاق الربيع.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٢) انظر نص التقليد بولاية العهد من الملك المنصور لولده الملك الصالح علاء الدين علي، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠، ص ١٧٠ ـ ١٧٥، وتاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ١٨٧ ـ ١٩٠.

(٣) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٩٥.

(٤) في الأصل: وصل، والصواب كما ورد في المتن.

(٥) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودُلوك رستاقها، وهي من أعمال حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤، ص ١٩٩.

(٦) بغراس: مدينة في لحف جبل اللُّكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٥٢. انظر الروض المعطار للحميري، ص ٣٩.

(٧) الدربساك: وهي قلعة من جند قنسرين، وهي حصينة ذات أعين وبساتين وبها مسجد جامع ولها من شرقيها مروج متسعة حسنة المنظر كثيرة العشب يمر بها النهر الأسود. القلقشندي: صبح الأعشى طبعة دار الكتب العلمية ج ٧، ص ١٩٣.

(٨) «ودخلوها من غير مانع يمنعهم عنها» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٥٤.

(٩) «وأحرقوا الجوامع والمساجد والمدارس المعتبرة ودار السلطنة ودور الأمراء، وأفسدوا إفساداً كبيراً على عادة أفعالهم القبيحة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٥٤.

وجرد الأمير بدر الدين بكتاش النَّجمِي إلى حمص، والأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحي، إلى الساحل في غزو الفرنج بالمرقب، لأنهم لما بلغهم قدوم التتار، قويت نفوسهم، وامتد طمعهم، فأذن السلطان له في ذلك. فجمع جيوش الحصون، وأمر التركمان والرجالة، واستصحب المجانيق وآلات الحصار. وتقدم إلى حصن المرقب، ونزل بالقرب منه، فاختفى أهله، ولم يتحركوا في مبدأ الحال. فقوي طمع العسكر فيهم، وتقدموا إلى جانب الحصن، فرشقهم الفرنج بالسهام والجروخ[١] من أعلى الحصن، وسهام المسلمين لا تصل[٢] إليهم. فاضطرب العسكر، وأمرهم الطباخي أن يتأخروا عن الحصن، فظنوها هزيمة، وولوا، فما أمكنه إلا أن يتبعهم. وخرج الفرنج في أعقابهم ونالوا من المسلمين، وجرحوا منهم جماعة، ونهبوا، وأسروا جماعة من الرجالة. وبلغ السلطان ذلك، فأنكره وكبر لديه، وعزم على السفر.

ذكر توجه السلطان إلى الشام

وفي سنة تسع وسبعين وستمائة أيضاً، عاد السلطان إلى الشام. وكان خروجه من قلعة الجبل، في مستهل ذي الحجة، ونزل بها ولده الملك الصالح، ورتب في خدمته الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، لاستخراج الأموال، وغير ذلك.

وفي هذه السنة، في ذي الحجة، وصل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا من العراق، إلى خدمة السلطان. وعاود الطاعة، وسأل الصفح، عن ما فرط من ذنبه، من إعانة سُنْقُر الأشقر، وما كان عزم عليه من الانضمام إلى التتار، وكان اجتماعه بالسلطان بمنزلة الروحاء. ولما وصل إلى الخدمة، ركب السلطان إليه، وتلقاه وأكرمه، وبالغ في إكرامه وأحسن إليه.

وفيها، في يوم الأربعاء، وقت العصر، رابع عشر المحرم، توفي الشيخ نور الدين أبو الحسن علي ابن الشيخ جلال الدين أبي العزائم همّام ابن راجي الله سرابا بن أبي الفتوح ناصر بن داود الشافعي، إمام الجامع الصالحي بظاهر القاهرة، خارج باب زُوَيلة، ودُفن من الغد بسفح المقطم، رحمه الله تعالى. وولي الإمامة بالجامع الصالحي بعده، ولده الشيخ تاج الدين أبو محمد عبد الله محمد.

وفيها، في يوم الثلاثاء، ثاني عشر شوال، توفي الأديب جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي المصري، المعروف بالخرَّاز الشاعر

---

(١) الجروخ: المفرد جرخ. نوع من القسي يرمى عنه السهام .Dozy. Supp. Dict. Ar.

(٢) في الأصل: «لا يصل»، والتصحيح يقتضيه السياق.

المشهور، مولده بمصر، سنة إحدى وستمائة. سمع أبا الفضل أحمد بن محمد الحباب، وروى وسمع من غيره. وكان أديباً فاضلاً، جيد البديهة حلو المجون، حسن المحاضرة، كثير النادرة، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير سيف الدين أبو بكر، المعروف بابن اسباسلار، متولي مصر. وكان قد سمن، وأفرط به السمن، حتى منعه الأطباء من الرقاد على فرش وطي، ومن النوم إلا إغفاء، وقالوا: إنه متى استغرق في النوم مات. فكان كذلك إلى أن مات. وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر، ودفن بتربته بالقرافة، وله في ولايته بمصر أخبار كثيرة مشهورة من المصريين، سامحه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير نور الدين علي بن عمر الطوري. كان من أبطال المسلمين وشجعانهم وفرسانهم. وله صيت عظيم عند الفرنج، ومعرفة بالبلاد الساحلية ومرابطة وآثار جميلة، ومواقف محمودة. وكان ممن جمع الله له، بين قوة البدن والقلب. كان يقاتل بلتّ[١] حديد، لا يستطيع الشباب حمله، ولازم المرابطة ببلاد الساحل، وفي وجه العدو سنين كثيرة. وكان كريماً ديِّناً، وتنقل في الولايات بالشام. وكان محترماً في الدولة، مكرماً عند الملوك، يعرفون قدره، وحضر المصاف الكائن بين عسكر مصر وسُنقُر الأشقر، فجرح ووقع تحت حوافر الخيل. ومات في أواخر صفر أو أوائل شهر ربيع الأول، بجبل الصالحية وقد ناف على تسعين سنة، رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة ثمانين وستمائة
[٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م]

ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج وبيت الاسبتار[٢]

في هذه السنة، وصل إلى السلطان، وهو بمنزلة الروحاء، رسل الفرنج يسألونه الهدنة، والزيادة على الهدنة الظاهرية، وما زالوا يترددون إلى أن تقررت الهدنة، بين السلطان وولده معاً، ومع مقدم بيت الاسبتار[٣]، وجميع الإخوة الاسبتارية،

---

(١) اللت: لفظ فارسي، والجمع لتوت. ومعناه القدوم أو الفأس الكبيرة. محيط المحيط لبطرس البستاني (لتّ).

(٢) انظر تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٤.

(٣) الاسبتار أو الاسبتارية، الاسبتار: تعريب لكلمة Les Hospitaliers الفرنسية، وقد أنشأ الفرنجة في القدس مشافي يشرف عليها الرهبان، وتأسست حينذاك ثلاث منظمات رهبانية عسكرية هدفها إيواء ومداواة المرضى والجرحى من الجنود والحجاج المسيحيين. وهي: منظمة فرسان القديس يوحنا =

[بعكا][(١)]، لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة شهور، وعشرة أيام، وعشر ساعات، أول ذلك يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثمانين وستمائة[(٢)]، الموافق للثالث من شهر أيار، سنة ألف وخمسمائة واثنتين وتسعين للإسكندر بن فيليبس[(٣)] اليوناني، [وذلك][(٤)] على جميع بلاد السلطان [وولده][(٥)] وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع والحصون، والمدن والبلاد والقرى، والمزارع والأراضي، والموانى والبحور، والمراسي، والثغور، وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة، وعلى التجار

= ومنظمة فرسان الهيكل الفرنسيان، ومنظمة الفرسان التوتونيني الألمان. وعندما استولى الصليبيون على القدس سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩ م تأسست منظمة فرسان القديس يوحنا أو فرسان بيت المقدس وهم الاسبتارية. ولم تلبث المنظمة أن أصبحت ذا سلطة واسعة لها نفوذها نتيجةً للمساعدات المادية والأموال التي كانت ترسل إليها من جميع أنحاء أوروبا المسيحية. ثم رحل الاستبارية من مدينة القدس إلى عكا عندما استرد العرب مدينة القدس بعد معركة حطين عام ٥٨٣ هـ. وبعد تحرير عكا سنة ٦٩٠. وانتقلوا إلى قبرس ثم إلى رودس سنة ٧٠٩ هـ. وأقاموا مؤسساتهم الدينية والدنيوية وعرفوا بفرسان رودس. ونعمت المنظمة بفترة ازدهار وامتدت سيطرتها على سواحل البحر المتوسط وفي سنة ٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢ م لم يستطيعوا الثبات أمام جحافل السلطان سليم الأول القانوني فنزحوا عن رودس، ومنحهم مقرهم الرئيسي وعرفوا باسم فرسان مالطة. وانصرفوا بعد زوال تعصبهم الديني وضعف الروح العسكرية فيهم إلى أعمال البر والإحسان. كان لهذه الطائفة الدينية العسكرية واجبات من أهمها إعداد الفرسان ولهم إشارات، وهي قطعة من النسيج الأبيض يرسم الصليب فوق سترتهم التي يختفي تحتها السلاح. والواضح أن مقدمي طائفتي الاستبارية والداوية، كانوا أمراء مستقلين ومنظمة الداوية هم فرسان المسيح الفقراء أو فرسان الهيكل Les Templiers وسماهم العرب الداوية أو الديوية. وكانت أهدافها مثل منظمة الاسبتارية. وكانت مؤسسة غنية اختلط تاريخها بتاريخ الحروب الصليبية. وأصدر البابا كليمان الخامس سنة ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م مرسوماً بإلغاء المنظمة في جميع أنحاء أوروبا المسيحية وحرمان كل من يرتدي ملابسها ثم أمر البابا بإحراق رئيسها الأعلى جام دي مولاي حياً. انظر الموسوعة الفلسطينية ج ١، ص ٢٠٥، ٢٠٦، ج٢، ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٤. انظر نسخة الهدنة التي عقدت بين السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي صاحب الديار المصرية، والبلاد الشامية وولده الملك الصالح «علي» ولي عهده، وبين حكام الفرنج بعكا وما معها من بلاد سواحل الشام في صبح الأعشى للقلقشندي، ج ١٤، ص ٥٦.

(٢) «أولها يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة النبوية الموافق للثالث من حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربع وتسعين» في صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٤، ص ٥٧.

(٣) في الأصل: «فيلس» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٥ وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٧٤، (ملحق ٦).

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٤، ص ٥٨، وتشريف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر ص ٣٤.

المسافرين في البر والبحر، والسهل والجبل، في الليل والنهار، وعلى قلعة المرقب، والربض المرقبي بحقوقه وحدوده.

وتقررت الهُدنة مع متملك طرابلس بيمند[١] بن بيمند، لمدة عشر سنين كوامل متواليات، أولها يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة، الموافق للخامس من تموز سنة ألف وخمسمائة، واثنتين وتسعين للإسكندر وآخرها سابع عشر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة [للهجرة النبوية][٢]. وذلك على بلاد السلطان الملك المنصور والملك الصالح ولده، قريبها وبعيدها، سهلها وجبلها، غورها ونجدها، قديمها ومستجدها، وما هو مجاور لطرابلس ومحادد لها، من المملكة البعلبكية، وجبالها وقراها الدخلية[٣] والجبلية، وجبال الصنين والقصبين، وما هو من حقوق ذلك، وعلى الفتوحات المستجدة: وهي حصن الأكراد وافليس القليعات وصافيتا، وميعار، واطليعا، وحصن عكار ومرقية، ومدينتها وبلادها، ومناصفاتها، وهي بلاد اللكمة، وجميع بلاد هذه الجهات التي ذكرناها، ومناصفات المرقب التي دخلت في الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى، وبلاد الست وبِلاطُنُس وبلادها، وقرقص[٤] وبلادها، وجبلة ولاذقية وأنطاكية والسويدية وبلاد ذلك، وحصن بغراس، وحصن دير كوش[٥] وصهيون، وبرزية[٦]، وحصون الدعوة[٧]، وغير ذلك من سائر الممالك الإسلامية[٨]، وما سيفتحه

---

(١) المقصود هنا بوهمند السابع الذي خلف على الحكم أباه بوهمند السادس على طرابلس منذ ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م. والمقريزي: السلوك ج ١، ص ٦٨٥.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٧٥.

(٣) في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٧٥، «الرحلية».

(٤) في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٧٥ «قرفيص».

(٥) في صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٤، ص ٦٢ «شقيف دركوش»، وهو حصن قرب أنطاكية من أعمال العواصم. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢، ص ٥١٥.

(٦) معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥٦، «برزُويه» بالفتح وضم الزاي وسكون الواو، وفتح الياء والعامة تقول برْزَيَة: هو حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق، يُضرب بها المثل في جميع بلاد الافرنج بالحصانة.

(٧) حصون الدعوة هي: القدموس، والكهف، والمينقة، والخوابي، والرصافي، والقليعة، والعليقة. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٩٧٥.

(٨) ورد منها في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٧٧. «المملكة الحلبية وحصونها ومدنها وبلادها، وشيزر، وأبو قبيس وبلادها، والمملكة الحموية، وبلادها والمملكة الحمصية وبلادها، وجميع ما للسلطان من ممالك وحصون وبلاد، وقلاع وثغور، وأبراج وموان، وسواحل، وبرور وأنهار، وبساتين، ومصايد، وملاحات، وسهل، وجبل، وعامر، وداثر، وجميع الأمصار مصريها وشاميها، =

الله تعالى، على يد السلطان ويد ولده، وعلى المواني والسواحل والأبراج وغير ذلك، وعلى بلاد الإبرنس، وعلى طرابلس وما هو داخل فيها، وأنفة والبترون وجبيل وبلاد ذلك، وعرقا وبلادها المعنيَّة في الهدنة، وعدتها إحدى وخمسون ناحية، وما هو للخيَّالة والكنائس، وعدّتها أحد وعشرون بلداً، وما هو للفارس روجار دلا[1] لولاي، من قبل طرابلس، يكون مناصفة، وعلى أن يستقر برج اللاذقية وميناؤها في استخراج الحقوق والجنايات[2] والغلات وغيرها مناصفة. ويستقر مقامهم باللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية[3]، وعلى أن يكون على جسر أرنوسية[4]، من غلمان السلطان ليحفظ الحقوق [والغلات][5] ستة عشر نفراً، وهم: المشدّ والشاهد والكاتب وثلاثة[6] غلمان لهم، وعشرة رجَّالة في خدمة المشد، ويكون لهم في الجسر بيوت يسكنونها، ولا يحصل منهم أذية لرعية الإبرنس، وإنما يمنعون[7] ما يجب منعه من الممنوعات، ولا يمنعون ما يكون من عرقا، من الغلات الصيفية والشتوية، وغيرها، لا يعارضهم المشد فيه. وما عدا ذلك مما يعبر من بلاد السلطان، يؤخذ عليه الحقوق. ولا يدخل إلى طرابلس غلة محمية للإبرنس ولا غيره، ويؤخذ الموجب عليها؛ وعلى أن البرنس لا يستجد خارج ما وقعت الهدنة عليه، بناء يدفع ولا يمنع، وكذلك السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها من الأصل في البلاد، التي وقعت الهدنة عليها، وعلى الشواني من الجهتين أن تكون آمنة، كل طائفة من الأخرى. ولا ينقض ذلك بموت أحدهما. ولا بتغييره، وأن لا يُحسِّن لأحد من أعداء مولانا السلطان، ولا يتفق عليه، برمز ولا خط، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة، وتقرر الحال على ذلك وعادت الرسل، وتوجه الأمير فخر الدين أياز الحاجب ليحلف الفرنج ومقدم بين الاسبتار، على ما انعقد عليه الصلح، فحلفهم.

= وساحليها وحجازيها، وغربها وشرقها».

(١) هكذا في السلوك للمقريزي، ج١، ص ٩٧٦.

(٢) الجنايات: ما تقرر على أشخاص مذنبين من أموال على سبيل العقوبة. Dozy. Supp. Dict. Ar.

(٣) الهدنة الظاهرية: هي التي عُقدت بين السلطان الملك الظاهر «بيبرس» سنة ٦٦٩/ ١٢٧٠ م مع بوهمند السادس صاحب طرابلس. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٩٧٢.

(٤) هكذا في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٦.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٧٦.

(٦) في الأصل، وتاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٦ «ثلاث».

(٧) في الأصل: وتاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٠٦، «يمنعوا».

ذكر حادثة[(١)] الأمير سيف الدين كوندك ومن معه، والقبض عليه

وفي هذه السنة، بلغ السلطان وهو بمنزلة الروحاء، أن الأمير سيف الدين كوندك وجماعة من الأمراء الظاهرية، قد توافقوا على الغدر به، ووصلت إلى السلطان كتب المناصحين من عكا يقولون له احترز على نفسك، فإن عندك جماعة من الأمراء قد اتفقوا على قتلك، وكاتبوا الفرنج، وقالوا لهم لا تصالحوا فالأمر لا يبطىء. وعزم كوندك ومن معه، أن يهجموا بالليل على السلطان في الدهليز ويغتالونه. ووافقهم جماعة من الظاهرية الجوانية[(٢)]. فاحترز السلطان ورحل[(٣)] من الروحاء. وتقدم وتلاطف الأمر، حتى اجتمع[(٤)] الأمراء عنده بحمرة[(٥)] بيسان، فوبخ كوندك ومن معه، وذكر لهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج فاعترفوا بذلك، وقرّوا به. وسألوه العفو. فأمر السلطان بالقبض عليهم، فقبض [على][(٦)] كوندك[(٧)] وايدعمش[(٨)] الحكيمي وبيبرس الرشيدي، وساطلمش السلاح الدار الظاهري في الدهليز، وأمر السلطان بإعدامهم، وسير إلى الخيام فأمسك من كان قد وافقهم من الأمراء[(٩)] البرانيين والمماليك الجوانية، وكانوا ثلاثة وثلاثين نفراً، وخاف جماعة فهربوا، فساق العسكر خلفهم، فأحضر بعضهم من جبال بعلبك، وبعضهم من ناحية صرخد، وأخذ كوندك الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة ومضى به إلى بحيرة طبرية وضرب عنقه ثم غرقه بها [هو والبقية][(١٠)].

---

(١) انظر ما ورد في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٦.

(٢) في الأصل «الخوابية» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧.

(٣) في الأصل: «ودخل» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦.

(٤) في الأصل: «أجمع» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧.

(٥) في الأصل: «بجمرة بيسان» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧.

(٧) في الأصل: أوندك، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦.

(٨) في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦ «أيدغمش» بالغين. وفي الأصل: «أيدعمش» بالعين. نقلاً عن المقريزي: السلوك ج ١، ص ٦٨٦ حاشية (٢).

(٩) يطلق هذا الاسم حسبما جاء في القلقشندي ج ٣، ص ٣٧٦، وج ٤، ص ٥٦ على المماليك والأمراء ليسوا من الخاصكية ويقال لهم الخرجية. أما الخاصكية فكانوا يسمون باسم الجوانية وهم الذين يلازمون السلطان ويتجهزون في المهمات الشريفة انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ١١٤، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين الظاهري ص ١١٦، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦ حاشية (٣) و٦٤٤ حاشية (٤).

(١٠) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦.

وفيها، هرب الأمير سيف الدين أيتمش [١] السعدي. وسيف الدين بَلَبان الهاروني[٢]، وجماعة من البحرية الظاهرية. والتتار الوافدية[٣]، يقال: كانوا نحو ثلثمائة فارس، وتوجهوا إلى صهيون، ولحقوا بالأمير شمس الدين سُنْقُر الأشقر، وذلك قبل انتظام الصلح الذي قدمناه، وجرد السلطان خلفهم، الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، [والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا الناصري][٤] وجماعتهم فلم يدركوهم. [وأوقعت الحوطة على موجود من قتل ومن هرب][٥].

ورحل السلطان إلى دمشق، وكان وصوله إليها في يوم السبت العشرين من المحرم[٦]، وهو أول دخوله إليها. [وكان يوماً مشهوداً وقد اجتمع له عسكر عُدته خمسون ألفاً][٧]. وكان من انتظام الصلح بين السلطان الأمير شمس الدين سُنْقُر الأشقر والملك المسعود ما قدمناه. وكانت الوقعة مع التتار على حمص، وقد تقدم ذكرها في الغزوات.

وفي هذه السنة، في يوم الاثنين الثامن[٨] والعشرين من المحرم، والسلطان بدمشق، فوَّض السلطان قضاء القضاة بدمشق، على مذهب الإمام الشافعي، لقاضي القضاة عز الدين بن الصائغ [الشافعي][٩]، وعزل القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان، وفوَّض أيضاً قضاء الحنابلة بدمشق للقاضي نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمٰن الحنبلي. [وكان القضاء على مذهب أحمد بن حنبل][١٠]، قد شغر من [دمشق][١١]، منذ عزل الشيخ شمس الدين نفسه من القضاء، وتوجه إلى الحجاز،

---

(١) في الأصل: «ايتامش».
(٢) في الأصل: «الهدوني» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦.
(٣) تقدم التعريف به.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦. ويرسم أيضاً «طقصو».
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦.
(٦) «في تاسع عشر المحرم» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٠٧، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك ج ١، ص ٦٨٦.
(٨) «الثاني والعشرين» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٠٧ والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٦. «والتاسع والعشرين» في عقد الجمان ج ٢، ص ٢٦٦.
(٩) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧.
(١٠) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٠٧.
(١١) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٧.

في سنة ثمان وسبعين وستمائة، ففوضه السلطان الآن لولده المذكور، بإشارة والده وخلع على القاضيين، واشترط القاضي عز الدين شروطاً فأجيب إليها.

وفيها، في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول، دارت الجهة المفردة[١] بدمشق وأعمالها وضمنت، فقيل[٢]: إنها ضمنت في كل سنة بسبعمائة ألف[٣] درهم. ثم تزايد فيها الضمان حتى بلغت ألفي ألف درهم في كل سنة. فلما كان في يوم الأحد، الخامس والعشرين من الشهر، خرج مرسوم السلطان بإراقة الخمور وإبطال هذه الجهة الخبيثة فبطل ذلك ولله الحمد.

وفيها، في شعبان، فوض السلطان شاد الدواوين بالشام، للأمير علم الدين سَنْجَر الدواداري[٤]، [فوض][٥] نظر النظار للقاضي تاج الدين عبد الرحمٰن بن الشيرازي.

وفي هذه السنة، وصلت رسل الملك المظفر يوسف بن عمر، صاحب اليمن إلى السلطان بالهدايا والتحف، وكان من جملة سؤال صاحب اليمن أن يرسل السلطان إليه قميص أمان[٦]، ويكتب عليه هو وابنه الملك الصالح، فأجابه السلطان إلى ذلك، وجهَّز له هدايا وتحفاً وقطعة زمرد وخيلاً من خيل التتار الأكاديش[٧]، وشيئاً من عُدَدهم[٨].

---

(١) هذه العبارة ومعناه أن الجهة أي الضريبة المفردة أعلنت في المزاد لمن يتعهد بها. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٨ حاشية (٥).

(٢) في الأصل فقال. وفي تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢١٠ «قيل» والتصحيح يقتضيه السياق.

(٣) «بألفي درهم في كل سنة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٨٨.

(٤) في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٦٧ «الدويداري».

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

(٦) وهذه نسخة الأمان أوردها بيبرس المنصوري في زبدة الفكرة ج ٩، ص ١٢٣ أ ـ ب ومنه يتضح أن ملك اليمن كان يفي عقد حلف مع السلطان المنصور قلاوون:
«بسم الله الرحمٰن الرحيم: هذا أمان الله سبحانه وتعالى، وأمان سيدنا محمد ﷺ، وأماننا لأخينا السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر صاحب اليمن المحروس: إنا داعون له، ولأولاده، مسالمون من سالمهم معادون من عاداهم ناصرون من نصرهم، خاذلون من خذلهم لا نرضى له ولأولاده إلا ما رضيناه لأنفسنا، وإنا لا نقبل في حقه سعاية ساعٍ ولا قول واشٍ، ولا تناله منا مضرة مدى الدهر وأعمارنا، ما دام ملازماً لشروط مودتنا، التي شافهنا بها الأمير مجد الدين رسوله فكتب له ذلك على قميص، وكتب له أيضاً في يوم السبت سادس شهر رمضان المعظم سنة ثمانين وستمائة، هذا خطنا شاهد علينا، والله على ما نقول وكيل. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٠٢ حاشية (٦).

(٧) الأكاديش جمع الكديش، وهو لفظ فارسي الأصل، معناه الإنسان أو الحيوان الذي يكون أبوه من جنس، وأمه من جنس آخر، وأطلقه المؤرخون على خيول التتار، لاستخدامها في حمل الأثقال. Dozy, Supp. Dict. Ar. انظر السلوك للمقريزي ج ١، ص ٧٠٣، حاشية (١).

(٨) انظر تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٢٨.

وفيها، في شهر رمضان، قبض السلطان على الأمير ركن الدين أياجي[(١)] الحاجب. [وكان من الأسباب التي نقمت عليه انهزامه في وقعة حمص][(٢)]. وفي ذي القعدة، قبض على الأمير سيف الدين أَيتَمُش[(٣)] السَّعديّ، وجماعة من الأمراء، وقبض بدمشق على الأمير سيف الدين بلبان الهاروني، وسنقر[(٤)] الكردي وغيرهم. وكان أيتمش والهاروني قد عادا إلى الخدمة من جهة سنقر الأشقر بعد المصاف، كما تقدم ذكر ذلك[(٥)].

وفيها، رسم السلطان بإبطال زكاة الدولة[(٦)]، والزكاوات المقررة بالديار المصرية. وكان الناس يجدون مشقة كبيرة لذلك، لأن المال كان ينفد والزكاة باقية، وإذا مات رجل طولب ورثته بالزكاة المقررة عليه.

ذكر وفاة قاضي القضاة تقي الدين رزين، وولاية القاضي وجيه الدين، واستعفائه من قضاء القاهرة، وولاية القاضي شهاب الدين الخُوييّ[(٧)]

وفي هذه السنة، في ليلة الأحد ثلث شهر رجب، كانت وفاة قاضي القضاة، تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى بن عيسى بن موسى بن نصر الله بن هبة الله العامري الشافعي[(٨)]، ودفن بالقرافة، ومولده في يوم الثلاثاء، ثالث شعبان سنة ثلاث وستمائة بحماه، رحمه الله تعالى. وفضائله وعلومه مشهورة، وسماعاته عالية. ولما مات، فوّض السلطان قضاء القضاة بالديار المصرية، للقاضي وجيه الدين عبد الوهاب بن حسين البهنسي المهلبي، في سلخ شعبان، فولي ذلك إلى آخر جمادى الآخرة، سنة إحدى وثمانين [وستمائة][(٩)]. ثم استعفى من قضاء القاهرة والوجه

---

(١) في الأصل: أباجي، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٢٨.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٢٨.

(٣) «وفي يوم الاثنين خامس ذي القعدة» في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٣٣، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٤.

(٤) اسمه «سيقران» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٤، وتاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٣٣ اسمه «سنقران».

(٥) راجع تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٣٤.

(٦) زكاة الدولة: مال يقرر على كل ما يستخدم من آلات ري الأرض وغزل الحرير، وصناعة السكر. Dozy, Supp. Dict. Ar.

(٧) نسبة إلى خويّ من بلاد أذربيجان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٦.

(٨) «توفي عن سبع وسبعين سنة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٤.

(٩) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

البحري، وذكر أنه يضعف عن الجمع بين قضاء المدينتين والوجهين. فأعفي من قضاء القاهرة والوجه البحري، وفوّض السلطان ذلك إلى القاضي شهاب الدين الخويّ(١)، وكان يلي قضاء الغربية. فنقل إلى قضاء(٢) القضاء بالقاهرة والوجه البحري. واستمر إلى أن نقل إلى الشام، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

وفيها، توفي قاضي القضاة، نفيس الدين أبو البركات محمد، ابن القاضي المخلص، ضياء الدين هبة الله ابن القاضي كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر المالكي، قاضي قضاة المالكية بالديار المصرية، في يوم الجمعة مستهل ذي الحجة، ومولده في سنة خمس وستمائة. وَولِّي القضاء من بعده للقاضي تقيّ الدين أبي علي الحسين، في سنة تسع وستين وستمائة. ولمّا مات فوّض السلطان القضاء بعده، للقاضي تقيّ الدين أبي عليّ الحسين ابن الفقيه شرف الدين أبي الفضائل عبد الرحيم ابن الفقيه الإمام مفتي(٣) الفرق جلال الدين أبي محمد عبد الله بن شاس الجذامي السعدي المالكي.

وفيها، توفي قاضي القضاة نجم الدين أبو بكر محمد ابن قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي البركات يحيى بن هبة الله، المعروف بابن سني الدولة الشافعي [عن أربع وستين سنة](٤)، وكانت وفاته بدمشق، في ثامن المحرم، ودفن بتربة جده، بقاسيون جوار المدرسة الصاحبية، رحمه الله تعالى.

وفيها، في ثالث عشر شهر ربيع الآخر، توفي الشيخ الصالح [مجد الدين](٥) عبد العزيز بن الحسين بن إبراهيم الخليلي الداري(٦) بدمشق، ودفت بقاسيون. وهو والد الصاحب الوزير فخر الدين عمر الخليلي.

وفيها، في سحر يوم الجمعة، ثامن ذي الحجة، توفي الشيخ الإمام، بقية العلماء، علم الدين أبو الحسن محمد(٧) ابن الإمام أبي علي الحسين بن عتيق بن عبد الله بن

---

(١) تقدم التعريف به قبل قليل.

(٢) في الأصل: «قاضي» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٤٧.

(٣) في الأصل: «سني الفرق» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٣٥، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٤.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٤.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٤١ وفي الصفحة نفسها «ولد في سنة عشر وستمائة».

(٦) انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٣٩ ـ ٢٤١، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٤.

(٧) انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٤١.

رشيق الربعي المالكي الفقيه، شيخ مشايخنا. ودفن بالقرافة، وكانت جنازته مشهودة. ومولده في يوم الأحد، العشرين من شهر رجب، سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمصر، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير بهاء الدين ابن الأمير حسام الدين بيجار[١]، وكان من أعيان الأمراء وأكابرهم. وكانت وفاته بغزة، وهو منصرف من الديار المصرية، في رابع عشر شعبان، وهو في عشر السبعين تقريباً، ووالده الأمير حسام الدين البابيرتي باق[٢]، وقد كف بصره.

وفيها، توفي الأمير شمس الدين سنقر الألفي. وهو الذي ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية، بعد الأمير شمس الدين أقسنقر الفارقاني كما تقدم. وكانت وفاته في معتقله بثغر الإسكندرية، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير نور الدين أحمد، ويدعى ربالة، ابن الملك الظاهر علي ابن الملك العزيز محمد، ابن الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. وأمه زوجة الأمير بدر الدين بيسري الشمسي المعروفة، بوجه القمر. وكانت وفاته بالقاهرة، في شوال، [وكان][٣] عمره يومئذٍ ستاً وعشرين سنة. وكان بديع الحسن، تام الخلقة، عنده شجاعة وكرم وسكون، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي موفق الدين خضر بن محاسن الرحبي، النائب بالرحبة. وكان يعد من رجال الدهر شجاعة وإقداماً وحزماً، وتدبيراً ومكراً، وحيلاً ومداراة وسياسة. وكان في بدايته جمَّاساً[٤] بالرحبة، لإنسان من أهلها، فمات، فتزوج بامرأته، وحاز موجوده، فصلحت حاله. وخدم من جلة قراغلامية[٥] الرحبة لما كانت الرحبة للملك الأشرف، صاحب حمص، وخدم النواب الرحبة، وتنقلت به الأحوال، وترقى إلى أن ولي نيابة السلطنة بالرحبة. وكانوا بعد ذلك يسمونه الموفق صاحب الرحبة. فلما كان في هذه السنة، حضر إلى دمشق، يتقاضى مواعيد كانت سبقت له من السلطان بالإمرة، فمات بدمشق، ودفن بمقابر باب الصغير، وعمره نحو سبعين سنة، رحمه الله.

---

(١) في الأصل: بدون نقط. وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٦٦، «بيجار»، وذيل مرآة الزمان لليونيني ج٢، ص ٢٠٢.

(٢) وكذلك في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٣٧، نسبة إلى بايبرت.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٤) هكذا في الأصل، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٣٨. والجماز هو الشخص الذي يقوم بعمل القساطيط وآلة الجمازات.. Dozy, Supp. Dict. Ar.

(٥) قراغلامية: تقدم التعريف به.

واستهلت سنة إحدى وثمانين وستمائة
[٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م]

ذكر تفويض نيابة السلطنة بحلب
للأمير شمس الدين قراسُنقر المنصوري

في هذه السنة، فوض السلطان نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية، إلى الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصوري. فاستأذن السلطان في عمارة جامع مدينة حلب وقلعتها، وكان التتار قد أخربوهما[١] فأذن له في ذلك، فعمّرهما[٢] أحسن ما كانا.

وفيها، في حادي شهر ربيع الآخر، فوَّض السلطان الوزارة للقاضي الصاحب نجم الدين حمزة بن محمد الأصفوني، وكان قبل ذلك يلي نظر الدواوين. وكان في ابتداء ترقيه لي نصف مشارفة الأصل[٣]، بالأعمال القوصية. ثم ولي في الدولة الظاهرية، نظر الأعمال القوصية، ثم وضع إلى نظر الأعمال الإخميمية. ثم تنقّل فولي نظر النظار بالديار المصرية، ثم الوزارة. ولم تطل مدة وزارته، فإنه مات بعد سنة من يوم وزارته، رحمه الله تعالى. وفوضت الوزارة بعده، للأمير علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري.

وفيها، وفد إلى خدمة السلطان، شخص من أولاد الأُوَيْراتية[٤]، يسمى الشيخ علي. كان قد دخل في دين الإسلام، وخدم المشايخ، وعانى أسباب الرياضة والانقطاع.

---

(١) «أخربوها» في الأصل، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥٠، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٨.

(٢) في الأصل: «فعمرها» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥٠، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٨.

(٣) من وظائف الديوان، عمله طلب التفاصيل الكاملة عن أية جهة من الجهات الضريبية التي تقع في دائرة عمله ويدخل في عهدته جمع المتحصلات المالية بعد ختمها، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٣١٢، انظر قوانين الدولة لابن دقماق ص ٣٠٢.

(٤) في الأصل: «الأويراتية» ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥٠، والأويراتية: نسبة إلى لفظ أويرات، ويقال عويرات، وهو اسم جنس يطلق على عدة قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من حوض نهر ييني بأواسط آسيا، وهم أصل جنس الكالموك، وكانت قبائل الأويراتية أو العويراتية قد خضعت لسيادة جنكيزخان وآزرته في حروبه، وتزاوجت بيوتها في بيته، ومن إحدى تلك الزيجات كان بغا تيمور الذي خدم بفئة من الأويراتية مع هولاكو في فارس وغربي آسيا. وقد بقيت تلك الفئة هناك حتى عهد إيتخان غازان حين رحل إلى بلاد الدولة المملوكية. المقريزي: السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٨، حاشية (٣).

فظهرت له كرامة من كرامات الفقراء، فتبعه جماعة من أولاد المغل. فخرج بهم من تلك البلاد إلى الشام، ثم إلى الديار المصرية. ومثلوا بين يدي السلطان، فأحسن إليهم، منهم الأقوش وتمر وعمر، ثلاثة إخوة، وجويان[١] وجماعة، رتب السلطان بعضهم في جملة الخاصكية، وتنقلوا إلى الإمرة، ثم ظهر من الشيخ علي أمور أنكرت عليه فسجن، ثم سجن الأقوش، ومات تمر[٢] وعمر في الخدمة.

وفي هذه السنة، في صفر، قبض السلطان على الأمير بدر الدين بيسري الشمسي، والأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي وغيرهما، واعتقلوا. واستمر الأمير بدر الدين بيسري في الاعتقال إلى الدولة الأشرفية، فأفرج عنه، على ما نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها، في يوم عرفة، قبض بدمشق على الأمير عز الدين أيبك كرجي، والأمير علم الدين الروباسي[٣]، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير عز الدين أيدمر الظاهري[٤]، نائب السلطنة، والده بدمشق كان[٥]، وعلى زين الدين ابن الشيخ عدي[٦]، واعتقلوا.

وفيها، في حادي عشرين، شهر رمضان احترق سوق اللبادين وسوق جيرون بدمشق، إلى حيطان الجامع. واتصل الحريق إلى حمام الصحن، ودار الخشب، وكان ابتداء الحريق من وقت المغرب، واستمر ثلاثة أيام، وركب بسببه نائب السلطنة وسائر الأمراء، والعسكر، والحجارين والنجارين، حتى خرَّبوا[٧] قدم النار فانقطعت. واحترق سوق الكتبيين، فكان ما احترق فيه لشمس الدين إبراهيم الجزري الكتبي، خمسة عشر ألف مجلد، غير الكراريس والأوراق. وكان سبب هذا الحريق، أن بعض الذهبيين[٨] غسل ثوبه ونشره، وجعل تحته مجمرة نار وتركها، وتوجه للفطور، فتعلقت النار بالثوب، واتصلت ببارية[٩] كانت معلقة، ومنها إلى السقف، وسلم أربعة دكاكين من ناحية درج اللبَّادين.

---

(١) «وجُوْبان» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٩.
(٢) «ومات تمر» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥٠، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٩.
(٣) في الأصل: «الزوباشي» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥١.
(٤) «الداهري» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥١.
(٥) كان والده نائب السلطنة بدمشق.
(٦) هكذا أيضاً في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥١، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٩ الشيخ علي.
(٧) «أخربوا» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥٠.
(٨) الذهبيون: جماعة يشتغلون بطلاء المعدن بالذهب الفيروزأبادي: القاموس المحيط (ذهب).
(٩) البارية: الحصير المنسوج. الفيروزأبادي: القاموس المحيط (بري).

ذكر وصول رسل أحمد سلطان، وهو توكدار بن هولاكو، ملك التتار

وفي هذه السنة، وصل رسل أحمد[١] [أغا][٢] سلطان ابن هولاكو، وهو الذي ملك بعد أبغا، وهم قطب الدين محمود الشيرازي، قاضي سيواس، والأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم، والصاحب شمس الدين محمد ابن الصاحب، وهو من أصحاب صاحب ماردين. وعند ورود الخبر بوصولهم إلى البيرة، أمر السلطان، الاحتراز عليهم، بحيث لا يشاهدهم أحد، فساروا بهم في الليل، إلى أن حضروا بين يدي السلطان. وأحضروا كتاباً من أحمد سلطان، يتضمن أنه قد ملك التتار، وهو مسلم. وقد أمر ببناء المسجد والمدارس والأوقاف، وأمر بتجهيز الحاج، إلى غير ذلك من أنواع وجوه البر والقربات. وطلب اجتماع الكلمة، وإخماد الفتن والحروب. وذكر أن أصحابه وجدوا جاسوساً في زي الفقراء فمسكوه، وإن عادة مثله القتل. وجهزه إلى الأبواب السلطانية. وقال إنه لا حاجة إلى الجواسيس ولا غيرهم، بعد الاتفاق واجتماع الكلمة، إلى غير ذلك مما فيه استجلاب خاطر السلطان. وظهرت رغبته في الصلح، وأنه كتب من واسط، في جمادى الأولى. فأجابه السلطان جواباً حسناً، يتضمن تهنئته بالإسلام، وأجابه إلى ما طلب من الصلح، وأعاد رسله مكرّمين، فوصلوا إلى حلب في سادس شوال، وتوجهوا إلى بلادهم[٣].

وفيها، بنى السلطان ببنت[٤] سكتاي بن قراحين بن جنغان نوين. وكان سكتاي هذا، قد ورد إلى الديار المصرية، وهو وقرمشي، في سنة أربع وسبعين وستمائة، صحبة بيجار[٥] الرومي، في الدولة الظاهرية. وهذه هي والدة السلطان الملك الناصر.

وفيها، تزوج الملك الصالح ابن السلطان الملك المنصور بمنكبك[٦]، ابنة الأمير

---

(١) كان اسم هذا السلطان في الأصل تكدار، وقد اتخذ اسم أحمد عندما اعتنق الإسلام قبل سلطنته، وهو الذي خلف أبغا على مملكة إيلخانات المغول بفارس. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٠٤. وانظر أيضاً السلوك للمقريزي ج ١، ص ٧٠٧، حاشية (١)، وفيه نص الكتاب الذي أنفذه هذا السلطان المذكور أعلاه إلى أهل بغداد يعلن فيه إسلامه وسلطنته.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٧.

(٣) راجع ما ورد في تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٧ ـ ٧٠٨.

(٤) في الأصل: «بيت» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥١.

(٥) في الأصل: «بانيجار» والتصحيح من ذيل مرآة الزمان لليونيني ج ٢، ص ٢٠٢..

(٦) في الأصل: «مبلبك» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥١.

سيف الدين نوكية بن شان[١] قطعان. وكان نوكية إذ ذاك معتقلاً بثغر الإسكندرية. فرسم السلطان بالإفراج عنه، وأحضره إلى الأبواب العالية، وشمله الإنعام. وتقرر العقد على خمسة آلاف دينار عيناً، قُدِّم منها ألفا دينار.

وفيها، استقرت الهدنة بين السلطان والمقدم افرير[٢] كليام ديباجوك[٣]، مقدم بيت الديوية بعكا والساحل وديوية[٤] انطرطوس[٥]، لمدة عشر سنين، أولها خامس المحرم، سنة إحدى وثمانين وستمائة.

ذكر الظفر بملك من ملوك الكرج وإمساكه

وفيها، بلغ السلطان الملك المنصور، أن ملكاً من ملوك الكرخ، خرج من بلاده، لزيارة القدس الشريف ويعود خفية، واسمه توما سوطايس كلياري. ووضعت له صفته، ومعه رفيق يسمى طبيغا بن انكوار، وأنهما ركبا المراكب من ساحل بوط[٦]، فحفظت عليه الطرقات من كل جهة، فلم يصل إلى موضع إلا وخبره قد سبق إلى السلطان. فلما وصل إلى القدس الشريف، أمسك هو وترجمانه[٧]، وأحضرا[٨] إلى الديار المصرية، واعتقلا بها.

وفي هذه السنة، ولي القاضي بدر الدين محمد ابن الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن جماعة الكناني الشافعي، تدريس المدرسة القيمرية، وذكر الدرس بها، في تاسع عشر شوال. وحضر دروسه القضاة والعلماء.

وفيها، في يوم الثلاثاء، ثامن شهر رجب، كانت وفاة الشيخ الإمام العالم الزاهد، زين الدين أبي محمد عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي المالكي، بدمشق. ومولده بظاهر بجاية في سنة تسع أو ثمان وثمانين وخمسمائة. ووصل إلى دمشق في سنة ست عشرة وستمائة، وأقام بها إلى حين وفاته، وولي القضاء في الدولة الظاهرية، بعد امتناع منه، كما تقدم، ولم يأخذ عنه جامكية، ولا لبس تشريفاً. ثم عزل نفسه، في سنة ثلاث

(١) في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥١ «سان قطعان».
(٢) افرير: هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية frére ومعناها الأخ عامة.
(٣) المقصود بهذا الاسم Guillaume de Beau jeu، انظر السلوك للمقريزي ج ١، ٩٨٦.
(٤) في الأصل: «ديومه» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥٢.
(٥) في الأصل: «انطروس» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥٢.
(٦) بدون نقط في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥١ حاشية ١٠.
(٧) «قبض عليه وعلى ترجمانه» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥٢.
(٨) «وأحضروا» في الأصل، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٥٢.

وسبعين وستمائة. وحلف إلا يلي القضاء بعدها. فأقر السلطان نائبه وصهره القاضي جمال الدين يوسف، وقد تقدم ذكر ذلك في مواضعه. وكان رحمه الله تعالى، كثير التواضع، يشتري حاجته ويحملها بنفسه(١).

وفيها، في يوم الأحد سادس عشرين شعبان، توفي الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن شيخ الإسلام، عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام، ودفن بتربة والده بالقرافة. ومولده بدمشق، في سنة خمس وستمائة، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الملك الظاهر شادي ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظم سيف الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل، سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب. وكانت وفاته بالغور، في السابع والعشرين من شهر رمضان. ونقل إلى البيت المقدس، فدفن به. ومولده بقلعة دمشق، بعد صلاة الجمعة، سبع عشر ذي الحجة، سنة خمس وعشرين وستمائة.

وفيها، توفي القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي. الشافعي الأربلي. وكان وفاته بالمدرسة النجيبية بدمشق، في عشية يوم السبت سادس عشر شهر رجب، ومولده بمدينة إربل، في يوم الخميس(٢) بعد صلاة العصر، حادي عشر، شهر ربيع الآخر(٣)، سنة ثمان وستمائة. وقد تقدم ذكر ولايته(٤) القضاء بالشام. وكان رجلاً عالماً، وحاكماً عادلاً، وأديباً بارعاً، ومؤرخاً جامعاً، وكريماً سمحاً، جواداً مدارياً. يحب الرفق بالناس، وكان طاهر المجلس، لا يغتاب أحد أحداً في مجلسه. وله مناقب مشهورة، وحكايات مذكورة، تدل على حسناته وستره، رحمه الله تعالى(٥).

وفيها، توفي الشيخ الصالح، أبو الفدا(٦) إسماعيل بن إسماعيل بن جوسلين البعلبكي بها، في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من صفر. ومولده سنة أربع وستمائة. سمع صحيح البخاري، على ابن الزبيدي وأسمعه، رحمه الله تعالى.

وفيها، كانت وفاة السديد هبة الله النصراني القبطي المعروف بالماعز، مستوفي

(١) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥٦.
(٢) «مولده في ليلة الأحد» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٩٩.
(٣) «حادي عشر جمادى الآخرة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٩٩.
(٤) في الأصل: ولاية، والتصحيح يقتضيه السياق.
(٥) انظر هذه الترجمة في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١١.
(٦) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٥٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٠٢.

الصحبة بالديار المصرية. وكان قد تمكن في هذه الوظيفة عند الملك الظاهر، وتقدم على أبناء جنسه، وله معرفة تامة بالديار المصرية والبلاد الشامية، لم يشاركه أحد في زمانه من أبناء جنسه كلّهم، وقد أقر له بالفضل في صناعته، وكان متعففاً عن الأموال، وعنده ستر على الكتاب والمتصرفين. ولما مات، رتب السلطان في وظيفته، ولده الأسعد جرجس. وتمكن الأسعد في الدولة المنصورية تمكناً كثيراً، ما سمع بمثله لمثله.

واستهلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة
[٦٨٢ هـ = ١٢٨٣/ ١٢٨٤ م]

في هذه السنة، توجه السلطان إلى البحيرة، لحفر الخليج المعروف بالطيرية[١]. وتوجه صاحب حماه في خدمته، وكان قد وصل إلى الأبواب السلطانية في هذه السنة. فحفر هذا الخليج، وكان طوله ستة آلاف وستمائة[٢]، وعرضه ثلاث قصبات، وعمقه أربع قصبات، بالقصبة الحاكمية[٣]، وكان إنجازه في عشرة أيام، وروي بسببه من أعمال البحيرة[٤]، ما لم يكن يروى قبله، في سنة من السنين.

وفيها، في عاشر شهر ربيع الأول، فوَّض السلطان إلى الصاحب برهان الدين الخضر السّنجاري، النظر والتَّدريس بمدرسة الإمام الشافعي [بالقرافة][٥]، بالجامكية[٦] والجراية. والرسم الشاهد به، كتاب الوقف الصلاحي، يوسف بن أيوب، رحمه الله

(١) في الأصل: «الطبرية» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٦٠، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٢، وترعة الطيرية تخرج من النيل قرب قرية مسماة بهذا الاسم، وهي الآن ترعة الحاجر. المقريزي: السلوك ج١، ص ٧١٢، حاشية (٢).

(٢) «وخمسمائة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٦٠، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٢.

(٣) كانت القصبة الحاكمية إحدى مقياسين مستعملين لضبط الأراضي الزراعية في مصر، وهما القصبة الحاكمية، والقصبة السّندفاوية وقد عرفت الأولى وهي الأكثر شيوعاً بالحاكمة لأنها حرّرت زمن الخليفة إلى بلدان سندفا بالقرب من مدينة المحلة الكبرى، وكانت تستعمل في بعض بلاد الوجه البحري فقط. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥١٢.

(٤) في الأصل: «البحرية» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٦٠.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٢، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٣.

(٦) الجامكية: تجمع على جوامك وجامكيات، وهي الرواتب عامة، وأصل اللفظ فارسي: «جامه» بمعنى اللباس، ومعناها اللغوي كما يرى دوزي هو مصروفات دولاب الملابس، وقد جرى استعمالها الاصطلاحي بمعنى الجراية الشهرية، محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٨٢، انظر أيضاً تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل لأحمد سليمان ص ٥٩.

تعالى، وهو عن [معلوم][١] التدريس، في كل شهر أربعون ديناراً معاملة. صرف كل دينار ثلاثة عشر درهماً وثلث درهم وعن النظر عشرة دنانير [والجراية][٢]، والرسوم في كل يوم، من الخبز ستون[٣] رطلاً، بالرطل المصري، وراويتان[٤] من الماء الحلو، وكانت هذه المدرسة خلت من مدرس، من ثلاثين سنة، واكتفى فيها بالمعيدين[٥]، وهم عشرة. واستمر الحال على ذلك، إلى سنة ثمان وسبعين وستمائة. فولي تدريسها قاضي القضاة تقي الدين بن رزين، عند عزله من القضاء، وقرر له نصف المعلوم. ثم انتقلت بعد وفاته إلى غيره بربع المعلوم. وبقي الأمر على ذلك إلى الآن[٦]، ففوضت إليه بتوقيع شريف سلطاني منصوري.

ذكر توجه السلطان إلى الشام وعوده

وفي هذه السنة توجه السلطان إلى الشام، في النصف من جمادى الأولى، ووصل إلى غزة، في سابع جمادى الآخرة، وأقام بها أياماً، ثم رحل[٧] إلى دمشق، فدخلها في ثامن شهر رجب، ونزل بالقلعة.

ذكر عزل قاضي القضاة عز الدين ابن الصائغ الشافعي عن القضاء، وتولية قاضي القضاة بهاء الدين يوسف بن الزكي

كان سبب عزل قاضي القضاة عز الدين ابن الصائغ عن القضاء بدمشق، أن تاج الدين بن السنجاري [قاضي قضاة][٨] حلب، أثبت محضراً، أن الطواشي ريحان الخليفتي، أودع شرف الدين بن الإسكاف، ثمانية آلاف دينار، وأن ذلك انتقل إلى يد القاضي عز الدين المذكور بحكم الوصية. فطلب القاضي عز الدين، في يوم الجمعة حادي عشرين شهر رجب، وكان قد حضر إلى الجامع الأموي، لسماع خطبة القاضي جمال الدين بن عبد الكافي، وكان قد ولي الخطابة والإمامة بدمشق. فتوجه من الجامع

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٢.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٢.
(٣) في الأصل: ستين، والتصحيح يقتضيه السياق.
(٤) في الأصل: روايتين.
(٥) في الأصل: «بالمعتدين» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٢.
(٦) العبارة واردة عند النويري وابن الفرات على الرغم من أنهما يعيشان في زمنين مختلفين. فالنويري عاش في زمن سابق على ابن الفرات.
(٧) في الأصل: «دخل»، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٤.
(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٥.

إلى القلعة، وحضر[١] إلى الأمير بدر الدين الأقرعي مشد الصحبة، والقاضي شهاب الدين بن الواسطي، الناظر بالصحبة. فرسم المشدّ على القاضي بمسجد الحبالة[٢]، ولم يصلِّ الجمعة. وفوّض عليه الأمر، وعزل عن القضاء في يوم الأحد ثالث عشر من الشهر. وفوّض القضاء للقاضي بهاء الدين يوسف ابن القاضي محيي الدين بن الزكي. ومنع الناس عن الدخول على القاضي عز الدين والاجتماع به، إلا من لا بد منه، ثم ادعى عليه أن عنده حياصة[٣] وعصابة[٤]، القيمة[٥] عنهما خمسة وعشرون[٦] ألف دينار، وأنهما كانا عند عماد الدين ابن الشيخ محيي الدين بن العربي[٧]، للمالك الصالح إسماعيل بن أسد الدين شيركوه، وانتقل ذلك إلى عماد الدين ابن الصائغ، ومنه إلى أخيه القاضي عز الدين. ثم ادعى عليه، أن الأمير ناصر الدين ابن الأمير عز الدين أيدمر، نائب السلطنة والده، كان أودع عنده جملة كثيرة، واشتد عليه الأمر، ووكّل الملك الزاهر[٨] في مطالبته، فظهر الأمر بخلاف ذلك. وهو أن القاضي عز الدين أثبت عداوة تاج الدين السنجاري، [الحاكم بحلب][٩]، وعجز الخصم عن تحقيق حال العصابة والحياصة، وما فيهما من اللؤلؤ والبلخش[١٠]. وظهرت براءته من الوديعة بأمور يطول شرحها. وانتصر له الأمير حسام الدين لاجين، نائب السلطنة بالشام، واستمال حسام الدين طرنطاي، فخاطبا السلطان في أمره فأفرج عنه، في ثامن عشرين شعبان من السنة، واستمر معزولاً إلى أن مات، وكانت وفاته بحمص، ظاهر دمشق، في عشية يوم الأحد، تاسع شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وقد بقي من النهار ساعة.

---

(١) «احضر» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٥.

(٢) في الأصل: «الخيانة» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٥.

(٣) في الأصل: خاصة، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٥، والحياصة: سيرٌ في الحزام، ابن منظور: لسان العرب (حيص).

(٤) عصابة: راية عظيمة من الحرير، مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ٧ ـ ٨، والمقريزي: السلوك ج ١، ص ٤٣٣ حاشية (١).

(٥) في الأصل: القيامة، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٥.

(٦) في الأصل: وعشرين. والصواب كما ورد في المتن.

(٧) في الأصل: ابن المغربي، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٥.

(٨) هكذا في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٥.

(٩) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٥.

(١٠) البلخش: من الأحجار الكريمة يستخرج من موضع يقع بالقرب من بذخشان بإقليم ما وراء النهر. وهو أحمر شفاف، مثل الياقوت في لونه، ولكن يقل عنه صلابة. ومنهما هو مائل إلى البياض ومنه ما هو مائل إلى اللون البنفسجي. ابن الأكفاني: نخب الذخائر في أحوال الجواهر، ص ١٥، انظر كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار للتيفاشي ص ٢٥٧.

ودفن في يوم الاثنين بتربته بقاسيون، رحمه الله تعالى.

وأما السلطان، فإنه أقام بدمشق، إلى أن رتب أحوالها، وقدم مصالحها ثم عاد إلى الديار المصرية، وكان استقلال ركابه من دمشق، في يوم الأربعاء ثاني شهر رمضان، ووصل إلى قلعة الجبل، في الخامس والعشرين من الشهر.

وفيها، وصلت رسل عكا، وتقررت الهدنة[١] مع الديوية والاسبتار [والملك المنصور][٢] لعشر سنين، وعشرة شهور، وعشرة أيام، وعشر ساعات. أولها خامس شهر ربيع الأول منها.

وفيها، تزوج السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور باردكين ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، وهي أخت زوجة أخيه الملك الصالح.

ذكر وصول الشيخ عبد الرحمٰن ومن معه من جهة أحمد سلطان، ووفاة مرسلهم، وما كان من خبرهم

وفي هذه السنة، وصل الشيخ عبد الرحمٰن، من جهة أحمد سلطان ملك التتار، وصحبته، صمداغوا[٣]، والأمير شمس الدين محمد بن التيتي، المعروف بابن الصاحب وزير صاحب ماردين، وجماعة من صحبتهم نحو مائة وخمسين نفراً.

وكان هذا الشيخ قدوة أحمد سلطان ملك التتار، وهو الذي استسلمه، وقرر قواعد الصلح بينه وبين السلطان، وبلغ منه مبلغاً عظيماً، إلى أن كان يقف بين يديه، وظهرت منه أمور للمغل استمالهم بها. وتحدث في سائر الأوقاف وعظم ذكره ببلاد الشرق. وركب بالجتر[٤] والسلاح دارية والجمدارية. وظن أنه إذا حضر إلى السلطان تمكن منه، ويتم له في هذه المملكة، ما تم له بالعراق. فلما وصل إلى البيرة، تلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسي، أحد الأمراء بحلب، ومنعه من حمل الجتر والسلاح ونكب به عن الطريق المسلوك، إلى أن أدخله إلى حلب، ثم إلى دمشق، كان وصوله إلى دمشق، في ليلة الثلاثاء، ثاني عشر ذي الحجة، ولم يتمكن أحد من الناس أن يراه ولا يكلمه.

---

(١) انظر نص هذه الهدنة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٨٥، ملحق رقم ٨.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٦٢.

(٣) «صمداغوا» في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٩.

(٤) الجتر: من شعار السلطنة، ويعرف بالمظلة. وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب، يعلوها طائر من فضة مطلية بالذهب. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤. وهي في الدولة التركية في المشرق على زمن ابن خلدون بمعنى الراية العظيمة. انظر صبح الأعشى: القلقشندي، ج ٤، ص ٤، حاشية (١).

ولما وصل إلى دمشق، أنزل في قلعتها بقاعة رضوان، إلى أن وصل السلطان إلى دمشق. ويقال إنه رتب للشيخ ولمن معه، في كل يوم ألف درهم نفقة وأطعمة وحلوى، وغير ذلك بألف درهم أخرى. واستقر بالقلعة، إلى أن وصل السلطان بين يدي السلطان ألف مملوك وخمسمائة مملوك، عليهم الأقبية الأطلس الأحمر، بالطرز(١). والكلوتات(٢) الزركش. وقدم بين يديه ألف شمعة وخمسمائة شمعة. وحضر الشيخ عبد الرحمٰن والأمير صمداغوا وشمس الدين ابن الصاحب، وأدوا الرسالة فسمعها السلطان، وأعادهم إلى مكانهم، ثم استحضرهم مرة ثانية وثالثة، حتى استوعب ما عندهم من الأخبار، وما وردوا به من الرسالة. ثم أعلمهم السلطان في المرة الثالثة، أن مرسلهم قد قتل، وجلس على تخت المملكة أرغون بن أبغا. وكانت القصاد قد وصلت بهذا الخبر.

ونُقلوا من قاعة رضوان، إلى بعض قاعات القلعة، ورُتب لهم بقدر الكفاية. ثم سيّر إليهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، استاذ الدار، وقال: قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان، فليجمع كل واحد منكم قماشه، ففعلوا ذلك. فلما صاروا في دهاليز الدار فتشوا، فأخذ منهم جملة كثيرة من اللؤلؤ وغيره. ويقال: إنه كان بيد الشيخ عبد الرحمٰن سبحة لؤلؤ، قيمتها تزيد على مائة ألف درهم، فأخذت في جملة ما أخذ، واعتقلوا. فمات الشيخ عبد الرحمٰن، في ثامن وعشرين شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين بقلعة دمشق، ودفن بمقابر الصوفية. وهذا الشيخ المذكور، هو تلميذ شيخ الإسلام موفق الدين الكواشي، ثم رباه الشيخ المشار إليه، واشتغل عليه وخدمه. وقيل: إنه علم منه الاسم الأعظم، ويقال: إن الشيخ أعطاه كتاباً في علم السيمياء(٣). وقال له: توجه بهذا إلى النهر واغسله، فأخذه وأخفاه. وعاد إلى الشيخ، وأخبره أنه غسله. ثم اشتغل بهذا العلم، وتوجه إلى التتار، واجتمع بالخوانين وأراهم، من هذا العلم، ما

---

(١) الطرز: أي مرقمة بالزركش، الفيروزأبادي: القاموس المحيط (طرز).

(٢) الكلوتات: جمع كلوتة وهي غطاء الرأس وتسمى أيضاً كلفة وكلفتاه وكلفته. يقول البعض أنها من أصل لاتيني، ويقول آخرون أنها معرفة عن الفارسية. انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي ص ٢٨٨. وصبح الأعشى: القلقشندي، ج ٤، ص ٣ ـ ٤.

(٣) في الأصل: السمياء: والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٨، والسيمياء لفظ مشتق من سيماء بمعنى العلامة والشارة، أما اللفظ الذي جرى الاصطلاح عليه بأنه من أنواع السحر فإنه مشتق من لفظة سريانية بمعنى العلامات والحروف وللفظ معنيان الأول بمعنى السحر والطلسمات وهي استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر. والمعنى الثاني ويسميه ابن خلدون علم أسرار الحروف. ابن خلدون: المقدمة. ص ٤٢٢. دائرة المعارف الإسلامية ج ١٣، ص ٢٠.

اقتضى تمسكهم به، وحظي عند والدة السلطان أحمد، في صغر أحمد، وتألّف به، فلما ملك التتار، حكّمه في سائر ممالكه. ورسم له أن يركب بالجتر، فركب به، ثم جهزه في هذه الرسالة فمات. وبقي أصحابه في الاعتقال مدة، وضُيِّق عليهم. ثم كتب الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بالشام، إلى السلطان بسببهم، فرسم بإطلاقهم. واستمر الأمير شمس الدين في الاعتقال، ونقل إلى قلعة الجبل، واعتقل بها مدة طويلة. ثم فرج عنه بعد ذلك، وولي نيابة دار العدل بالديار المصرية.

وفي سنة اثنتين وثمانين أيضاً، وصل من جهة تدان منكو[(١)]، الجالس على كرسي الملك، بيت بركة، نفران من فقهاء القفجاق، وهما مجد الدين أطا ونور الدين وأحضرا على أيديهما كتاباً من جهته بالخط المغلي، فقرىء فكان مضمونه، أنه دخل في دين الإسلام، وأنه أقام شرائع الملة المحمدية، وأوصى على الفقيهين الواصلين بكتابه، وأن يساعدا على الحج المبرور. وذكرا من ألسنتهما مشافعة، أن الملك سأل السلطان، أن ينعته نعتاً، يتسمى به من أسماء المسلمين، ويرسل إليه علماً خليفتياً، وعلماً سلطانياً، يقاتل بهما أعداء الدين. فجهز السلطان الفقيهين[(٢)] إلى الحجاز ولما عادا جهزهما[(٣)] إلى مقصدهما.

وفيها، أمسك تبرك[(٤)]، كان بالحدث من جبال طرابلس، وكانت شوكته قد قويت، وانضم إليه جماعة كثيرة من أهل تلك الجبال، وتحصن بالحدث. فقصده التركمان، وتحيلوا عليه، حتى تمكنوا منه وأسروه وأحضروه[(٥)]، وكفى الله المسلمين شره.

وفيها، خرج صاحب[(٦)] قبرص غازياً، لقصد الساحل، فرمته الريح إلى جهة بيروت، فخرج منها، وقصد الإغارة على تلك الجهات. فكمن له أهل جبل الخروب، وخرجوا عليه، فقتلوا وأسروا من جماعته ثمانين رجلاً، وأخذوا له شيئاً كثيراً من المال والخيل والبغال، وركب في البحر، وتوجه إلى صور، ولم يلبث أن هلك.

---

(١) في الأصل: «تدان مسكو» والتصحيح من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٠٨، حاشية ٢، ٧١٦. ولي الحكم في دولة القبجاق بعد وفاة أخيه منكوتمر في سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١ م. وبقي في الحكم حتى سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧ م. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٠٨، حاشية (٢).

(٢) في الأصل: الفقهاء.

(٣) في الأصل: جهزهم.

(٤) هكذا في الأصل وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٧.

(٥) في الأصل: وحضروه. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٧.

(٦) كان الملك هيو الثالث على رأس هذه الحملة، وهو ملك قبرص وبيت المقدس وكان قد انسحب من الشام إلى قبرص لكثرة مؤامرات القوى الصليبية ضده، ثم عاد إلى الشام يريد استرداد حقوقه في مملكة بيت المقدس من مغتصبيها من الصليبيين. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧١٦، حاشية (٣).

وفيها وصل إلى السلطان رسول أبونكيا[١]، ملك سيلان، وأحضر كتاباً في حُقّ مِنْ ذَهبٍ. وقال الرسول، وهو الحاج أبو عثان. هذا الكتاب بخط الملك، فلم يوجد من يقرأه. فسألوا عن مضمونه. فقال مضمونه. إن سيلان مصر، ومصر سيلان، وأنه قد ترك صحبة صاحب اليمن، في محبة السلطان. وقال أريد رسولاً من جهة السلطان، يُحْضِره رسولي، ورسولاً[٢] يقيم[٣] في عدن. والجواهر واليواقيت واللؤلؤ عندي كثير، والمراكب والقماش وغيره عندي. والبقم والقرفة، وجميع ما يجلبه الكارم[٤] [عندي][٥]. والرماح الكثيرة عندي. وعندي الفيلة[٦]. ولو طلب السلطان كل سنة عشرين مركباً، سيرتها إليه وأطلق تجار السلطان. وأنا عندي سبع وعشرون قلعة، وفيها [معادن][٧] جواهر ويواقِيت والمغاص[٨]، كل ما يحصل منها فهو لي. فأكرم السلطان هذا الرسول، وكتب جوابه وجهزه.

وفيها، نجزت عمارة تربة، كان السلطان قد رسم، لشاد الأمير علم الدين سنجر [الشجاعي][٩] بعمارتها لوالده وولده الملك الصالح، بالقرب من مشهد السيدة نفيسة وعمرت، ونزل السلطان وولده إليها، وتصدقا، ورتبا وقوفها. ورسم السلطان بعمل تربة ومدرسة وبيمارستان بالقاهرة.

---

(١) في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٣ «أبو نكبة» وقد اهتمت الدولة المملوكية بشؤون التجارة مع الشرق منذ زمن السلطان بيبرس البندقداري، وأحسّ ملك اليمن وقتذاك، وهو المظفر يوسف بأهمية إنشاء علاقات تجارية في الشرق أيضاً فأرسل إلى ملك سيلان يعرض عليه حلفاً تجارياً غير أن ملك سيلان أثر التجارة مع مصر ولهذا أرسل سفارته إلى السلطان قلاوون عن طريق الخليج العربي والعراق والشام حتى تتجنب اجتياز بلاد اليمن. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧١٣، حاشية (٣).

(٢) هكذا في الأصل. أما تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٦١، فقد وردت العبارة كما يأتي: «ويسأل أن يحضر إليه رسول من عند مولانا السلطان صحبه رسله إلى عنده، ورسول آخر إلى عدن ينتظر حضورهم من تلك الجهة على تلك الطريق».

(٣) في الأصل: مقيم. والتصحيح يقتضيه السياق.

(٤) الكارم: فئة من التجار تعمل في تجارة البهار من الهند إلى مصر. والأكثرية كانوا من أهل بلاد الكارم الإسلامية الواقعة بين بحر الغزال وبحيرة تشاد بالسودان العربي. فنسبوا إلى أصلهم الجغرافي ثم حرف هذا اللفظ فأصبح «الكارم» وبعد ذلك أطلق على جميع من مارس تلك التجارة بمصر. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٣، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٩.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٦١.

(٦) في الأصل: الفيول، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٦١.

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٦٢.

(٨) في الأصل: المغاضات، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٦٢.

(٩) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٦٢.

ذكر عمارة[١] التربة المنصورية والمدرسة والبيمارستان[٢] ومكتب السبيل

قال[٣]: ولما رأى السلطان الملك المنصور التربة الصالحية[٤]؛ أمر بإنشاء تربة [له][٥]، ومدرسة وبيمارستان ومكتب سبيل. فاشتريت الدار القطبية[٦]، وما يجاورها ـ وهي بين القصرين ـ من خالص مال السلطان، وعوض سكان الدار القطبية بالقصر المعروف بقصر الزمرد، وكان انتقال الدار القطبية منها إلى قصر الزمرد، ثاني عشر ربيع الأول من السنة.

ورتب الأمير علم الدين الشجاعي، مشداً على العمارة، فأظهر من الاهتمام بالعمارة والاحتفال، ما لم يسمع بمثله. فعمرت في أيسر مدة، ونجزت العمارة في شهور سنة ثلاث وثمانين وستمائة. وإذا شاهد الرائي هذه العمارة العظيمة، وسمع أنها عمرت في هذه المدة القريبة، ربما أنكر ذلك[٧].

ولما كملت العمارة، وقد السلطان من أملاكه القياسر والرباع[٨]، والحوانيت والحمامات، والفنادق والأحكار، وغير ذلك من الضياع[٩] بالشام، ما يحصل من أجر ذلك وريعه وغلاته، في كل شهر جملة كثيرة. وجعل أكثر ذلك على البيمارستان ثم التربة بالقبة[١٠]. ورتب وقف المدرسة، إلا أنه يقصر عن كفايتها. ورتب لمكتب السبيل،

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٩٧، ملحق رقم (٩) وفيه وصف الأبنية والعمائر التي شيدها السلطان الملك المنصور قلاوون.

(٢) البيمارستان: مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم. وهو لفظ فارسي مركب من بيمار أي مريض، وستان: أي محل، ويقال له بالتركة خستة خان أي محل المرضى، ويطلق البيمارستان على المحل المعد لإقامة المجانين أيضاً. بطرس البستاني: محيط المحيط. وانظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٦، حاشية (٦).

(٣) لم يشر النويري إلى المصدر الذي أخذ منه.

(٤) المقصود بالتربة الصالحية: تربة السلطان الملك الصالح أيوب. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٩٩٧.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٨.

(٦) الدار القطبية: نسبة إلى الملك المفضل. قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فقد ظلت في ورثته حتى أخذها السلطان قلاوون، وكانت في الأصل قاعة ست الملك ابنة الملك العزيز بالله الفاطمي. العيني: عقد الجمان ج ٢، ص ٣٠٨، حاشية (١). المقريزي: الموعظ والاعتبار، طبعة بولاق، ج ٢، ص ١٤٧.

(٧) في الأصل: «انكرت» والتصحيح يقتضيه السياق.

(٨) في الأصل: «الدباغ» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٨.

(٩) في الأصل: «والضياع» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٨٨.

(١٠) في الأصل: «القبة» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٩.

من الوقف بالشام ما يكفيه.

ولما تكامل ذلك، ركب السلطان وشاهده، وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء، والقضاة والعلماء. فأخبرني من شهد السلطان، وشهد عليه، أنه استدعى قدحاً من الشراب فشربه. وقال: قد وقفت هذا على مثلي، فمن دوني، وأوقفه السلطان على الملك والمملوك، والجندي والأمير [والوزير](1) والكبير والصغير، والحر والعبد، والذكر والأنثى. وجعل لمن يخرج منه، من المرضى، عند برئه كسوة، ومن مات جهَّزه، وكُفن ودفن. ورتب فيه الحكماء الطبائعية(2)، والكحالين(3) والجرائحية(4) والمجبرين(5)، لمعالجة الرمدى والمرضى والمجرحين والمكسورين من الرجال والنساء. ورتب به الفراشين والفراشات، والقومة، لخدمة المرضى، وإصلاح أماكنهم وتنظيفها، وغسل ثيابهم، وخدمتهم في الحمام. وقرر لهم على ذلك. الجامكيات الوافرة.

وعملت التخوت والفرش والطراريح والأنطاع والمخدات واللحف والملاوات لكل مريض فرش كامل. وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم. فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة، للمرضى بالحميات، وغيرها، وجعلت قاعة للرمدى، وقاعة للجرحاء، وقاعة لمن أفرط به الإسهال، وقاعة للنساء، ومكان حسن للممرورين(6) من الرجال ومثله للنساء، والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن. وأفردت أماكن، لطبخ الطعام، والأشربة والأدوية، والمعاجين وتركيب الأكحال، والشيافات(7)، والسفوفات،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٩.

(٢) الطبائعية: جمع طبائعي Physicien وهو المعروف الآن باسم طبيب الأمراض الباطنية. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: القلقشندي، ص ٢٢٨ وDozy, Supp. Dict. Ar.

(٣) الكحالين: جمع كحال، وهو طبيب العين Dozy, Supp. Dict. Ar oculiste. ومحمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٢٨٦.

(٤) الجرائحية: جمع جرائحي، وجارحي: وهو طبيب الجراحة Chirurgien محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٨٣، ومحيط المحيط، Dozy, Supp. Dict. Ar.

(٥) المجبري: المفرد: مجبر: وهو طبيب جبر العظام Orthopédiste محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٢٩٨Dozy, Supp. Dict. Ar ..

(٦) الممرورون: والمفرد: ممرور: من غلبت عليه المرة وهي المادة الصفراء تفرزها المرارة، بطرس البستاني: محيط المحيط (مرر)، المقريزي: السلوك ج ١، ص ٩٩٩، حاشية (٢).

(٧) الشيافات والأشياف: جمع شياف: وهو دواء مسحوق يستعمل للعيون والشياف دواء يجعل قمقماً أو تلبيسه أو فرزجه Suppositoire لمعالجة أمراض المستقيم Anus انظر Dozy, Supp. Dict. Arفي محيط المحيط لبطرس البستاني، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٩٩، حاشية (٣).

وعمل المراهم والأدهان، وتركيب الترياقات[١]، وأماكن لحواصل العقاقير، وغيرها من هذه الأصناف المذكورة. ومكان يفرّق منه الشراب، وغير ذلك من جميع ما يحتاج إليه، ورُتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء، لإلقاء درس طب، ينتفع به الطلبة، ولم يحصر[٢] السلطان، أثابه الله، هذا المكان المبارك، بعده في المرضى، يقف عدتها المباشر، ويمنع من عداها، بل جعله سبيلاً، لكل من يصل إليه، في سائر الأوقات، من غني وفقير. ولم يقتصر أيضاً فيه، على من يقيم به للمرضى، بل يرتب لمن يطلب، وهو في منزله ما يحتاج يه، من الأشربة، والأغذية والأدوية، حتى أن هؤلاء زادوا في وقت من الأوقات، على ما تبين، من غير من هو مقيم بالبيمارستان.

ولقد باشرته[٣] في شوال، ثلاثة وسبعمائة، وإلى آخر رمضان سنة سبع وسبعمائة. فكان يصرف منه، في بعض الأيام من الشراب المطبوخ خاصة، ما يزيد على خمسة قناطير بالمصري، في اليوم الواحد، للمرتبين والطوارىء، غير السكر والمطابيخ من الأدوية، وغير ذلك من الأغذية والأدهان والترياقات وغيرها ورتب في البيمارستان من المباشرين والأمناء، من يقوم بوظائفه، واتباع ما يحتاج إليه من الأصناف، وضبط ما يدخل إلى المكان، وما يخرج منه خاصة، من غير أن يكون لهم تعلق في استخراج الأموال، وإنما يبتاعون الأصناف، ويحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج، ويكتبون في كل شهر، عمل استحقاق[٤] لسائر أرباب الجامكيات والجرايات من سائر أرباب الوظائف، والمباشرين، يكتبه العامل، ويكتب عليه الشهور. ويأمر الناظر بصرفه، ويخلد [في][٥] ديوان الصندوق[٦] ويصرف على حكمه. وهذه الطائفة من المباشرين بالبيمارستان، هم مباشرو الإدارة.

وأما مباشرو الصندوق والرباع، فإليهم يرجع تحرير جهات الأوقات، في الخلق

---

(١) في الأصل: الدرقات. والدرياقات. والتصحيح من كامل الصناعة في الطب للمجوسي ج ٢، ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧. والدرياقات في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٩٩، وفي محيط المحيط أن الدرياق هو الترياق ويقال الدراق أيضاً وهو دواء مركب يؤخذ لوضع السموم. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٩٩ Dozy, Supp. Dict. Ar ..

(٢) في الأصل: «يحضر» والتصحيح يقتضيه السياق.

(٣) ظل النويري متولياً لهذا البيمارستان نحو أربع سنوات (المحقق).

(٤) عمل استحقاق: إجراء سجل بما هو مستحق لأرباب الجامكيات والجرايات. Dozy, Supp. Dict. Ar.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيه السياق.

(٦) صندوق المستخرج: ديوان الصندوق وهو يختص بالنظر في جهات الأوقاف وفي استخراج الأموال، ومحاسبات المستأجرين وصرف الأموال. انظر Dozy, Supp. Dict. Ar.

والسكون والمعطل، واستخراج الأموال، ومحاسبات المستأجرين وصرف الأموال، بمضي حوالة مباشري الإدارة، ومباشرة العمارة، وعمل الاستحقاق لا يتصرفون في غير ذلك، كما لا يتصرف مباشرو الإدارة، في صرف الأموال، إلا حوالة بأوراقهم.

وأما العمارة، فلها مباشرون ينفردون بها، من ابتياع الأصناف، واستعمال الصناع، ومَرَمَّة[١] الأوقاف، وغير ذلك مما يدخل في وظيفتهم، كما يفعل في الإدارة، وينقل عليهم من الصندوق من المال، ما يصرفونه لأرباب الأجر خاصة. ويكتبون في كل شهر، عمل استحقاق، بثمن الأصناف وأرباب الأجر، ويخصمونه بما أحالوا به على الصندوق، وما وصل إليهم من المال ويسوقونه إلى فائض أو متأخر.

وترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حسباناتهم، مياومة ومشاهرة ومساناة إلى الناظر[٢] والمستوفي[٣]. هذا ما يتعلق بالبيمارستان.

وأما القبة المباركة المنصورة[٤]، وهي التربة، فإنه رُتِّب فيها خمسون مقرئاً، يقرأون كتاب الله تعالى، ليلاً ونهاراً بالنوب، وجُعِل لكل منهم، في كل شهر عشرون درهماً. ورتب بها إمام، على مذهب الإمام أبي حنيفة، رحمه الله تعالى، وله في كل شهر ثمانون درهماً، من أصل الوقف، وفي كل سنة في ليلة ختم صلاة قيام رمضان، خلعة من خزانة السلطان، كاملة مسنجبة[٥] [مقتدرة] ورُتِّب بها ريس ومؤذنون[٦]، يعلنون الأذان، بالمأذنة الكبرى، ويقيمون الصلاة ويبلغون خلف الإمام. وهم سبعة نفر. الرئيس، وله في كل شهر أربعون درهماً، والمؤذنون ستة، لكل منهم في كل شهر ستون[٧] درهماً.

ورتب بها درس تفسير لكتاب الله تعالى، فيه مدرس يلقيه، رتب له في كل شهر

---

(١) انظر وصف المدرسة الناصرية والقبة التي كمل إنشائهما السلطان الناصر محمد سنة ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣ م، في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٤٠ ـ ١٠٥٠ ملحق ١٧.

(٢) الناظر: وموضوعه النظر في الشؤون المالية وما يجري صرفه، وتقدير الخراج والكشوفات والحسبانات. وناظر الجيش هو الذي يحكم في المحاكمات الديوانية وولاية هذا الناظر من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٣) المستوفي: وهي وظيفة رئيسية وعلى متوليها مدار أمور الدولة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال، ووجوه مصارفها. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ٣٠.

(٤) القبة: هي داخل البيمارستان الذي أنشأه السلطان المنصور. انظر صبح الأعشى: القلقشندي، ج ٣، ص ٤٩٩.

(٥) مسنجبة: مصنوعة من فراء السنجاب Dozy, Supp. Dict. Ar. في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠ «مقندرة» وهي مصنوعة من جلد القندر أو السمور Dozy, Supp. Dict. Ar.

(٦) في الأصل: «مؤذنون»، (١٠) في الأصل «يقلبون».

(٧) «ثلاثون درهماً»، في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠.

مائة درهم، وثلاثة وثلاثون درهماً، وثلث درهم، ومعيد [له][١] في كل شهر أربعون درهماً، وطلبة عدتهم ثلاثون [نفراً][٢]، لهم في كل شهر ثلاثمائة درهم، ودرس حديث يذكر فيه حديث رسول الله ﷺ، له مدرس ومعيد وطلبة، لهم في كل شهر نظير ما لمدرس التفسير ومعيده وطلبته، وزيادة على ذلك قارىء، يقرأ الحديث، بين يدي المدرس، في أوقات الدروس، ويقرأ ميعاداً[٣] للعوام بين يديه أيضاً، في صبيحة كل يوم أربعاء، رتب له في كل شهر ثلاثون درهماً، ورُتِّب لخازن كتبها في كل شهر أربعون درهماً، ولخزانة كتبها من الختمات الشريعة، والربعات المنسوبة الخط، وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة، والطلب والأدبيات، ودواوين الشعر شيء كثير، ورُتب بها[٤] لخدام أزمة، يقيمون بالقبة، لحفظ حواصلها، ومنع من يعبر إليها في غير أوقات الصلوات، وهم ستة لكل منهم في كل شهر خمسون درهماً، وغير هؤلاء من القومة والفراشين والبوابين.

وأما المدرسة المباركة المنصورية، فإنه رتب بها إماماً شافعي المذهب، له في كل شهر ثمانون درهماً، وريّساً ومؤذنين[٥]، يعلنون بالأذان بالمئذنة الكبرى المذكورة، هم ومؤذّنو القبة بالنوبة[٦]، وهم ريس وأربعة مؤذنين، لهم في كل شهر نظير ما لمؤذني القبة، ورُتِّب بها متصدر لإقراء كتاب الله، عز وجل، ورتب له في كل شهر أربعون درهماً، ورتب بها دروس للمذاهب الأربعة، الشافعية والمالكية، والحنفية والحنابلة، لكل طائفة مدرس، له في كل شهر مائتا درهم، وثلاثة معيدين لكل منهم خمسة وسبعون درهماً، وخمسون طالباً لجميعهم في كل شهر سبعمائة درهم وخمسون [درهماً][٧]، وغير هؤلاء من القومة والفراشين وبواب[٨].

وأما مكتب السبيل، فإنه رُتِّب فيه فقيهان يعلمان [ستين][٩] صغيراً من أيتام

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠.
(٣) ميعاداً: المقصود هنا الدرس في الدين.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.
(٥) في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠ «مؤذنون» والتصحيح يقتضيه السياق.
(٦) في الأصل: «بالتربة» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠. وللفظ النوبة معانٍ اصطلاحية كثيرة: أحدها فرق الجند التي تتناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان، وهي خمس نوبات، والنوبة أيضاً بمعنى الوقعة الحربية، ويقال: ضربت النوبة بمعنى صدر الأمر للعسكر بالتقهقر. انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٣٥٣.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠.
(٨) «وتواب بجوامك مختصة بهم» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠.
(٩) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠.

المسلمين، كتاب الله تعالى. ورتب لهما جامكية في كل شهر، وجراية، في كل يوم، وهي لكل منهما في كل شهر ثلاثون درهماً، وفي كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال، وكسوة في الشتاء، وكسوة في الصيف، ورُتِّب للأيتام، لكل منهم في كل يوم رطلان خبزاً، وكسوة في الشتاء، وكسوة في الصيف. وتنوَّع السلطان، أجزل الله ثوابه، في وجوه البر والقربات. وهذه الجهات المباركة المبرورة باقية مستمرة، يزيد وقفها، وينمو، بحسن نية واقفها، قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه.

ولنرجع إلى بقية حوادث سنين اثنتين وثمانين وستمائة

وفيها، كانت وفاة الشيخ الإمام، عماد الدين أبو الفضل محمد ابن قاضي القضاة، شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي، ببستانه بالمزة، في يوم الاثنين، سابع عشر صفر. وصلى عليه بعد صلاة العصر، بجامع الجبل، ودفن بتربة فيها قبر أخيه علاء الدين، رحمهما الله تعالى. وكان شيخ الكتابة، أتقن الخط المنسوب[١]، وبلغ فيه مبلغاً عظيماً، حتى يقال إنه أتقن قلم المحقق[٢] وكتبه أجود من شيخ الصناعة ابن البواب[٣].

وفيها، توفي الصاحب مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن أبي القاسم ابن أبي طالب بن كسيرات الموصلي. وكانت وفاته في سابع عشرين شهر رمضان، بداره بجبل الصالحية، وكان رحمه الله كثير المروءة، واسع الصدر، كثير الهيبة والوقار، جميل الصورة، حسن المنظر والشكل، كثير التعصب لمن يقصده، محافظاً على مودّة أصحابه وقضاء حوائجهم، كثير التفقد لهم، وأصله من الموصل، من بيت الوزارة، كان والده، وزير الملك المنصور عماد الدين زنكي ابن المالك العادل نور الدين أرسلان

---

(١) لا يوجد في صبح الأعشى: القلقشندي، ج ٣، ص ٥١ ـ ١٣٢، بين أنواع الخطوط المستعملة في ديوان الإنشاء خط اسمه الخط المنسوب، غير أنه ذكر في الصفحة ٦١ أن الكتابة جميعاً منسوبة من نسبة قلم الطومار في المساحة، وذلك أن قلم الطومار أجل الأقلام مساحة. وقلم ثالث منه بمقدار ثلثه، وقلم النصف بمقدار نصفه، وقلم الثلثين بمقدار ثلثين، فلعل المقصود بالخط المنسوب فن الخط عموماً. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٨.

(٢) عرف القلقشندي هذا النوع من الخط تعريفاً قصيراً فقال: «والمحقق: استحدثت كتابته في طغروات كتب القانات» انظر صبح الأعشى: ج ٣، ص ٥٢. وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٠٣ حاشية (٤)، تعريف مفصل للقلم المحقق.

(٣) هو أبو الحسن علي بن هلال، خطاط مشهور من أهل بغداد، نسخ القرآن بيده ٦٤ مرة، توفي سنة ٤٢٣ هـ/ ١٠٣٢ م. ترجمته في المنتظم لابن الجوزي ج ٧، ص ١٠، ومعجم الأدباء الياقوت الحموي، ج ١٥، ص ١٨، وعبر الذهبي ج٣، ص ١١٣، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٣، ص ١١٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٣، ص ٣٤٢، ترجمة ٤٥٧. والأعلام للزركلي ج ٥، ص ٣٠.

شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر. ثم باشر نظر الخزانة، للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ [صاحب الموصل][١]، ثم نقله إلى نظر الجزيرة العمرية[٢]، لما فتحها. ووصل إلى الشام صحبة الملك المجاهد سيف الدين إسحاق، لما وصل في الدولة الظاهرية. وسكن دمشق، وولي نظر البر بها[٣]. ثم نقل إلى نظر نابلس، ثم أعيد إلى دمشق فباشر نظر الزكاة بها. ثم انتقل إلى صحابة الديوان بالشام، إلى أن ملك سنقر الأشقر دمشق، فاستوزره كما تقدم. وتعطل[٤] بعد ذلك عن المباشرة، وسكن داره التي أنشأها بجبل قاسيون، جوار البيمارستان، فكان بها إلى أن مات. قال شمس الدين الجزري[٥]: قلت له يوماً ـ وقد أضرته[٦] البطالة ـ يا مولانا لو ذكّرت واحداً[٧] من أصحابك بالأمراء، حتى يذكر بك السلطان، أو نائب السلطنة، فكاتب في أمرك فإن لك خدماً وتفضلاً[٨] على الناس، فنظر إلي وأنشد: [من السريع]

لَـذَّ خُـمـولـي وحـلا مُـرَّةُ ... وصـانـنـي عـن كـل مـخـلـوق

نـفـسـي مَـعـشـوقـي ولـي غِـيْـرَةٌ ... تـمـنـعـنـي عـن بـذلـي مـعـشـوقـي[٩]

وفيها، في يوم الخميس عاشر شهر رمضان، توفي الملك العادل سيف الدين[١٠] أبو بكر ابن الملك الناصر صلاح الدين داود، ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٨٣، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٨.

(٢) جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات. وتحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال، ثم عُمل هناك خندق أُجري فيه الماء، ونُصبت عليه رحًى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٠.

(٣) نظر البر: وموضوع هذه الوظيفة التحدث في أمر الشرطة. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ١٩٤.

(٤) في الأصل، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٩، «هطل» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٨٣.

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز الجزري الدمشقي، شمس الدين، أبو عبد الله مؤرخ، دمشقي المولد والوفاة، كان به صمم له كتاب «التاريخ المسمى بحوادث الزمان وأنبائه، ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه» جزآن. توفي سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م، وكان مولده في سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م. الزركلي: الأعلام ج ٥، ص ٢٩٨.

(٦) «وأضرت به البطالة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٩.

(٧) أحداً: في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٩.

(٨) في الأصل: خدم، تفضل.

(٩) هذه الأبيات واردة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٩.

(١٠) انظر ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٩.

ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب. وكانت وفاته بدمشق، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة، ودفن بالتربة المعظمية، وكان رحمه الله تعالى، قد جمع بين الرئاسة والفضيلة، والعقل الوافر، والخصال الجميلة، وكان مجانب الناس، محبوب الصورة، رحمه الله تعالى.

وفيها، في سادس عشرين شعبان، توفي القاضي عز الدين إبراهيم ابن الصاحب الوزير الأعز، فخر الدين أبي الفوارس مقدام ابن القاضي كمال الدين أبي السعادات، أحمد بن شكر [المصري](١). وكان قد ولي نظر الجيوش، بالديار المصرية، في شهر رمضان، سنة خمس وسبعين وستمائة، كما تقدم، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الشيخ الإمام العلّامة، العابد الزاهد، شمس الدين أبو محمد عبد الرحمٰن ابن شيخ الإسلام، أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي، شيخ الحنابلة بالشام. وكان قد ولي قضاء القضاة على كره منه، في سنة أربع وستين [وستمائة](٢) كما تقدم. ثم ترك الحكم، وتوفر على العبادة والتدريس، وأشغال الطلبة، والتصنيف. ويقال: إنه قطب بالشام، واستُدِلّ على ذلك بحرائي(٣) توافقت عليها، جماعة تعرفه، في سنة سبع وسبعين وستمائة أنه قطب، وكان أوحد زمانه. وكانت وفاته في يوم الاثنين، سلخ ربيع الآخر منها. ودفن بقاسيون، بتربة والده، قدس الله روحه، ومولده في السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ولما مات رثاه المولى الفاضل شهاب الدين محمود(٤) كاتب الإنشاء بقصيدة(٥) أولها: [من الكامل]

مـا لـلـوجـود وقـد عـلاه ظـلامُ ... أَعَــرَاه خــطــبٌ أم عَــدَاه مــرامُ

أم قـد أصـيـبَ بـشـمـسـه فـغـدا وقـد ... لـبـسـت عـلـيـه حـدادَهـا الأيـامُ

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٨١. والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٠.

(٣) في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢ «بمراءٍ»، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٨٦ «بمرائي».

(٤) هو محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي ثم الدمشقي أبو الثناء شهاب الدين: أديب كبير استمر في دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاماً. ولد بحلب وولي الإنشاء في دمشق. وانتقل إلى مصر فكتب بها في الديوان ثم عاد إلى دمشق فولي كتابة السر نحو ثماني سنين إلى أن توفي بها. وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره. له مؤلفات عديدة منها «حسن التوسل إلى صناعة الترسل» توفي سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٤ م. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ١٧٢. وانظر أيضاً فوات الوفيات لابن شاكر المكتبي ج ٤، ص ٨٢ ترجمة ٥٠٨.

(٥) هذه الأبيات واردة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢١.

جاء منها:

لكم الكرامات الجليلات التي لا تستطيع جحودها الأقوام

وهي قصيدة تزيد على ستين بيتاً، ورثاه جماعة، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير علاء الدين كندغدي[١] المشرقي الظاهري، المعروف بأمير مجلس. كان من أعيان الأمراء بالديار المصرية. وظهر قبل وفاته بمدة يسيرة، أنه باق على الرق، فاشتراه السلطان الملك المنصور بجملة وأعتقه، وقرَّبه لديه. وكان شجاعاً بطلاً مقداماً. وكانت وفاته بالقاهرة في يوم الجمعة مستهل صفر، ودفن بمقابر باب النصر، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن حجبي[٢] بن يزيد البرمكي، أمير آل مري[٣]، وكانت وفاته ببصرى. وكانت غاراته تنتهي إلى أقصى نجد والحجاز، وأكثرهم يؤدون إليه إتاوة في كل سنة، فمن قطعها منهم أغار عليه. وكان يدعي أنه من نسل جعفر البرمكي، من العباسة أخت الرشيد. ويقول: إنه تزوجها ورزق منها أولاداً. ولما جرى على البرامكة ما جرى، هرب أولاده منها إلى البادية، فأحدهم جده، والله أعلم. وكان يقول للقاضي شمس الدين بن خلكان [البرمكي][٤]، أنت ابن عمي، وكانت بينهما مهاداة. وانتفع ابن خلكان به وباعتنائه، عند السلطان.

وفيها، في سابع عشرين المحرم، كانت وفاة القاضي شمس الدين عيسى[٥] ابن الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري. كان ينوب عن والده في الوزارة الأولى، في سنة ثمان وسبعين وستمائة. وولي نظر الأحباس، ونظر خانقاه سعيد السعداء، ثم ولي بعد ذلك تدريس المدرسة الصلاحية المعروفة بزين التجار، ثم قبض عليه مع والده، بعد انفصاله من الوزارة الثانية، كما تقدم. فلما أفرج عنه سكن المدرسة المعزية بمصر، وكان بها إلى أن توفي. وكان حسن الصورة والشكل، رحمه الله تعالى.

وفيها، في سادس شوال، توفيت زوجة السلطان الملك المنصور، والدة ولده،

---

(١) في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٠٣ «كشتغدي» وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٠ «كندغدي».

(٢) ترجمته في المنهل الصافي لابن تغري بردي ج ١، ص ٢٦٢. رقم (١٣٩)، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢١، الوافي بالوفيات لابن أيبك الصفدي، ج ٦، ص ٣٠٤، رقم (٢٨٠٥) وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٢٣٦، وعقد الجمان للعيني، ج ٢، ص ٣١٤.

(٣) ويكتب أيضاً آل مرا.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٨٢.

(٥) ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص،٧٢١، وتاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٨٥.

الملك الصالح علاء الدين علي، رحمهما الله تعالى.

وفيها، في يوم الأحد، ثاني عشر جمادى الأولى، توفي الشيخ ظهير الدين جعفر بن يحيى بن جعفر القرشي التزمنتي الشافعي، مدرس المدرسة القطبية بالقاهرة، وأحد المعيدين بمدرسة الشافعي، رحمه الله تعالى.

وفيها، في يوم السبت، ثاني عشر بن شهر رجب، توفي الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار، أحد الأمراء بالديار المصرية، وكانت وفاته بدمشق لما كان السلطان بها. ودفن بظاهرها، عند قباب التركمان، بميدان الحصار[١]، رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة
[٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م]

ذكر توجه السلطان إلى الشام وعوده

وفي هذه السنة، توجه السلطان الملك المنصور إلى الشام، وكان وصوله إلى دمشق، في يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة، ونزل بقلعتها. وكان جل توجهه إلى الشام، بسبب رسل السلطان أحمد، فاستحضرهم وسمع رسالتهم، كما قدمنا ذكر ذلك. وأقام السلطان بدمشق، إلى أن رتب أحوالها. وعزل الأمير علم الدين سنجر الداواداري، من وظيفته شاد الدواوين[٢] بدمشق، وأضاف هذه الوظيفة إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، وكان استاذ دار السلطنة بالشام. فاجتمع له شاد الدواوين، وأستاذ الدارية[٣]. ونقل أيضاً الأمير ناصر الدين الحراني، من ولاية مدينة دمشق إلى نيابة السلطنة بحمص، وأضاف ولاية مدينة دمشق، إلى الأمير سيف الدين طوغان، متولي البر. ثم عزم على الرحيل، والعود إلى مقر ملكه[٤]، فبرز الأمراء أثقالهم إلى ظاهر قلعة دمشق، فكانت حادثة السيل.

---

(١) هكذا في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢١، وتاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٨٤.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) استاذ الدارية: وظيفته هي التحدث في أمر بيوت السلطان كلها في المطابخ، والشرابخاناة والحاشية والغلمان والأستاذ دار هو الذي يمشي بطلب السلطان ويحكم من غلمانه، وباب داره، وله تصرف تام في كل ما يحتاجه بيت السلطان من النفقات والكساوي. القلقشندي: صبح الأعشى، المطبعة المصرية ج ٤، ص ٢٠ وج ٥ ص ٤٥٧.

(٤) «عاد إلى جهة الديار المصرية في الثلث الأخير من ليلة السبت ثالث عشر في شعبان، ودخل مصر في النصف من شهر رمضان». ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٩٦.

ذكر حادثة السيل بدمشق

وفي يوم الأربعاء العشرين من شعبان، سنة ثلاث وثمانين وستمائة، الموافق لأول تشرين الثاني، وهو خامس هاتور، أمطرت السماء، في أول الليل، وتوالى المطر وهطل وكثر، واشتد صوت الرعد، وتوالى البرق طول الليل إلى أول النهار. ثم أقبل السيل وارتفع، حتى بلغ إلى حدّ السيل الذي ذكرناه، في سنة تسعة وستمائة. وحمل جميع أثقال من برز ثقله من الأمراء المصريين والجند، وجمل الخيل والجمال والصناديق وغير ذلك. فيقال: إنه عدم للأمير بدر الدين بكتاش النجمي، ما تزيد قيمته على أربعمائة ألف درهم وخمسين درهم، وصدم السيل باب الفراديس[١]، فكسر أقفاله، وما خلفه من المتاريس، ودخل الماء إلى المدرسة المقدمية، وبقي كذلك، حتى ارتفع النهار. ثم جف[٢] الماء في يومي الأربعاء والخميس. ثم جاء مطر شديد، وهو دون المطر الأول، فهدم عدة مساكن، في جبل قاسيون، وبظاهر دمشق، وحواضرها[٣]، ثم انحط الماء، وتوجه السلطان بعد أن نضب الماء، إلى الديار المصرية، واستقبل ركابه من دمشق، في يوم السبت الثالث والعشرين من شعبان، ووصل إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر رمضان من السنة.

ذكر وفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنَّا[٤] وشيء من أخباره، وأمر ولده الأمير حُسام الدين مُهَنَّا

في هذه السنة، كانت وفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حذيفة أمير العرب. وصُلِّي عليه بدمشق صلاة الغائب، في يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول. وقد ذكرنا ابتداء إمرته، في ابتداء الدولة الظاهرية. وكان رحمه الله رجلاً ديناً خيراً، انتفع الإسلام به، في مواطن كثيرة. وصلحت العربان في أيامه، وقل فسادهم، بل كاد يعدم،

---

(١) هو إحدى أبواب دمشق السبعة: وهي باب كيسان، وباب شرقي، وباب توما، وباب الصغير، وباب الجابية، وباب الفراديس والباب المسدود، وجُعل كل باب من هذه الأبواب الكوكب من الكواكب السبعة، وصُور عليه صورته، فجعل باب كيسان لزُحل، وباب شرقي للشمس، وباب تُوما للزهرة، وباب الصغير للمشتري، وباب الجابية للمريخ، وباب الفراديس لعطارد، والباب المسدود للقمر. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ٩٦. الحميري: الروض المعطار ص ٢٣٨.

(٢) في الأصل: «خفّ» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧.

(٣) في الأصل: «وظواهرها» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧.

(٤) ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٣٨٣، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٠٧.

مع لينه وحسن سياسته. وكانت الإمرة قبله لابن عمه الأمير علي بن حذيفة. وكان كثير السفك للدماء، ويقتل مفسدي[1] العرب، بأنواع القتل، فكانت له قدر كبيرة منصوبة، لا تزال على النار مملوءة ماء، والنار توقد تحتها، فمتى وقع له مفسد من العرب ألقاه فيها حيًّا، فيسقط لحمه لوقته. وقتل خلقاً كثيراً بذلك وبغيره من أنواع العذاب. هذا والفساد في أيامه مستمر، وأمر العرب لا يزداد إلا شدة. فلما ولي الأمير شرف الدين عيسى بعد وفاته، أنزل القدر وامتنع من سفك دم إلا بحكم الله. فعلم الله صدق نيته، وأصلح له من أمر العرب ما فسد في أيام غيره، وصلحت سيرتهم في أيامه، وانحسمت مادة أذاهم للقفول[2] وغيرها، مَنًّا من الله تعالى.

ولما مات رحمه الله تعالى، فوض السلطان إمرة العرب بعده، لولده الأمير حسام الدين مهنا. وزاده السلطان إقطاعاً، وبسط يده فسلك سبيل والده في الخير والإحسان. وأطاعه العرب كافة، وعظم شأنه عند الملوك وغيرهم. وهو على ذلك إلى وقتنا هذا. الذي وضعنا فيه هذا الكتاب.

ذكر وفاة الملك المنصور[3] صاحب حماه وولاية ولده الملك المظفر

في حادي عشر شوال من هذه السنة، توفي الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي ابن الملك المظفر، تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماه، رحمه الله تعالى. ومولده في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين وستمائة[4]. فتكون مدة حياته، إحدى وخمسين سنة، وستة أشهر، وأربعة عشر يوماً. وملك حماه يوم السبت ثامن جمادى الأولى، سنة اثنتين وأربعين وستمائة[5]، وهو اليوم الذي توفي فيه والده، فتكون مدة مملكته بحماه، إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام.

ولما ورد الخبر بوفاته، رسم السلطان الملك المنصور، بتفويض ملك حماه، لولده الملك المظفر تقي الدين محمود وأجراه مجرى والده في التشاريف والمكاتبات.

---

(١) في الأصل: «مفسدين».

(٢) القفول: القافلة: الرُّفقة، الفيروزأبادي: القاموس المحيط (قفل).

(٣) ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٠٧، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٣٨٤. والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٢٢.

(٤) «سنة ثلاثين وستمائة» في البداية والنهاية ج ١٣، ص ٣٢٢.

(٥) «تملك حماه سنة ثنتين وأربعين وله عشر سنين» في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٢٢.

وجهَّز إليه التشريف والتقليد، صحبة الأمير جمال الدين أقوش الموصلي الحاجب، وجهَّز معه عدة تشاريف لعمه الملك الأفضل، وابن عمه الأمير عماد الدين، وجماعة من أهل بيته وأمرائه.

وفيها، في نصف ذي الحجة، توجه السلطان إلى الشام.

وفيها، في ثالث شهر رمضان، توفي الملك السعيد(١) فتح الدين عبد الملك، ابن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، رحمه الله تعالى. ودفن بتربة جدته، والدة السلطان الملك الصالح، داخل دمشق.

وفيها، توفي قاضي القضاة نجم الدين(٢) أبو محمد عبد الرحيم ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن المُسلم بن هبة الله بن حسّان بن محمد بن منصور بن أحمد البارِزيّ، الجُهَنِيّ الشافعي، الحموي، قاضي حماه. وكانت وفاته ليلة الخميس عاشر ذي القعدة، سنة ثلاث وثمانين وستمائة. ومولده يوم الأربعاء، السادس والعشرين، من المحرم سنة ثمانٍ وستمائة بحماه، وتوفي بطريق الحجاز، وحمله أولاده إلى مدينة رسول الله ﷺ، فدفن بالبقيع، وكان رحمه الله تعالى، ممّن صنَّف التصانيف المفيدة، وسمع وحدَّث، وولي قضاء حماه، بعد أبيه مدة طويلة، ثم عزل مدة يسيرة. وله نظم حسن ومشاركة في العلوم الكلامية والحكمية، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي قاضي القضاة جمال الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد الله بن عمر الزواوي، قاضي المالكية بدمشق. وكانت وفاته بطريق الحجاز، قبل الحج بالقرب من تبوك، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي القاضي ناصر الدين(٣) أبو العباس أحمد بن أبي المعالي، محمد بن منصور بن أبي بكر قاسم بن مختار [الجُذامي](٤) الجروي(٥) المالكي الإسكندري

---

(١) له ترجمة في النجوم الزاهرة ج ٧، ص ٣٠٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٢٢.

(٢) ترجمته في البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٢٢.

(٣) ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٠٦. وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٣٨١.

(٤) في الأصل: «الجدامي» ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢.

(٥) في الأصل: «الحروي» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٧.

المعروف بابن المُنَيِّر، وكانت وفاته بالإسكندرية، في ليلة الخميس، مستهل شهر ربيع الأول، ودفن بتربة والده، عند الجامع الغربي، ومولده بالإسكندرية، في ثالث ذي القعدة، سنة عشرين وستمائة. وكان فاضلاً عالماً، وله اليد الطولى في علم العربية والأدب، جيد النظم. باشر بالثغر عدة جهات. ثم ولي القضاء بالثغر، وولي الخطابة مدة يسيرة. ثم نكب في سنة ثمانين وستمائة. وهجم داره، ويقال إن الذين هجموا الدار، أدخلوا معهم قناني خمر، تحت ثيابهم، وادعوا أنها وجدت عنده، فعزل عن مناصبه، ثم توجه إلى باب السلطان، وسعى فيمن سعى به، فنال بعضهم. وأعيدت إليه مناصبه، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير شمس الدين محمد[١] ابن الأمير بدر الدين أبي المفاخر باخل ابن عبد الله بن أحمد الهكاري، متولي ثغر الإسكندرية، وكانت وفاته بالثغر، في يوم السبت حادي عشر شهر رجب. ودفن يوم الأحد، عند رباطه خارج باب رشيد، رحمه الله تعالى.

وفيها، في ليلة الجمعة، ثالث عشرين ذي الحجة، توفي الشيخ الصالح العارف القدوة، أبو القاسم وينعت وقار الدين بن أحمد بن عبد الرحمٰن المراغي. والمراغة التي ينسب إليها، [بلدة][٢] معروفة بإقليم إخميم، من البر الغربي. ودفن بالقرافة، بزاويته المشهورة، في يوم الجمعة، بعد الصلاة، رحمه الله وإيَّانا.

واستهلت سنة أربع وثمانين وستمائة
[٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م]

والسلطان الملك المنصور متوجه إلى الشام. فوصل إلى دمشق في يوم السبت، ثاني عشر[٣] المحرم، وتوجه إلى المَرْقَب[٤]، وافتتح الحصن[٥] على ما تقدم ذكره[٦].

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥ ـ ١٦.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤.

(٣) «ثاني عشرين المحرم» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٦٦.

(٤) المرقب: سبق التعريف به، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧ ـ ١٨. «قلعة حصينة تشرف على البحر المتوسط، كانت في يد الاسبتارية. انظر أيضاً تقويم البلدان لابن الفدا ص ٢٥٤.

(٥) «افتتح الحصن يوم الاثنين ثاني صفر»، في النجوم الزاهرة ج ٧، ص ٢٦٧. و«في تاسع عشر ربيع الأول» في صبح الأعشى: للقلقشندي، ج ٣، ص ٤٩٩. و«ثامن عشر صفر» في البداية والنهاية لابن كثير ج، ص ٣٢٢.

(٦) راجع ما تقدم في بداية هذا الجزء.

ذكر مولد[١] السلطان الملك الناصر

كان مولده المبارك الميمون، بقلعة الجبل، في يوم السبت الخامس عشر من شهر المحرم[٢]، سنة أربع وثمانين وستمائة، الموافق للثامن والعشرين من برمهات من شهور القبط. وطالع الوقت السرطان. فوردت البشائر على والده السلطان بمولده، وهو بمنزلة خربة اللصوص[٣]، قبل وصوله[٤] إلى دمشق. فاستبشر السلطان بمولده، وتيمن به، وبلغ مقصوده، من فتح المرقب.

وفيها، بعد عود السلطان من فتح المرقب، دخل إلى الخزانة بدمشق، في يوم الخميس سابع جمادى الأولى. وولّى القاضي محيي الدين بن النحاس الوزارة بدمشق، عوضاً عن الصاحب تقي الدين توبة [التكريتي][٥]. وكان محيي الدين إذ ذاك، ناظر الخزانة، فخلع عليه خلعة الوزارة، وكانت الخلعة جبلة عتابي حمراء، وفوقها فرجية زرقاء، مسنجبة مقندرة وطرحة[٦] وعزل الأمير سيف الدين طوغان، عن ولاية مدينة دمشق، وأقره على ولاية[٧] البر خاصة. وولى مدينة دمشق الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجا، في يوم الجمعة، خامس عشر جمادى الأولى. ثم توجه إلى الديار المصرية، في بكرة نهار الاثنين، ثامن[٨] عشر الشهر. ووصل إلى قلعة الجبل، في يوم الثلاثاء تاسع عشرين شعبان. وكان قد أقام مدة بتل العجول.

وفيها، وصلت رسل ملوك الفرنج، وأحضروا بين يدي السلطان، في يوم الأنبرور، ما حمله اثنان وثلاثون جملاً، سنجاب وسمور أربعة عشر، وسقلاط خمسة، وأطلس

---

(١) عن مولد السلطان الملك الناصر انظر عقد الجمان للعيني، ج ٢، ص ٣٤٠.

(٢) «يوم السبت سادس عشر المحرم» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٧، و«يوم السبت سادس عشر وقيل الخامس عشر» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧.

(٣) خربة اللصوص: موضع يقع على الطريق بين دمشق وبيسان، انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٨١، حاشية (١).

(٤) «ولما كان السلطان الملك المنصور على حصار المرقب جاءته البشرى بولادة ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٦٩.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٩.

(٦) «طراحة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢، وهي قطعة من الملابس عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٧) البر: ضواحي دمشق. انظر صبح الأعشى للقلقشندي ج ٤، ص ١٠١.

(٨) «ثاني عشر جمادى الأولى» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٧١.

وبندقي ثلاثة عشر. وما هو من جهة الجنوية. سارسينا حملان، وسناقر ستة، وكلب أبلق، ذكر أنه أكبر من الأسد، وما هو من جهة الأشكري[١]، حمل أطلس، وأربعة أحمال بسط. فقلبت تقادمهم، وأجروا على عاداتهم في الإحسان والصلة.

وفيها، وصل رسول صاحب اليمن، وصحبته الهدايا والتقادم، وأحضر إلى بين يدي السلطان، في يوم السبت مستهل ذي القعدة، وأحضر من الهدية على ما نقل، ما هو[٢]: خدام[٣] أزمة ثلاثة عشر، خيل فحول عشرة، فيل واحد، كركدن واحد، نعاج يمنية ثمانية، طيور ببغاء ثمانية[٤] قطع عود كبار ثلاثة، حملت كل قطعة منها على رجلين، رماح قنا أربعون حمل جمل. ومن أصناف البهار ما حمل على سبعين جملاً، ومن القماش من حمل على مائة قفص، ومن تحف اليمن ما حمل على مائة طبق نحاس، [فقبل ذلك منه][٥]، وأنعم على رسله وعليه على العادة.

وفيها، في سادس ذي الحجة، وقع الحريق بقلعة الجبل المحروسة، فاحترقت الخزانة السلطانية والقاعة الصالحية.

وفيها، في سلخ شهر رمضان، كانت وفاة الأمير سيف الدين أيتمش[٦] السعدي في محبسه.

وفيها، كانت وفاة الأمير علاء الدين أيدكين البَنْدَقْداريّ[٧] الصالحي، بالقاهرة، ودفن بتربته بالشارع الأعظم.

---

(١) الأشكري: صاحب القسطنطينية، واسمه ميخائيل له ترجمة في المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ج ٤، ص ١٨، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٤. وتشريف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر ص ٥٤. وهو ميخائيل الثامن باليولوجوس الذي حكم في الفترة من ١٢٥٩ ـ ١٢٨٢، وملك بعده ابنه أندورنيكوس الثاني باليولوجوس الذي تتوج ولقب الدوقس الأنجالوس الثاولوغس. انظر عقد الجمان للعيني ج ٢، ص ٣٢٠، حوادث سنة ٦٨٢ هـ، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٩.

(٢) في الأصل: «وهو» والتصحيح يقتضيه السياق.

(٣) «ثلاثة عشر طواشياً وتقابل خدام أزمة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٩.

(٤) في الأصل: «ثلاثة» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٨، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٩.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٩، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٢٩.

(٦) في الأصل: إيباش، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٣٣ «ايتامش».

(٧) هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس البندقداري. كان أصل أيدكين هذا من مماليك الأمير جمال الدين موسى بن يغمور. توفي في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥ م. وقد ناهز السبعين. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٠٩.

وفيها، في يوم الأربعاء، سابع عشر صفر، توفي الصاحب المشير عز الدين[(١)] محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد الأنصاري الحلبي، بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم، وكان فاضلاً ديناً، رئيساً مؤرخاً، معظّماً عند الأمراء الأكابر محبوباً إليهم. ولازم الصاحب بهاء الدين مدة حياته. وكان الأمراء الأكابر يحملون إليه في كل سنة دراهم وغلّة وكسوة وغير ذلك، رحمه الله تعالى.

وفيها، في منتصف شعبان توفي الأمير ناصر الدين محمد[(٢)] ابن الأمير افتخار الدين أباز بن عبد الله الحراني، بمدينة حمص، وهو يومئذٍ نائب السلطنة بها، وحمل إلى دمشق، ودفن بقاسيون، في يوم الخميس سابع عشر الشهر.

وفيها، في يوم الأربعاء، سلخ شعبان، توفي الطواشي شبل[(٣)] الدولة كافور الصفوي الخزندار بقلعة دمشق. ودفن يوم الخميس مستهل شهر رمضان، بتربته بسفح قاسيون، كان رجلاً صالحاً، كثير الصدقة والمعروف والإحسان، رحمه الله تعالى، والحمد لله وحده.

واستهلت سنة خمس وثمانين وستمائة
[٦٨٥ هـ = ١٢٨٦ م]

في هذه السنة، أعيد الأمير علم الدين سنجر الداواداري، إلى شد الشام، عوضاً عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، وباشر الديوان في بكرة يوم الاثنين خامس عشر المحرم.

وفيها، في سلخ ربيع الآخر، وصل تقيّ الدين توبة التكريتي من الديار المصرية إلى دمشق. وقد أعيد إلى الوزارة بالشام، عوضاً عن الصاحب محيي الدين بن النحاس.

ذكر حادثة غريبة اتفقت بحمص

وفي هذه السنة، في سابع عشر صفر، ورد إلى الأمير حُسام الدين لاجين المنصوريّ، نائب السلطنة بالشام، كتاب من الأمير بدر الدين بكتُوت العَلَائي وكان مجرداً بحمص، وصحبته من عسكر دمشق ألفا فارس، من مستهل هذه السنة، مضمونة بعد البسملة:

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٣٣.
(٢) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٣٤.
(٣) في الأصل: سهل. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٣٤.

يقبل الأرض وينهى أنه لما كان في يوم الخميس رابع عشر[١] صفر، وقت العصر، حصل بالغسولة[٢] إلى جهة عيون القصب، غمامة سوداء إلى الغاية، وأرعدت رعداً كثيراً زائداً. وظهر من الغمامة شبه دخان أسود، من السماء متصل بالأرض، وصور من الدخان، صورة أصّلة[٣] هائلة، مقدار العمود الكبير، الذي لا يحصنه جماعة من الرجال، وهي متصلة بعنان السماء، تلعب بذنبها فيتصل بالأرض، شبه الزوبعة الهائلة، وصارت تحمل الحجارة الكبار المقادير، وترفعها في الهواء، كرمية سهم نشاب وأكثر. وصار وقعها، وتلاطم الحجارة بعضها ببعض، يسمع له صوت هائل، من المكان البعيد. وما برح ذلك مستمراً في قوته، واتصل بأطراف العسكر المنصور، وما صادف شيئاً إلا رفعه في الهواء، كرمية نشاب وأكثر. وما صادف شيئاً من الأشياء، من السروج والجواشن[٤]، والعدد والسيوف، والتراكيش[٥] والقسي، والقماس والشاشات. والكلوتات[٦]، والنحاس، والأسطال، إلا صار طائراً في الهواء كشبه الطيور. ومن جملة ذلك، أنه كان في إسطبل المملوك، خرج آدم ملآن تطابيق[٧] بيطارية حمله في الهوا والجو كرمية نشاب. ودفع من جملة ما دفعه، عدة من الجمال بأحمالها، قدر رمح وأكثر، وحمل جماعة من الجند والغلمان، وأهلك شيئاً كثيراً من السروج، التي صدفها، والرماح، وطحن ذلك، إلى أن بقي لا ينتفع به. وأتلف شيئاً كثيراً مما صادفه في طريقه، وأضاع[٨] أشياء كثيرة من العدد والقماش، لمقدار مائتي نفر من الجند وأصحاب الأمراء، إلى أن صاروا بغير عدة، ولا قماش، وغابت تلك الحية عن العين، في عنان

---

(١) يوم الخميس سابع صفر في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٢٥.

(٢) الغسولة: منزل للقوافل فيه خان على يوم من حمص بين حمص وقارا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٢.

(٣) أصلة: حية قصيرة، تساور الإنسان، فلا تصيب شيئاً بنفختها إلا أهلكته ابن منظور: لسان العرب (أصل).

(٤) الجواشن: مفردها جوشن: وهو الدرع: بطرس البستاني: محيط المحيط، وهو مثل الزرد يلبس على الظهر، والفرق بينه وبين الزرد، أن الزرد يكون حلقة واحدة فقط، والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفائح رقيقة من التنك، محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٩٤.

(٥) التراكيش: والمفرد تركاش: لفظ فارسي الأصل ومعناه الكنانة أو الجعبة التي توضع فيها النشاب. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٧٦.

(٦) الكلوتات: تقدم التعريف به.

(٧) تطابيق: جمع تطبيقة، وهي صفحة من الحديد ينعل بها حافر الدابة لوقايته: الفيروزأبادي: القاموس المحيط (طبق) Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٨) في الأصل: ضاع.

السماء، فتوجهت في البرية، صوب الشرق. والذي عدم من قماش الجند، منه ما راح في الغمامة السوداء، ومنه ما أخذه بعض الجند، مع أن المملوك ركب بنفسه، ودار في المعسكر المنصور، واستعاد كثيراً مما عدم، وبعد هذا، عدم ما تقدم ذكره. وهذه الوقعة ما سمع بمثلها أبداً، ثم وقع بعد هذا يسير من مطر. ثم إن اللواحيق[١] الكبار، حملها الهواء وهي منصوبة، وصارت مرتفعة في الجو، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، أفرج السلطان عن الأمير شمس الدين قطلبجا أخي الرومي.

وفيها، رسم السلطان بهدم القبة الظاهرية، التي بقلعة الجبل بالرحبة، فحصل الشرع في هدمها، في يوم الأحد، عاشر شهر رجب. وأمر ببناء قبة في مكانها، فعمرت. وكان الفراغ منها [في شوال من هذه السنة][٢].

ذكر توجه السلطان إلى الكرك وما رتبه من أمر النيابة وعوده

في هذه السنة، في يوم الخميس، سابع شهر رجب، توجه السلطان إلى غزة، ثم توجه من بعدها جريدة[٣] إلى الكرك، فوصل إليها في شعبان، وصعد إلى قلعتها، ورتب أحوالها، ورسم بتنظيف البركة التي فيها من الطين، فنظفت. وعمل فيها جميع من كان في خدمة السلطان، من المماليك والحاشية مدة سبعة أيام. واستناب بها الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري[٤]، ونقل الأمير عز الدين الموصلي[٥] منها إلى نيابة السلطنة بغزة، وتقدمه العسكر بها. ولم يطل مقامه بها، فإنه نقل منها إلى نيابة قلعة صفد.

وعاد السلطان من الكرك، ونزل بغابة أرسوف، فأقام بها إلى أن وقع الشتاء، وأمن حركة العدو، وعاد إلى الديار المصرية، وكان وصوله إلى قلعة الجبل، في يوم الاثنين رابع عشر شوال منها.

وفيها، في شوال، أفرج عن الأمير بدر الدين بكتوت الشمسي، والأمير جمال الدين أقوش الفارسي.

---

(١) اللواحيق: جمع لحوقي. وهو الإناء الذي يجري فيه تسوية الطعام Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٣٨.

(٣) جريدة: أي دون أن يرافقه أحد من غلمانه. انظر Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٤) هو بيبرس المنصوري مؤلف كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٠.

(٥) «واستقر الأمير عزُّ الدين أيبك الموصلي نائب الشوبك في نيابة الكرك». المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٣١.

ذكر وفاة قاضي القضاة وجيه الدين، وتفويض القضاء بمصر والوجه القبلي، لقاضي القضاة، تقي الدين ابن بنت الأعز

في هذه السنة، في يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى[١]، كانت وفاة قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب ابن القاضي سديد الدين الحسين المهلبي، المعروف بالبهنسي، قاضي القضاة بمصر والوجه والقبلي، وولى بعده قاضي القضاة، تقي الدين بن عبد الرحمٰن ابن بنت الأعز، في يوم الأربعاء خامس عشر الشهر. وكان قاضي القضاة بالقاهرة والوجه البحري القاضي شهاب الدين الخوييّ[٢].

ذكر وفاة قاضي القضاة تقي الدين بن شاس المالكي وتفويض القضاء لقاضي القضاة زين الدين[٣] علي بن مخلوف المالكي

وفي هذه السنة، في ذي القعدة، كانت وفاة قاضي القضاة تقي الدين الحسين ابن الفقيه شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الفقيه الإمام مفتي الفرق جلال الدين أبي محمد عبد الله بن شاس الجذامي السعدي المالكي، قاضي قضاة المالكية بالديار المصرية. وفوّض السلطان القضاء بعده، على مذهب الإمام مالك بن أنس، لقاضي القضاة زين الدين أبي الحسن علي ابن الشيخ رضي الدين أبي القاسم مخلوف ابن الشيخ تاج الدين أبي المعالي ناهض النويري المالكي، وهو يومئذٍ ناظر الخزانة السلطانية. وكان في ابتداء ترقيه يلي أمانة الحكم العزيز بالقاهرة. فاتفق أن السلطان الملك المنصور، في حال إمرته، ابتاع منه، من تركه بعض الأمراء، عدة بجملة، كانت الغبطة فيها للأيتام، فطالبه القاضي زين الدين بالمال، فتوقف عن أدائه، وقصد ردماً ابتاعه. وتحدث في ذلك مع القاضي زين الدين فامتنع عن رده، واقتضى الحال أن شكاه للملك الظاهر، وألزم بالقيام بالثمن. فبقي ذلك في خاطر السلطان، فلما ملك، انتفع بذلك عنده غاية النفع، ورتبه في الخزانة، ووثق به، وتمكن عنده تمكناً عظيماً، ثم فوض إليه القضاء، وأقره[٤] معه على الخزانة، واستمر في القضاء إلى أن توفي، على ما نذكره، إن شاء الله تعالى، في أخبار الدولة الناصرية.

---

(١) في الأصل: الأول.

(٢) هو زين الدين علي بن مخلوف بن ناهض أبو الحسن المتوفى سنة ٧١٨/١٣١٨ انظر الوافي بالوفيات للصفدي ج ٢٢، ص ١٨٩ رقم ١٣٧.

(٣) ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٣. وتذكرة التنبيه لابن حبيب ج ١، ص ١٠٦.

(٤) في الأصل: «وأقبره» والتصحيح يقتضيه السياق.

ذكر وفاة قاضي القضاة بهاء الدين بن[1] الزكي وشيء من أخباره

وفي هذه السنة، في يوم الاثنين، حادي عشر ذي الحجة، توفي بدمشق قاضي القضاة بهاء الدين أبو الفضل يوسف، ابن قاضي القضاة محيي الدين أبي الفضل يحيى، ابن قاضي القضاة محيي الدين أبي المعالي، محمد، ابن قاضي القضاة، ركن الدين أبي الحسن علي ابن قاضي القضاة، مجد الدين أبي المعالي محمد ابن قاضي القضاة ركن الدين أبي الفضيل يحيى بن علي بن عبد العزيز العثماني الأموي القرشي، المعروف بابن الزكي، قاضي قضاة الشافعية بدمشق. اجتمع فيه وله ما لم يجتمع في غيره، ولا له. كان من أحسن الناس صورة، وأكملهم قواماً، وهيئة وهيبة، وكان من العلماء الفضلاء في المذهب وعلم الأصولين[2]، والعربية، والمنطق، وعلم الكلام والحساب، والفرائض، والنظم، وعلم البيان، وحل المترجم، والكتابة الجيدة الحسنة، مع الذكاء المفرط. وكان له دنيا عريضة من المال والعقار. وكانت داره بباب البريد، من أحسن الدور بدمشق وبستانه بالسهم الأعلى من أصح الغوطة وأطيبها هواء. وضيعته الملك قرية الميدانية، من غوطة دمشق. [وكانت][3] زوجته من أحسن النساء صورة [وكان][4] أولاده تامّين الصورة، وجُمع له من المدارس بدمشق أجلها، وهي العزيزية والتقوية والفلكية والعادلية والمجاهدية والكلاَّسية، وغيرها. وأنظار أوقاف كثيرة، وقضاء قضاة دمشق وسائر أوقافها، فلما كما له ذلك. أتاه الموت الذي لا حيلة فيه ولا دافع له، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأديب الفاضل، الشاعر المجيد، شهاب الدين[5] أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن يوسف بن أحمد الأنصاري اليمني المحتد المصري الدار والمولد، الشافعي الصوفي، المعروف بابن الخَيْميّ، الشاعر المشهور، المبرز على نظرائه. وكانت وفاته بالقاهرة المعزية، بمشهد الحسين، في التاسع والعشرين من شهر

---

(١) ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٣، تذكرة التنبيه لابن حبيب، ج ١، ص ١٠٣، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٧.

(٢) في الأصل: الأصوليين. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٧.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٨.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٥) ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣١٢. تذكرة التنبيه لابن حبيب، ج ١، ص ١٠٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٢٧. وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٢٩٣، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٣ ترجمة ٤٧٥. وحسن المحاضرة للسيوطي ج١، ص ٥٦٩، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٣، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٢.

رجب الفرد، سنة خمس وثمانين وستمائة، ومولده تخميناً في سنة اثنتين وستمائة. روى عن ابن باقا، وسمع من ابن البنا وغيره، وحدّث، وكان يعاني الخدم الديوانية، وله نظم كثير جيد. فمنه قصيدته المشهورة البائية، التي ادعاها الشيخ نجم الدين بن إسرائيل. وقد رأينا أن نذكر هذه القصيدة، ما وقع في أمرها، وما قيل في وزنها ورويها، وكيف حكم بها للمذكور. وأول القصيدة[(١)]: [من البسيط]

يا مطلباً ليس لي في غيره أَرَبُ ... إلا آل التَّقَصِّي وانتهى الطَّلَبُ
وما طمحت لمرأى أو لمستمعٍ ... إلا لمعنًى إلى علياك ينتسب
وما أرانِي أهلاً أن تواصلني ... حسبي عُلُواً، بأني فيك مكتتب[(٢)]
لكنْ ينازعُ شوقي تارة أدبي ... فأصلبُ الوصلَ، لما يضعفُ الأدب
ولستُ أبرحُ في الحالين ذا قلقٍ ... بادٍ[(٣)] وشوق له في أضلعي لهب
وناظر[(٤)] كلّما كفكفتُ أدمعةً[(٥)] ... صوناً لحبك[(٦)] يعصيني وينسكب
ويدّعي في الهوى دمعي مقاسمتي ... وجدي وحزني ونجوى[(٧)] وهو مختضب[(٨)]
كالطرف يزعم توحيدَ الحبيب ولا ... يزالُ في ليله للنجم يرتقب
يا صاحبي قد عدُت المسعدين فما ... عدني على وَصَبي لا مسَّكَ الوصب
بالله إن جزتَ[(٩)] كثباناً بذي سَلَمٍ ... قف بي عليها، وقل لي هذه الكثب
ليقيَ الخدُّ في أجراعها وطراً ... من تربها وأؤدي[(١٠)] بعضَ ما يجب
وملْ إلى البانِ من شرقيٍّ كاظمةٍ ... فلي إلى البانِ من شرقيها طرب[(١١)]

---

(١) وردت هذه القصيدة في تاريخ ابن الفرات ج ٨، ص ٤٢ ـ ٤٦. وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج٣، ص ٤١٥.
(٢) في فوات الوفيات ج ٣، ص ٤١٥ «مكتتب».
(٣) في فوات الوفيات ج ٣، ص ٤١٥ «نامٍ».
(٤) في المصدر نفسه: «ومدمع».
(٥) في المصدر نفسه: «صبية».
(٦) في المصدر نفسه «لذكرك».
(٧) في المصدر نفسه: «ويجري».
(٨) في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٢ «متخضب».
(٩) في الأصل، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٢، «جئت». والتصحيح من فوات الوفيات ج ٣، ص ٤١٥.
(١٠) في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٥ «ويؤدي».
(١١) في المصدر نفسه: «أرب».

وخذ يميناً لمغنًى[١] تهتدي بشذا ... نسيمة[٢] الرطب إن ضلَّتْ النجبُ

حيث الهضاب وبطحها يروِّضها ... دمعُ المحبين لا الأنداء والسحب

أكرمْ به منزلاً تحميه هيبتُهُ ... عني وأنواره لا السمرُ والقُضُب

دعني أعللُ نفساً عَزَّ مطلبها فيـ ... ـه[٣]، وقلباً لعذْر[٤] ليس ينقلب

ففيه عاهدت[٥] قدماً حب[٦] من حسلت ... به الملاحةُ واعتزت به الرتب

دان وأدنى وعز الحسن يحجبه ... عني وذلي والإجلال والرهب

أحيا إذا متّ من شوق لرؤيته ... لأنني[٧] إنما سُقْمي[٨] هو العجب

يا لهف نفسي[٩] لو يحدي[١٠] تلهفها ... عوناً[١١] وواحربا[١٢]، لو ينفعُ الحرب

يمضي الزمانُ وأشواق مضاعفة ... يا للرّجال ولا وصلٌ ولا سبب

هبّت لنا نسمات من ديارهم ... لم يبق في الركب من لا هزه الطرب

كدنا نطير سروراً من تذكرهم ... حتى لقد رقصت من تحتنا النجب

يا بارقاً بأعالي[١٣] الرقمتين بدا ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

أما خفوق فؤادي فهو عن سبب ... وعن خفوقك قلْ لي ما هو السبب

ويا نسيماً سرى من جو كاظمة ... بالله قل ليَ كيف البانُ والعَذَب

وكيف جيرةُ ذاك الحيِّ[١٤] هل حفظوا ... عهداً أراعيه إن شطروا وإن قربوا

أم ضيعوا ومرادي منك ذكرُهم ... هم الأحبةُ إن أعطوا وإن سلبوا

إن كان يرضيهمُ إبعاد عبدُهم ... فالعبدُ منهمْ بذاك البعد مقترب

---

(١) في الأصل: «المعنى»، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٣.
(٢) في الأصل: «بشيمة» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٣.
(٣) في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٥ «منه» أول الشطر الثاني.
(٤) في المصدر نفسه: «الغدر».
(٥) في المصدر نفسه: «عاينت».
(٦) في المصدر نفسه: «حسن».
(٧) في المصدر نفسه: «بأنني».
(٨) في المصدر نفسه: «حسمي».
(٩) في المصدر نفسه: «في حبه».
(١٠) في المصدر نفسه: «أجدى».
(١١) في المصدر نفسه: «غوثاً».
(١٢) في الأصل: حزناً. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٣.
(١٣) في الأصل: «باعلي» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٣، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٥.
(١٤) في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٥ «حي».

والهجرُ إن كان يرضيهم بلا سببٍ   فإنه من قبيل[١] الوصل محتسب

ولما بلغت هذه القصيدة نجم الدين محمد بن إسرائيل، ادعاها لنفسه. فاجتمع هو وابن الخَيْمي بعد ذلك بحضرة جماعة من الأدباء، وجرى الحديث في ذلك، فأصر ابن إسرائيل على أنها له. فتحاكما إلى الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، رحمه الله، وكان يومئذٍ هو المشار إليه في معرفة الأدب ونقد الشعر. فأشار أن ينظم كل واحد منهما أبياتاً على الوزن الرومي فنظم ابن الخيمي: [من البسيط]

لله قومٌ بجَرعاء الحِمَى غُيُبُ   جَنَوْا عليَّ، ولمّا أن جَنَوْا عَتَبُوا

يا قوم[٢] هم أخذوا قلبي فلم[٣] سَخِطوا   وإنهم غصبوا عيشي هام غضبوا

هم العُرَيْبُ بنجدٍ مذ عرفتُهم   لم يبقَ لي مَعَهُمْ مالٌ ولا نسب

شاكون للحربِ لكن من قدودهم   وفاترات اللحاظِ السمرُ والقضب

فما ألمُّوا بحيٍّ أو ألمَّ بهم   إلا أغاروا[٤] على الأبيات وانتبهوا

عهدتُ في دمن[٥] البطحاء عهد هَوى   إليهمُ وتمادت[٦] بيننا حقب

فما أضاعوا قديمَ العهد بل حفظوا   لكن لغيريَ ذاك العهد قد نسبوا

مَنْ منصفي من لطيفٍ غَنجٍ   لَدنِ القَوام لإسرائيل ينتسب

مبدل القول ظلماً لا يفي بموا   عيد الوصال ومنه الذنب والغضب

في لثغة الراء منه صدق نسبتهُ[٧]   والمنّ منه برور[٨] الوعد والكذب

موحدٌ فيرى كلَّ الوجود له   ملكاً ويبطل ما يفضي[٩] به النسب

فعن عجائبه حَدِّثْ ولا حرجٌ   ما ينتهي في المليح المطلقِ العجب

---

(١) في المصدر نفسه: ج ٣، ص ٤١٦ «الذيد».
(٢) «يا ربِّ» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٦.
(٣) «فلمَ» في المصدر نفسه: ج ٣، ص ٤١٦.
(٤) «وغاروا» في المصدر نفسه: ج٣، ص ٤١٧.
(٥) في الأصل: «زمن» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٤.
(٦) في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٤ «وعادت».
(٧) «تبين لثغته بالراء نسبته» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٧.
(٨) «بروز» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٧.
(٩) «يأتي» في المصدر نفسه: ج ٣، ص ٤١٧.

بـدرٌ[١] ولـكـن هـلالاً لاح إذ هـو[٢] بـالـورديّ من شفق الخدين منتقب
في كاس مبسمه من حلو ريقته خـمـرٌ وردُّ ثـنـايـاه بـهـا حَـبَب
فـلـفـظـه أبـداً سـكـران[٣] يـسـمـعـنـا من معربِ اللحن ما ينسى له[٤] الأدب
تـجـني[٥] لـواحـظـه فـيـنـا ومـنـطـقـه جـنـايـةً يُـجـنَـى مـن مُرّهـا الـضَّـرَب
قد أظهر السحر في أجفانه سقيماً الـبـرء مـنـه إذا مـا شـاء والـعـطـب
حلو الأحاديث وألفاظ[٦] ساحرها تُـلـقـى[٧] إذا نـطـق الألـواحُ والـكـتـب
لـم يـبق مـنـطـقـه قـولاً يـروق لـنـا[٨] لقد شكت ظلمة الأشعارُ والخطب
فداؤه[٩] ما جرى في الدمع من مُهَج[١٠] وما جرى في سبيل الحب محتسَب
ويح المتيم شام بارق[١١] من أضم فـهـزه كـاهـتـزاز الـبـارق الـحـرب
وأسكن البرقَ من وجد ومن كلف في قـلـبـه فـهـو فـي أحـشـائـه لـهـبَ
فكلما[١٢] لاح[١٣] منه بارقٌ بعثت قـطـر الـمـدامـع من أجـفـانـه سـحـب
ومـا أعـادت نُـسـيـمـات الـغـويـرِ لـه أخـبـار ذي الأثـل إلا هـزّه الـطـرب
واهـاً لـه أعـرض الأحـبـابُ عـنـه ومـا أجدَتْ وسائله الحسنى ولا القرب

ونضم الشيخ نجم الدين محمد بن إسرائيل رحمه الله تعالى[١٤]: [من البسيط]

(١) «بال» في المصدر نفسه: ج ٣، ص ٤١٧.
(٢) «لها» في المصدر نفسه: ج ٣، ص ٤١٧.
(٣) في الأصل: «سكران» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٣، ص ٤١٧.
(٤) «به» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٧.
(٥) في الأصل: «يحيى» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٤.
(٦) «والألحاظ» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٧.
(٧) في الأصل: «يلقى» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٤.
(٨) «لم تبقِ ألفاظه معنًى يرق لنا» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٧.
(٩) «مداده» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٤.
(١٠) في الأصل: «ملج» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٤، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٧.
(١١) «البرق» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٤١٧.
(١٢) «وكلما» في المصدر نفسه: ج ٣، ص ٤١٧.
(١٣) «جاء» في المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤١٧.
(١٤) هو محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن الحسين، نجم الدين =

لم يقضِ من حُبّكم بعضَ الذي يَجِبُ ... قلبٌ متى ما جرَى تَذْكارُكُم يَجب
ولـي، وَفِـيٌّ لـرسـم الـدار بـعـدكُـم ... دمع حتى جاد ضنت بالحيا السحب
أحـبابـنـا والـمـنـى تُـدنـي مـزاركـم ... وربـمـا حـال من دون الـمـنـى الأدب
مـا رابكـم مـن حياتي بـعـد بـعـدكـم ... ولـيـس لـي فـي حـيـاة بـعـدكـم أدب
قـاطـعـتـمـونـي فـأحـزانـي مُـواصِـلـةٌ ... وحـلـتـمُ فـحـلالـي فـيـكـم الـتـعـب
رحـتـم بـقـلـبي ومـا كـادت لـتـسـلـبـه ... لـولا قـدودكـم الـخـطـيّـة الـسـلـب
يـا بـارقـاً بـبـراق الـحـزن لاح لـنـا ... أأنـت أم أسـلـمـت أقـمـارَهـا الـنـقـب
ويـا نـسـيـمـاً سرى والـعـطـر بـصـحـبـه ... أجـزت حـيـن مَـشَـيـن الـخـرّدُ الـعُـرب
أقسمتُ بالمقسمات الزُّهر يحجبها ... سُـمْـرُ الـعـوالـي والـهـنـديّـةُ الـقـضـب
لـكـدت تـشـبه بـرقـا مـن ثـغـورهـم ... مـا در دمـعـي لـولا الـظـلـم والـشـنـب
وجـيـرة جـار فـيـنـا حـكـم مـعـتـدل ... مـنـهـم ولـم يُـعْـتـبوا لـكـنـهـم عـتـبوا
مـا حـيـلـتـي قـربـونـي مـن مـحـبـتـهـم ... وحـال دونـهـم الـتـقـريـب والـخـبـب

وعُرِضتا على الشيخ شرف الدين بن الفارض. فأنشد مخطباً لابن إسرائيل عجز بيت من أبيات ابن الخيمي:

* لـقـد حـكـيـت ولـكـن فـاتـك الـشـنـب *

وحكم بالقصيدة لابن الخيمي. واستحسن بعض من حضر المجلس من الأدباء أبيات ابن إسرائيل، وقال: من ينظم مثل هذه الأبيات، ما الحامل له على ادعاء ما ليس له؟. فقال ابن الخيمي: هذه سرقة عادة، لا سرقة حاجة. وانفصل المجلس. وفارق الشيخ نجم الدين بن إسرائيل من وقته الديار المصرية، وتوجه إلى الشام. ولما بلغت هذه الواقعة القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان وهو إذ ذاك يتولى نيابة الحكم بالقاهرة، خلافة عن قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، رحمهما الله تعالى، أرسل إلى الشيخ شهاب الدين ابن الخيمي، يطلب منه الأبيات التي نظمها، وادعاها ابن إسرائيل، فذيلها بأبيات وهي: [من البسيط]

إن كـان يـرضـيـهـم إبـعـاد عـبـدهـم ... فـالـعـبدُ مـنـهـم بـذاك الـبـعـد مـقـتـرب
والـهـجـر إن كـان يـرضـيـهـم بـلا سـبـب ... فـإنـه مـن لـذيـذِ الـوصـلِ مـحـتـسـب

= أبو المعالي الشيباني الشاعر المشهور. ولد بدمشق سنة ثلاث وستمائة، وتوفي بها سنة سبع وسبعين وستمائة. مدح الرؤساء والقضاة وغيرهم ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

وإن هم احتجبوا عني فإن لهم ... في القلب مشهور حسن ليس يحتجب
قد نزَّه(١) اللطف والإشراف بهجته ... عن أن تمنعها(٢) الأستار والحجب
لا ينتهي نظري منهم إلى رتب ... في الحسن إلا ولاحت فوقها رتب
وكلما لاح معنى من جمالهم ... لبَّاه شوق إلى معناه منتسب
أظل(٣) دهري ولي من حبهم طربٌ ... ومن أليم اشتياقي نحوهم حرب
فالقلب يا صاحِ متي بين ذاك وذا ... فلب لمعروف شمس الدين منتهب
إن الحديث شجون فاستمع عجباً ... حديث ذا الحبر حسناً كله عجب

وشرع في مدحه وذكر أوصافه. إلى نهاية سبعة وثلاثين بيتاً، تركنا إيراد بقيتها اختصاراً(٤). وشعره، رحمه الله تعالى، كثير جيد مشهور. فلنرجع إلى سياق أخبار الدولة المنصورية.

واستهلت سنة ست وثمانين وستمائة
[٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م]

في هذه السنة، تسلم الأمير حُسام الدين طُرَنْطَاي صِهْيُوْن، وعاود الأمير شمس الدين سُنْقُر(٥) الأشقر الطاعة. وقد تقدم ذكر ذلك.

وفيها، كانت غزوة النوبة الأولى. وقد تقدم ذكرها.

---

(١) في الأصل: «نوه» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٥.
(٢) في الأصل: «يمنعها» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٥.
(٣) في الأصل: «أطل» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٥.
(٤) هذه العبارة واردة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٦.
(٥) كان سنقر الأشقر مقيماً بصهيون منذ سنة ٦٧٩ هـ، ولما كان ما بينه وبين السلطان قلاوون قد انتهى بالصلح منذ شهر صفر سنة ٦٨٠ هـ فقد اعتقد السلطان، وهو بالمرقب أن سنقر سيسير إليه وهو بها أداء الواجب التابع نحو المتبوع، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك، وبعث إليه ابنه ناصر الدين صمغار فأسرّها السلطان في نفسه، ولم يمكن صمغار من العود إلى أبيه، بل حمله معه إلى مصر، المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٢٨في المصدر نفسه: ج ٣، ص ٧٣٤.

ذكر تفويض قضاء القاهرة والوجه البحري للقاضي برهان الدين[(١)] السنجاري، ونقله القاضي شهاب الدين الخويي إلى الشام ووفاة السنجاري، وإضافة قضاء القاهرة للقاضي تقي الدين ابن بنت الأعز

كان سبب هذه الولايات ما قدمناه، من وفاة قاضي القضاة بدمشق، بهاء الدين بن الزكي، في حادي عشر ذي الحجة، سنة خمس وثمانين. فلما اتصل خبر وفاته بالسلطان، رسم بتعيين قاضٍ للشام. فعين قاضي القضاة شهاب الدين الخُويي لذلك، فيما بلغني، القاضي شرف الدين إبراهيم بن عتيق، وكان إذ ذاك ينوب عنه، وأحضره لذلك. وسعى قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز، أن ينقل القاضي شهاب الدين الخويي إلى الشام، ويستقل هو بقضاء المدينتين والعملين، فنتج سعيه الآن في أخذ الطرفين. وذلك أن القاضي شهاب الدين الخويي، طلع في يوم الأحد، خامس عشر المحرم، من هذه السنة، إلى قلعة الجبل، وصحبته القاضي شرف الدين بن عتيق، الذي عينه لقضاء الشام. وحضر قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز المجلس، وطلب [السلطان][(٢)] قاضي القضاة برهان الدين الخضر السنجاري، فخلع عليه، وفوض له قضاء القاهرة والوجه البحري ونقل القاضي شهاب الدين الخويي إلى قضاء الشام، فتوجه إلى دمشق، في ثالث عشر صفر، ووصل إليها في يوم الاثنين ثالث عشر شهور ربيع الأول. وأما القاضي برهان الدين، فإنه جلس للحكم بالقاهرة بالمدرسة المنصورية. وتقدم في الجلوس بدار العدل، وعلى قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز، فتألم لذلك، وندم على سعيه في نقلة القاضي شهاب الدين الخويي إلى الشام، وسعى أن يتوفر من حضور دار العدل. فبينما هو في ذلك، توفي قاضي القضاة برهان الدين السنجاري. وكانت وفاته في تاسع صفر من السنة، بالمدرسة المعزّية بمصر، ودفن بتربة أخيه بدر الدين بالقرافة. فكانت مدة ولايته أربعة وعشرين يوماً، ومولده في سنة ست عشرة وستمائة. ولما مات، فوض السلطان قضاء القاهرة والوجه البحري لقاضي القضاة، تقي الدين عبد الرحمٰن ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز. وخلع عليه، وجمع له القضاء بالمدينتين والعملين. وبلغني أنه صلى على القاضي برهان الدين، وعليه خلعة القضاء[(٣)].

---

(١) ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٨، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٥٧. وعقد الجمان للعيني، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٨.

(٣) ينفي النويري وابن الفرات في هذه الرواية مما يدل على أنهما اقتبسا من مصدر واحد.

ذكر خبر واقعة ناصر الدين بن المقدسي وأعيان دمشق، ومصادرة أكابر دمشق، وتوكيل ناصر الدين بن المقدسي عن السلطان

وفي هذه السنة، وصل ناصر الدين محمد ابن الشيخ عبد الرحمٰن المقدسي، إلى الأبواب السلطانية. وكان قد حضر، ليرفع(١) على قاضي القضاة [بدمشق](٢) بهاء الدين ابن الزكي أموراً. فاتفقت وفاة القضاة كما تقدم، فبطل عليه ما دبره من أمره، فعدل عن ذلك إلى غيره. واجتمع بالأمير علم الدين [سنجر](٣) الشجاعي، وزير الدولة، وتحدث معه في أمر بنت(٤) الملك الأشرف موسى ابن السلطان الملك العادل، وأنها أباعت أملاكها بدمشق، وأنه ثبت أنّها حالة البيع كانت سفيهة، وقد حجر عليها عمها الملك الصالح، عماد الدين إسماعيل، ويستعيد الأملاك ممن ابتاعها، ويرجع عليهم بما تسلموه من الريع، في المدة الماضية، ويشتري هذه الأملاك للخاص السلطاني، فأجابه إلى ذلك. وكتب يطلب سيف الدين أحمد السامري من دمشق، وكان قد ابتاع منها حرزما(٥). فحضر في شهر رمضان، والسلطان إذ ذاك بغزة، فسيره إلى الديار المصرية. فطلب منه ابتياع حرزما. فادعى أنه وقفها من مدة. فعند ذلك، سطر محضر، يتضمن ابنة الملك الأشرف، كانت في مدة كذا وكذا سفيهة، وذلك في زمن البيع. ولم تزل مستمرة السفه، إلى تاريخ كذا وكذا. ثم صلحت واستحقت رفع الحجر عنها من مدة كذا وكذا. ولفّق بيّنة شهدت بذلك، وثبت على أخذ قضاء القضاة بالديار المصرية، وقد شاهدت أنا هذا المحضر. ولما ثبت ذلك في وجه سيف الدين السامري، بطل البيع من أصله، ثم طولب بما تحصل له من الريع، لمدة عشرين سنة، وكان مائتي ألف درهم وعشرة آلاف درهم، بعد الاعتداد له، بنظير الثمن الذي دفعه. فاشترى منه سبعة عشر سهماً، من قرية الزنبقية، بسبعين ألف درهم، وحمل مائة ألف وأربعين ألف درهم. وفوض

(١) «ليرافع قاضي القضاة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٥٠، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٥.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٥.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٥٠.

(٤) هي ملكة خاتون تزوجها الجواد يونس بن العادل أبي بكر ثم طلقها فتزوجها المنصور محمد بن الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر فولدت له ولدين، وكان أبوها قد أوصى لها بجميع جواهره، ووقف دار السعادة وبستان النيرب، وتوفيت في عاشر شعبان سنة٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤ م. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٣٥، حاشية (٢).

(٥) حَرْزَم: بالفتح ثم السكون وزاي مفتوحة وميم، اسم بليدة في وادٍ ذات نهر جارٍ وبساتين بين ماردين ودُنيسر من أعمال الجزيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢، ص ٢٧٨.

السلطان وكالته، لناصر الدين المقدسي المذكور، فشرع في أذى أهل دمشق وأعيانها، فطلب جماعة منهم، في سنة سبع وثمانين، وهم الصدر عز الدين حمزة بن القلانسي، والصدر نصير الدين بن سويد، وشمس الدين ولد جمال الدين بن يمن، وجمال الدين ابن صصري، وطلب[١] أيضاً قاضي القضاة حسام الدين الحنفي، والصاحب تقي الدين توبة، وشمس الدين بن غانم، فصودر هؤلاء فأخذ من الصدر عز الدين بن القلانسي، فيما قيل، مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم، ومن جمال الدين بن صصري، ثلاثمائة ألف درهم، قيمة ملك ودراهم. وحمل [من][٢] نصير الدين ثلاثون ألف درهم، ومن ابن أيمن، عن قيمة أملاك، مائة آلف درهم وتسعون ألف درهم، ومن شمس الدين بن غانم خمسة آلاف درهم، ومن قاضي القضاة حسام الدين ثلاثة آلاف درهم. واعتذر أكابر الدماشقة، أنهم حضروا على خيل البريد، وأن أموالهم وموجودهم بدمشق. وسألوا أن يقرر عليهم ما يحملونه. فطلب الأمير علم الدين سنجر الشجاعي [وزير الديار المصرية][٣]، جماعة من تجار الكارم[٤] وأمرهم أن يقرضوا الدماشقة مالاً يحملونه، ففعلوا ذلك. وكتب عليهم الحجج، وأعيدوا إلى دمشق، وقاموا بالمبلغ لأربابه. وإنما فعل الأمير علم الدين الشجاعي ذلك، خشية أنهم إذا توجهوا إلى دمشق، استشفعوا فيسامحوا. فأراد أن يكون ذلك في ذمتهم، لغير بيت المال. ثم عاد الدماشقة إلى دمشق، وولى جمال الدين بن صصري الدواوين بدمشق، وذلك في سنة سبع وثمانين وستمائة.

وفي سنة ست وثمانين وستمائة أيضاً، توجه السلطان إلى جهة الشام، واستقل ركابه في قلعة الجبل، في يوم الخميس سابع عشرين شهر رجب، ووصل إلى غزة، وأقام بتل العجول، ثم عاد إلى قلعة الجبل. وكان وصوله إليها، في يوم الاثنين ثالث عشرين، شوال من السنة.

وفيها، في تاسع عشر محرم، كانت وفاة علاء الدين ابن المالك الناصر، صاحب

(١) في الأصل: طولب له، والتصحيح ليستقيم المعنى.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦٢.
(٤) تجار الكارم: فئة من التجار كان بيدهم تجارة البهار مما يجلب من الهند عن طريق ثغور اليمن فعرف ذلك بهم، وكان معظمهم في الأصل من بلاد الكانم الإسلامية التي تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد في السودان الغربي فنسبوا إلى أصلهم الجغرافي بعد تحريفه إلى الكارم. ثم أطلق ذلك اللفظ على جميع من مارس تلك التجارة بمصر. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٧٣.

الشام، الذي كان في الاعتقال، وكان قد اعتقل، في أوائل الدولة المنصورية، في سابع عشر رمضان، سنة ثمان وسبعين وستمائة. وكان قد حصل له مرض المالنخوليا. فلما اشتد به، قتل نفسه، ومولده في سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وفيها، في ليلة السبت، الثامن والعشرين، من شهر المحرم، توفّي الشيخ الإمام، قطب الدين(١) أبو بكر، محمد بن أحمد علي بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن ميمون القيسي الشاطبي، المعروف بابن القسطلاني، بالمدرسة الكاملية، دار الحديث بالقاهرة، وهو مدرسها، ودفن من الغد، بالقرافة الصغرى. وكانت جنازته مشهورة، رحمه الله تعالى.

وفيها، كانت وفاة الأمير سيف الدين قجقار(٢) المنصوري، نائب السلطنة بالمملكة الصفدية. وكان السلطان قد رباه في صغره، كالولد، رحمه الله تعالى.

وفيها، كانت وفاة الأمير علم الدين(٣) سنجر الباشقردي الصالحي بالقاهرة، في ليلة الثلاثاء، تاسع عشر، شهر رمضان، ودفن بالقرافة. وكان من أكابر الأمراء المقدمين بالديار المصرية. وتولى نيابة السلطنة بحلب كما تقدم، وعزل بالأمير شمس الدين قراسُنْقُر المنصوري.

واستهلت سنة سبع وثمانين وستمائة [٦٨٧ هـ = ١٢٨٨ م]

ذكر عزل الأمير علم الدين(٤) سنجر الشجاعي عن الوزارة ومصادرته، وتفويض الوزارة لقاضي القضاة، تقي الدين ثم إلى الأمير بدر الدين بيدرا(٥)

وفي هذه السنة، في يوم الخميس، ثاني عشر شهر ربيع الأول، عزل السلطان

---

(١) ترجمته: في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٣٩٧، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٥٩، والوافي بالوفيات للصفدي ج ٢، ص ١٣٢، رقم (٤٨٠)، وتذكرة التنبيه لابن حبيب، ج ١، ص ١١٠، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٨؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣١٥؛ وعقد الجمان للعيني ج ٢، ص ٣٧٥ (طبعة بولاق).
«وقد أناف على السبعين» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٨.

(٢) ترجمته في عقد الجمان للعيني، ج ٢، ص ٣٦٧، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٥٩.

(٣) ترجمته في: الوافي بالوفيات للصفدي ج ١٥، ص ٤٧٣ رقم (٦٣٨)، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٥٨.

(٤) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦٣، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٢، وكنز الدرر لابن أيبك الدواداري ج ٨، ص ٢٨١، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ٩٧.

(٥) هو بيدرا بن عبد الله المنصوري المتوفى سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٤ م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي =

الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، عن الوزارة، وصادره وأخذ أمواله. وكان سبب ذلك، أن النجيب المعروف بكاتب بكجري، أحد مستوفيي[١] الدولة، برز له، وانتدب لمرافعته، بموافقة تقي الدين بن الجوجري، ناظر[٢] الدواوين ومباطنته له، وحاققه بين يدي السلطان. وكان من جملة ما حاققه[٣] عليه، وأغرى السلطان به، أنه قال للسلطان بحضوره، إنه أباع جملة من الرماح والسلاح، الذي كان في الذخائر السلطانية للفرنج. فاعترف الأمير علم الدين بذلك. وقال: نعم أنا بعته بالغبطة[٤] الوافرة، والمصلحة الظاهرة. فالغبطة أني بعتهم من الرماح والسلاح، ما عتق وفسد، وقلّ الانتفاع به، وبعته بأضعاف قيمته، والمصلحة، ليعلم الفرنج أنا نبيعهم السلاح هواناً بهم، واستحقاراً لأمرهم، وعدم مبالاة بهم. فكاد السلطان يصغي إلى ذلك. فأجابه النجيب عن ذلك، بأن قال له يا مكثل[٥]، الذي خفى عنك أعظم مما لمحت هذا الكلام، الذي صورته أنت بخاطرك، وأعددته جواباً. وإنما الفرنج والأعداء لا يحملون بيع السلاح لهم، على ما ظننت أنت وزعمت. وإنما الذي يشيعونه بينهم وينقله الأعداء إلى أمثالهم، أن يقولوا، قد احتاج صاحب مصر، حتى باع سلاحه لأعدائه، أو ما هذا معناه من الكلام. فعند ذلك احتد السلطان عليه، غاية الاحتداد، واشتد غضبه، وأمر بمصادرة الأمير علم

= ج ٣، ص ٤٩٣، رقم ٧٣٤. انظر ترجمته أيضاً في الوافي بالوفيات للصفدي، ج ١، ص ٣٦٠: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٧٨٧؛ وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٨؛ وتشريف الأيام لابن عبد الظاهر ص ٢٨٠.

(١) مستوفيي الدولة: مفردها مستوفي، عمله ضبط كليات المال في كافة المملكة في الشام ومصر وعمله كعمل مستوفي الصحبة وليس من السهل تمييز عملها، وكان يعاونها عدد من المستوفين، منهم الكبار مثل مستوفي أصل ومستوفي مباشر، ولكل منهما أعمال مالية تخصه، ومما يدل على أهمية مستوفي الصحبة أو مستوفي الدولة أن الأول يوصف بأنه قطب ديوان المال ويطلق عليه الصاحب مثل الوزير أو ناظر المال، وأن أحد السلاطين أطلق عليه أيضاً وزير الوزراء. أما مستوفي الدولة فإنه يعني بسجل مثل كبار الدولة، انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد البقلي. ونظم دولة سلاطين المماليك للدكتور عبد المنعم ماجد، ج ١، ص ٦٧.

(٢) ناظرُ الدواوين: هو الذي يعبر عنه بناظر الدولة. ويشارك الوزير في التصرف والنظر في المالية، وأرزاق أصحاب القلم من الموظفين خاصة، ويسمى أحياناً ناظر النظار، أو الصاحب الشريف ومقره ديوان النظر، ويعاونه في أعماله متولي الديوان، وهو ثاني رتبة الناظر. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص ٤٣٧.

(٣) في الأصل: «وخانقه»، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦٣، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٣٩.

(٤) الغبطة: أي الربح والكسب. انظر Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٥) المكثل: السلة والقفة Dozy. Supp. Dict, Ar.

الدين، على جملة كثيرة من الذهب، وألزمه أن لا يبيع فيما طلب منه، شيئاً من خيله وسلاحه ولا [من][١] عدة الإمرة ورختها[٢]، وأنه لا يحمل المطلوب منه إلا عيناً، ففعل ذلك. وبلغ السلطان، أن الأمير علم الدين، قد ظلم الناس وصادرهم، وأن في اعتقاله جماعة كثيرة، قد مرّ عليهم شهور وسنون، وباعوا موجودهم، وصرفوه في أجرة المترسمين[٣] عليهم. واحتاج بعضهم إلى أن استعطى من الناس بالأوراق[٤]. فرسم السلطان للأمير بهاء الدين بُغْدي[٥] الداوادار، أن يكشف أمر المصادرين، ويطالع السلطان به. فخرج إليهم وسألهم، فذكروا ما هم فيه من الضرورة والفاقة، فأعلم السلطان بخبرهم. فرسم للأمير حسام الدين طرنطاي بالكشف عنهم، فأفرج عن جميعهم. ثم أفرج عن الأمير علم الدين في يوم الأربعاء، تاسع شهر ربيع الآخر من السنة.

ولما عزل السلطان الأمير علم الدين عن الوزارة، فوضها السلطان للأمير بدر الدين بيدرا، في يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الأول في السنة. ثم فوضت الوزارة لقاضي القضاة، تقي الدين عبد الرحمٰن ابن بنت الأعز، في يوم الخميس التاسع عشر من شهر ربيع الآخر، مضافة إلى ما بيده من قضاء القضاة، ونظر الخزائن. ولم يترك نظر الخزانة، فربما جلس في اليوم الواحد في دست الوزارة، ومجلس الحكم، وديوان الخزانة. واستمر على ذلك مدة يسيرة، ولم يوف منصب الوزارة حقه العادي، لتمسكه بظاهر الشرع الشريف. ثم توفر من الوزارة، وفوضت للأمير بدر الدين بيدرا المنصوري، وكان أمير مجلس[٦] السلطان، ثم نقل إلى الاستادارية، ثم إلى الوزارة. واستقر كذلك إلى آخر الدولة المنصورية.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦٣.

(٢) الرخت: بالفارسية اسم للقماش، ومعناه هنا المتاع. انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ١٥٨، Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) الترسيم: الأمر الذي يصدر من الجهة المختصة لعقوبة شخص بوصفه تحت المراقبة. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٤٠، حاشية (٥).

(٤) الأوراق: جمع ورقة أي: الصك يكتبه المدين للدائن. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٤٠، حاشية (٦).

(٥) في الأصل: «عدى» بدون نقط والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦٢، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤١.

(٦) أمير مجلس: كان صاحب هذه الوظيفة هو الذي يتحدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم، ولا يكون إلا واحداً. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ١٩، وذكر المقريزي في موضع آخر من كتابه، أن أمير المجلس هو الذي يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره. صبح الأعشى ج ٥، ص ٤٢٨، ويظهر في هذين التعريفين المتباينين أن تلك الوظيفة، كانت تشمل الناحيتين المذكورتين.

وفيها، في ليلة يسفر[1] صباحها عن يوم الاثنين سادس عشر ربيع الأول، وقع الحريق، في خزائن السلاح والمشهد الحسيني بالقاهرة، ثم طفىء.

وفيها، بنى السلطان الملك المنصور بابنة الأمير شمس الدين سنقر التكريتي الظاهري، وأفرج عن والدها من الاعتقال، وأمَّره بالشام، ثم فارقها السلطان، فقيل في سبب فراقه لها، إن والدها زوج أختها من أحد مماليكه، فكره السلطان، وأنف منه، وفارقها بسببه. وقيل: بل تعاطت نوعاً من الكبر وأقامت لها من الجواري سلاح دارية وجمدارية وسقاة وغيرهن، مما يتعلق بالسلطنة، ففارقها السلطان لذلك. ولما انقضت عدّتها، أمر السلطان أن تزوج لأردى أولاد الأمراء سيرة، نكاية لها. فكشف عن سير أولاد الأمراء ممن اشتهر بسوء السيرة، فوقع الاتفاق على جمال الدين يوسف بن سنقر الألفي، فزوجت منه.

وفي هذه السنة، ولي القاضي بدر الدين[2] محمد ابن الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن جماعة الشافعي الكناني[3]، قضاء القدس الشريف، [والخطابة به][4]. وتوجه من دمشق، في رابع شوال[5]، ووصل إلى القدس في يوم الاثنين حادي عشر الشهر. وولي الخطابة بالقدس[6] بعد وفاة الشيخ قطب الدين أبي الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي القدسي[7]. وكانت وفاته رحمه الله تعالى، بالقدس الشريف في يوم الجمعة، سابع عشر شهر رمضان، من هذه السنة.

وولي بعد القاضي بدر الدين، تدريس المدرسة القيمرية، القاضي علاء الدين أحمد ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز. وجلس لإلقاء الدرس بها، في يوم الأحد تاسع عشر شوال.

وفيها، في [شهر][8] رمضان، فوض نظر الحسبة بدمشق للصدر شمس الدين بن السلعوس. ووصل توقيعه بذلك من الأبواب السلطانية، عوضاً عن شرف الدين أحمد بن

---

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص٧٤١.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٤.

(٣) «كان ذلك بعناية الأمير علم الدين سنجر الدواداري لصحبة بينهما، في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٥.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٥.

(٥) «في ثاني شهر رمضان» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٥.

(٦) «أي السيرجي» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٥.

(٧) انظر ترجمته من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦٤.

(٨) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

عز الدين عيسى بن الشيرحي[١]. وكان ابن الشيرحي قد وليها، في جمادى الآخرة من السنة.

وفيها، فوض قضاء المالكية بدمشق، لقاضي القضاة جمال الدين الزواوي.

ذكر توجه ناصر الدين بن المقدسي[٢] [إلى دمشق][٣]، وما فوض إليه من مناصبها، وما اعتمده

في هذه السنة، توجه ناصر الدين بن المقدسي، من الأبواب السلطانية، إلى دمشق. وقد فوض له السلطان الملك المنصور [وكالته][٤]، ونظر الأوقاف بدمشق والشام أجمع. ومن جملة ذلك، نظر الجامع الأموي، والبيمارستانات الثلاثة، ونظر الأشراف والأسرى، والأيتام والصدقات، والأسوار والخوانق والربط وغير ذلك. وحضر صحبته مشدان، من الأبواب السلطانية، وهما بدر الدين القشتمري، وصارم الدين الأيدمري. فتردد الناس إلى خدمته، وخافوا شره. ولزم أرباب السعايات والمرافعات بابه. وشرع يتتبع الناس فيما ابتاعوه من الأملاك، وقصد إثبات سفه من أباع، وأن يسلك في ذلك، الطريق الذي سلكه في أمر ابنة الملك الأشرف[٥]، فامتنع القضاة بدمشق، من موافقته على ذلك، وعضدهم الأمير حسان الدين نائب السلطنة. فمنع ناصر الدين القضاة الجامكية المرتبة لهم على مصالح الجامع الأموي. فلم يردهم ذلك إلا امتناعاً من موافقته على أغراضه. وشرع في عمارة الأملاك السلطانية، واستجد حوانيتاً على جسر باب الفراديس من الجانبين. وأصلح الجسر، قبل عمارة الحوانيت. ثم أصلح باب الجابية الشمالي، وكان مستقلاً فهدمه وعمره. ولم يكن له حسنة، غير إصلاح هذين الجسرين والباب، ومساطب الشهود بباب الجامع.

وفي هذه السنة، في شهر رمضان المعظم، كبس بدر بن النفيس النصراني الكاتب بدمشق، وعند امرأة مسلمة وجماعة، وهم يشربون الخمر. فطولع الأمير حسام الدين نائب السلطنة بدمشق المحروسة بذلك. فأمر أن يحرق النصراني، فبذل في نفسه جملة من المال، وسأل مخدومه الأمير سيف الدين كجكن في أمره، فلم يجب نائب السلطنة

(١) «متحدثاً في وكالة السلطان» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤١.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧١.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧١.

(٥) هي بنت الملك المنصور قلاوون، ورد خبر وفاتها في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٣١، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٥، حاشية (٣).

إلى إيفائه. وأضرمت له نار بسوق الخيل، وألقي فيها. وأما المرأة، فقطع بعض أنفها، وشفع فيها فأطلقت.

وفي هذه السنة، في مستهل رجب، توفيت الست غازية خاتون زوجة الملك السعيد، ودفنت عند والدتها، بالقبة الصالحية، بجوار مشهد السيدة نفيسة، بظاهر القاهرة.

ذكر وفاة الملك [الصالح][١]
وتفويض ولاية العهد إلى الملك الأشرف

في هذه السنة، في يوم الجمعة رابع شعبان، توفي الملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور [بقلعة الجبل][٢]، وكانت علته دوسنطاريا كبدية. وصلى عليه بالقلعة، قاضي القضاة، تقي الدين ابن بنت الأعز، وصلّى خلفه والده السلطان الملك المنصور، وأخوه الملك الأشرف، وصلى عليه خارج القلعة، قاضي القضاة معز الدين الحنفي. ودفن بتربته المجاورة لمشهد السيدة نفيسة. وحصل لوالده السلطان عليه من الآلم، ما لا مزيد عليه. وخلف ولداً واحداً، من زوجته منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، وهو الأمير مظفر الدين موسى، وله أخبار، ترد إن شاء الله تعالى.

ولما مات الملك الصالح، فوض السلطان ولاية العهد بعده، لولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل. وركب بشعار السلطنة، في حادي عشر شعبان من قلعة الجبل، إلى باب النصر. وشق المدينة، وخرج من باب زويلة، وعاد إلى القلعة، والأمراء في خدمته، وكتب بذلك إلى الشام، وسائر البلاد، وخطب له بولاية العهد، بعد أبيه على عادة أخيه الصالح. وكتب تقليده فتوقف السلطان على الكتابة عليه. وسنذكر ذلك، إن شاء الله تعالى، في أخبار الملك الأشرف[٣].

وفي هذه السنة، توفي الأمير بدر الدين الأيدمري الصالحي، في ليلة يسفر صباحها عن يوم الاثنين، خامس المحرم. وتوفي الأمير فخر الدين إياز، المعروف بالمعزي الحاجب، وفي ليلة يسفر صباحها، عن يوم الجمعة، العشرين من شهر ربيع

(١) ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٤٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٣١؛ وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦٩ ـ ٧٠؛ وتذكرة التنبيه ج ١، ص ١١٥، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ٩٨، وعقد الجمان للعيني ج ٢، ص ٣٧٧، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣١٨.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣١٨.

(٣) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٠.

الأول، وذلك عقيب عوده من الحجاز. وكان رحمه الله تعالى، من حسنات الدهر، وكانت الملوك تعتمد عليه في المهمات الجليلة. وتوفي الأمير سيف الدين[١] بلبان العلائي الصالحي النجمي، المعروف بقول الله كريم الدين، رحمه الله تعالى، في يوم الثلاثاء سادس عشرين جمادى الآخرة منها، ودفن بتربته بالقرافة الصغرى. وهو خوشداش السلطان الملك المنصور، وسنقر الأشقر وغيرهما، كانوا كلهم مماليك الأمير علاء الدين اقسنقر الساقي العادلي. وكان السلطان يرعى له حق الخوشداشية ويكرمه. ويزوره إذا مرض في منزله، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي القاضي الخطيب، فخر الدين[٢] عبد العزيز ابن قاضي القضاة عماد الدين عبد الرحمٰن بن السكري. وكانت وفاته بالمدرسة المعروفة بمنازل العز بمصر، في رابع عشرين شوال. ومولده في سنة أربع وستمائة؛ رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة ثمان وثمانين وستمائة
[٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م]

في هذه السنة، في المحرم، توجه السلطان إلى الشام، وافتتح طرابلس، وقد ذكرنا ذلك في الفتوحات.

ولما افتتح السلطان طرابلس[٣]، جهَّز الأمير حسان الدين طُرُنْطَاي، إلى المملكة الحلبية، بطائفة من العسكر. [وكان قد وصل إلى السلطان][٤]، وهو بطرابلس؛ رسل صاحب سيس، يسألون مراحم السلطان، ويطلبون مراضيه. فطلب منهم السلطان تسلم مرعش، وبهسنا والقيام بالقطيعة[٥] على العادة، وخلع عليهم وأعادهم. ورحل عن طرابلس ونزل على حمص، وأقام بها أيَّاماً. فعادت رسل سيس بهدية كثيرة، واعتذارات عن تسلم مرعش وبهنسا، وبذل جملة كثيرة من المال في كل سنة. فرحل السلطان عن حمص ودخل إلى دمشق، في يوم الاثنين خامس جمادى الأولى.

---

(١) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٤.

(٢) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٥.

(٣) انظر ذكر بعض أخبار طرابلس الشام منذ افتتحت في أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى حين افتتحها الملك المنصور، في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٨١.

(٥) القطيعة: وهي ما يقرره السلطان من غرامة حربية أو غيرها وما يفرضه على ولاية أو ناحية من المال سنوياً. انظر Dozy. Supp. Dict, Ar. وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٢٤٦، حاشية (١).

ذكر ما اتفق بدمشق من المصادرات

كان السلطان قد استصحب [معه][١] في هذه السفرة، الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، بعد عزله من الوزارة. فلما عاد إلى دمشق من طرابلس، أمره أن يتحدث في تحصيل الأموال بدمشق، ومكّنه من ذلك، فأوقع الحوطة، على الصاحب تقي الدين توبة. فوجد له أخشاباً كثيرة وسكّراً، فطرح ذلك على أهل دمشق، بأضعاف قيمته. فكان يحفظ لمن يطرح عليه منه الربع فما دونه. فحصل من ذلك تقدير خمسمائة ألف درهم. وكان غرضه بذلك، أن يطلع السلطان، على أن تقي الدين توبة قد حصل الأموال الكثيرة، لعداوة كانت بينهما. ثم شرع في مصادرات الناس، فهرب أكثر الدماشقة إلى القرى والضياع، واختفوا منه. وطلب نجم الدين عباس الجوهري، بسبب ضيعة كان قد اشتراها من ابنه الملك الأشرف، بالبقاع العزيز، فطولب بما أخذه من ريعها، فكان خمسمائة ألف درهم، فحمل جوهراً، قُوّم له، بثمانين ألف درهم. فشدّد عليه الطلب فجاء إلى مدرسته التي أنشأها بدمشق، وحفر في دهليزها، وأخرج خونجاه[٢] ذهب، مرصعة بالجوهر، وعليها قرقة مرصعة، فقوم ذلك بأربعمائة ألف درهم. وسبك الذهب، وكان سبعة آلاف دينار، ونقل الجوهر إلى الخزانة.

وأظهر السلطان للأمراء، أن إقامته بدمشق، لانتظار الأمير حسام الدين طرنطاي. فوصل في سابع عشر شهر رجب. وتلقاه السلطان بالعساكر، وأقام بدمشق، إلى يوم الخميس ثاني شعبان. فتوجه في هذه اليوم إلى الديار المصرية، بعد أن حصل الإجحاف بأهل دمشق، واستصحب تقي الدين توبة مقيَّداً. فلما وصل إلى حمراء بيسان، مرَّ عليه الأمير حسام الدين طرنطاي، والأمير زين الدين كتبغا، وهو الزردخاناه، فسبهما أقبح سب، وكانت هذه عادته، وذكر ما فُعل به، وهما يضحكان من سبه لهما. فتوجها إلى السلطان، وسألاه في أمره، وضمناه فأفرج عنه. وأخذاه عندهما. فتألم الأمير علم الدين الشجاعي لذلك ألماً شديداً. وكان قد كتب إلى نابلس والقدس وبلد الخليل والبلاد الساحلية، يطلب الولاة والمباشرين، وأن يجهزوا إلى غزة. فلما حصل الإفراج عن تقي الدين توبة، غضب الشجاعي وأظهر حرداً، [وامتنع من الحديث في المصادرين][٣]، فكان ذلك من الألطاف بمن طُلِب. ووصل السلطان إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٨١.

(٢) خونجاه: لفظ فارسي معناه مائدة صغيرة. Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٨٢.

وفي هذه السنة، في يوم الثلاثاء ثامن[١] عشري شعبان، وقت الظهر توفي بدمشق الملك المنصور شهاب الدين محمود ابن الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل.

وفيها، كانت وفاة الأمير علاء الدين الكبكي بالقدس الشريف، في شهر رمضان، رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة تسع وثمانين وستمائة
[٦٨٩ هـ ـ ١٢٩٠ م]

في هذه السنة، في أولها توجه الأمير حسام الدين طُرَنْطَاي نائب السلطنة [بالديار المصرية][٢]، ومعه جماعة من الأمراء والعساكر، إلى الوجه القبلي في مصر [المحروسة][٣]. فوصل إلى منزلة طوخ[٤] دمنوا، قبالة مدينة قوص. وتصيّد في هذه السفرة، ومهد البلاد، وقتل جماعة من العربان، وحرق بعضهم بالنار، وأخذ خيوطهم وسلاحهم ورهائن أكابرهم، [وعاد إلى قلعة الجبل سالماً][٥].

وفيها، في شهر ربيع الأول، استدعى السلطان الأمير شمس الدين سُنْقُر الأعسر، [شاد الدواوين][٦]، من دمشق، على خيل البريد. فلما وصل إلى بابه بقلعة الجبل [بمصر المحروسة][٧] أكرمه، وقال له: اعلم أنني ما اشتريتك، وأمّرتك، ووليتك شاد الدواوين بالشام، إلّا ظناً مني، أنك تنصحني وتحصل أموالي، وتنهض في مصالح دولتي، فالتزم بتحصيل الأموال. فخلع عليه، وفوّض له، مضافاً إلى شدّ[٨] الشام، الحصون بسائر الممالك الشامية والساحل، وديوان الجيش. فعاد إلى الشام، وكان وصوله إلى دمشق، في يوم الأربعاء العشرين من شهر ربيع الآخر، وتعاظم في نفسه وكثر تجبره.

---

(١) في الأصل: «من» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٨٥.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٠.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٠.
(٤) طوخ: اسم لبلاد كثيرة بالديار المصرية، والمقصود منها هنا طوخ البلاص، وهي قرية بمديرية قنا بمركز قوص على الشط الغربي للنيل بين البلاص ونقاده. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٥١، حاشية (١).
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٠.
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٠. وشاد الدواوين سبق التعريف به.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٠.
(٨) أي شد الدواوين بالشام.

وفيها، أمر السلطان بالقبض على الأمير سيف الدين جرمك الناصري[١]، وذلك في جمادى الأولى.

وفيها، جهز السلطان الأمير سيف الدين التقوي، إلى طرابلس، واستخدم معه ستمائة فارس بطرابلس. وهو أول جيش استخدم بها. وكان الجيش قبل ذلك بالحصون.

ذكر إيقاع الحوطة على ناصر الدين المقدسي[٢] وشنقه

وفي هذه السنة، في جمادى الآخرة، برز أمر السلطان بالكشف على ناصر الدين بن المقدس، وكيله بالشام. فورد المرسوم إلى دمشق، في ثاني عشرين من الشهر، فكشف عليه، فظهرت له مخازي[٣] كثيرة. وسر الناس بذلك، فرسم عليه، وطولع السلطان بما ظهر عليه. فورد الجواب، في يوم الجمعة، تاسع عشر شهر رجب، أن يستخرج منه، ما التمسه، فطولب بذلك، وضرب بالمقارع، في يوم ورود المرسوم. وشرع في بيع موجوده، وحمل ثمنه، واستمر كذلك، وهو بالمدرسة العذراوية في الترسيم، إلى يوم الخميس ثاني شعبان. فورد المرسوم السلطاني، يطلبه إلى الأبواب السلطانية. فلما اجتمع الناس، بكرة نهار الجمعة، دخلوا عليه، فوجدوه قد شنق[٤]. فحضر أولياء الأمر والقضاة والشهود، وشاهده[٥] على تلك الصورة، وكتموا محضراً بذلك. ودفن، واستراح الناس من شره.

وفي هذه السنة، رسم السلطان لنائب السلطنة[٦] بالشام، والأمير شمس الدين الأعسر، لعمل مجانيق[٧]، وتجهيز زردخاناه، لحصار عكا. فتوجه الأمير شمس الدين [سنقر][٨] الأعسر، إلى وادي مربين، وهو بين جبال عكار وبعلبك، وفيه من الأخشاب وأعواد المجانيق، أشياء كثيرة لا يمكن أن يوجد مثلها في غيره. وأخبرني[٩] جماعة أثق

---

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥١.

(٢) انظر حادثة شنق ناصر الدين في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٣، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٠.

(٣) «أفعال منكرة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٣.

(٤) «وجد في يوم الجمعة ثالث شعبان وقد شنق نفسه» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٣.

(٥) الصواب: «وشاهدوه».

(٦) المراد هنا الأمير حسام الدين لاجين. تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٣.

(٧) كان بالشام خزائن للسلاح تعمل بها المجانيق وينقل من الشام وتعمر به البلاد والقلاع. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٢٩٧.

(٨) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٣.

(٩) وردت هذه الرواية بصيغة الغائب في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٣.

بأخبارهم، في سنة إحدى عشرة وسبعمائة، وأنا يوم ذاك. بالقرب من هذا الوادي، أن به عوداً قائماً طوله أحد وعشرون ذراعاً، بذراع العمل، ودوره كذلك، وأنهم حققوا ذلك، بأن صعد رجل إلى أعلاه، ودلّى حبلاً إلى الأرض، من أعلاه، وأداروا الحبل عليه، فجاء سواء، لا يزيد ولا ينقص. فتوجه الأمير شمس الدين إلى هذا الوادي، وقرر على ضياع المرج والغوطة بدمشق مال، من ألفي درهم إلى خمسمائة درهم، كلٍّ ضيعة بحسب متحصلها، لأجرة جر أعواد المجانيق، وكذلك ضياع بعلبك والبقاع، وجنى المال، ونال أهل بعلبك والبقاع شدة عظيمة بسبب ذلك. وبينا الأمير شمس الدين بالوادي المذكور، وهو مهتم في قطع الأعواد وجرها، سقط عليه ثلج عظيم، فركب خيله، وخرج منه، وأعجله كثرة الثلج وترادفه، عن نقل أثقاله وخيامه، فتركها ونجا بنفسه، ولم يلو على شيء. ولو تأخر بسببها، واشتغل بحملها هلك هو ومن معه، وارتدمت أثقاله بالثلوج، وبقيت تحتها إلى فصل الصيف، وتلف أكثرها[١].

وفي هذه السنة أيضاً، فوض السلطان تقدمة العسكر بغزة والأعمال الساحلية، إلى الأمير عز الدين أيبك الموصلي، عوضاً عن الأمير شمس الدين أقسنقر كرتيه، فتوجه إليها من دمشق، في رابع شهر رجب.

وفيها، في شعبان، اشتد الحر بحماه، حتى شوي اللحم على بلاط الجامع، على ما حكاه الشيخ شمس الدين الجزري في تاريخه. ووقعت نار في دار صاحب حماه فاحترقت، وأرسل الله ريحاً واشتدت، فقويت النار واستمرت يومين وبعض الثالث، وما قدر أحد أن يتقدم إليها، فاحترقت الدار بما فيها، وكان صاحب حماه في الصيد.

وفيها، في شعبان، خرج مرسوم السلطان إلى الشام، أن لا يُستخدم أحد من أهل الذمة، اليهود والنصارى، في المباشرات الديوانية[٢]، فصرفُوا منها. وورد مثال[٣] بالإفراج عن المعتقلين.

وفيها، ثار جماعة من الفرنج بعكا، فقتلوا جماعة من تجار المسلمين بها، كانوا

---

(١) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٤.

(٢) المباشرات الديوانية: ممارسة الأعمال الحكومية Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) المثال: الجمع مثالات: وهو أول كان يكتب من الأدوات الرسمية إيذاناً بإعطاء أحد المماليك إقطاعاً من الإقطاعات الخالية. وكان المثال يخرج من ديوان الجيش ويقدمه ناصر هذا الديوان إلى السلطان أثناء جلوسه بدار العدل، فإذا شمله السلطان بالموافقة أرسله ناظر ديوان النظر لتسجيله وحفظه، ويكتب بذلك مربعة فيها اسم المعين على الإقطاع ورتبته وغير ذلك من التفصيلات اللازمة. ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء، فيكتب كاتب السر بمقتضاها منشور الإقطاع، ويتخذ هذا المنشور الآخر أدوار تلك العملية. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٢٩٧.

قدموا للمتجر، تمسكاً بالهدنة، وذلك في شعبان. فادعى أهل عكا، أن ذلك إنما فعله الفِرنج الغُرْب، وأنه ليس برضاهم. فكان ذلك من أكبر الأسباب التي أوجبت أخذ عكا، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة قاضي القضاة نجم الدين المقدسي الحنبلي وتفويض القضاء بدمشق بعده للشيخ شرف الدين المقدسي

وفي هذه السنة، في يوم الثلاثاء، ثاني عشر جمادى الأولى، توفي قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي محمد عبد الرحمٰن المقدسي، قاضي الحنابلة بدمشق. فعين الأمير حُسام الدين لاجين نائب السلطنة ثلاثة، وكتب في حقهم إلى السلطان، وهم الشيخ زين الدين بن المنجا، والشيخ تقي الدين سليمان، والشيخ شرف الدين الحسن. فورد المثال السلطاني، في غرة جمادى الآخرة، لنائب السلطنة، أن يفوض القضاء بدمشق للقاضي شرف الدين الحسن ابن الخطيب شرف الدين أبي العباس أحمد بن أبي عمر بن قدامة المقدسي. ففوض إليه نائب السلطنة القضاء، حسب الأمر السلطاني. وكُتب تقليده عن نائب السلطنة، وخلع عليه في يوم الاثنين تاسع الشهر. وجلس بجامع دمشق، وحكم بين الناس، على عادة القضاة قبله.

وفيها، توفي الشيخ الإمام العالم، رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي الشافعي. وكانت وفاته بالمدرسة الظاهرية بدمشق، في يوم الأربعاء، رابع شهر المحرم، ودفن بمقابر الصوفية. ويقال: إنه وجد مخنوقاً، وكان من العلم والفضيلة بالمكان المشهور، وشهرته بذلك تغني عن وصف محاسنه، رحمه الله تعالى.

وفيها، في ليلة الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر، توفي الطواشي شرف الدين مختص[١] الظاهري، مقدم المماليك السلطانية، في الدولة الظاهرية والسعيدية والمنصورية، ودفن من الغد بالقرافة، وكان مهيباً سَلطاً على المماليك السلطانية، مبسوط اليد فيهم، ذا حرمة وافرة، رحمه الله تعالى.

ذكر وفاة السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون، رحمه الله

كانت وفاته، رحمه الله تعالى، بمنزلة مسجد تبر[٢] بظاهر القاهرة [المحروسة][٣]،

---

(١) «شرف الدين بن عبد الله الظاهري» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٥.

(٢) «مسجد التين» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٧٦. وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٧.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٧.

وهي المنزلة الأولى، وذلك في العشر الأخير من شوال[١]، فدامت به علته إلى أن مات[٢]، رحمه الله تعالى، وحمل إلى قلعة الجبل ليلاً، واستمر بها إلى آخر يوم الخميس غرة المحرم سنة تسعين وستمائة. [ففي هذا اليوم قال][٣]: أرسل السلطان الملك الأشرف، إلى التربة المنصورية بالقاهرة جملة يتصدق بها. فلما كان في ليلة الجمعة المسفرة عن ثاني المحرم، نقل رحمه الله تعالى، من القلعة إلى تربته التي أنشأها بالقاهرة وأدخل من باب البرقية، وصُلّي عليه بالجامع الأزهر، ثم حمل منه إلى التربة. ونزل قبره الأمير بدر الدين بيدرا، والأمير علم الدين سنجر الشجاعي. وفرق في صبيحة ذلك اليوم، جملة من الذهب على القراء. وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين[٤] وأربعة عشر يوماً.

وخلَّف من الورثة؛ أولاده الخمسة، وهم السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل، وهو الذي ملك بعده، والسلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد، وهو سلطان هذا العصر، والأمير أحمد ـ مات في سلطنة أخيه الملك الأشرف ـ وابنتان، وهما دار مختار الجوهري، واسمها التطمش، ودار عنبر الكمالي، وزوجته والدة السلطان الملك الناصر.

ذكر تسمية نواب السلطان الملك المنصور ووزرائه

ناب عن السلطان الملك المنصور، رحمه الله تعالى، بأبوابه الشريفة في أول سلطنته، الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي، ثم استعفى كما تقدم. واستقر في نيابة السلطنة، والأمير حسام الدين طُرَنْطَاي المنصوري، واستمر إلى أن كانت وفاة السلطان. وناب عن السلطان بدمشق، بعد استعادتها من الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، الأمير حُسام الدين لاجين السلحدار المنصوري، المعروف بالصغير. وناب عن السلطنة بالمملكة الحلبية في ابتداء الدولة، الأمير جمال الدين أقش الشمسي، إلى أن مات، ثم الأمير علم الدين سنجر الباشقردي إلى أن عزل، وولي الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكان[٥] دار المنصوري إلى آخر الدولة. وناب عن السلطنة بحصن الأكراد، الأمير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري، وبالكرك الأمير عز الدين أيبك الموصل، ثم

(١) «في العشر الأخير من شوال نزل بمخيمه بمسجد التين بظاهر القاهرة المحروسة وفي المنزلة الأولى» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٧.

(٢) «وتوفي يوم السبت سادس ذي القعدة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٧٦، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٣٥، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٧.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٧.

(٤) «وثلاثة أشهر» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٢٧٦.

(٥) يرسم أيضاً الجوكندار.

الأمير ركن الدين بيبرس الداواداري[١] المنصوري. وناب عن السلطنة بالمملكة الصفدية في ابتداء الدولة، الأمير علاء الدين الكبكي وغيره، وتقدم ذكرهم. وناب عن السلطنة بغزة وحمص، جماعة قد تقدم ذكرهم.

وأما الوزراء، فوزر للسلطان، رحمه الله تعالى، [ستة نفر][٢]، أربعة من أرباب الأقلام، وهم الصاحب برهان الدين الخضر[٣] السنجاري مرة بعد أخرى، والصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان، والصاحب نجم الدين حمزة بن محمد الأصفوني، وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمٰن ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وقد تقدم ذكر ولايتهم في أثناء أخبار الدولة. ومن الأمراء [اثنان][٤] الأمير علم الدين سنجري الشجاعي، كان يتولى شد الدولة المنصورية وتدبيرها. فإذا شغرت الوزارة من متعمم، جلس مكان الوزير، وكتب على عادة الوزراء، وولّى وعزل، واستخدم وصرف. ثم استقل بالوزارة، بعد وفاة الصاحب نجم الدين حمزة بن الأصفوني. وكان في وزارته شديداً على المباشرين. قد أوقع الرعب في قلوبهم، حتى كرهه الخاص والعام، وتمنوا زوال الدولة بسببه، واستمر في الوزارة إلى أن عزل كما تقدم. وولي الأمير بدر الدين بيدرا المنصوري إلى آخر الدولة. وولي القضاء في الأيام المنصورية، بالديار المصرية والشامية، جماعة قد تقدم ذكرهم.

وملك السلطان الملك المنصور، من المماليك الأتراك والمغل وغيرهم، ما لم يملكه ملك بالديار المصرية في الإسلام قبله. فيقال إن عدتهم بلغت اثني عشر ألفاً، وتأمَّر منهم في الأيام المنصورية جماعة كثيرة. ومنهم من ناب عن السلطنة الشريفة في الممالك الشامية السكة باسمه، على ما نذكر ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى. وبقايا المماليك المنصورية إلى الآن، هم أعيان الأمراء[٥] في وقتنا هذا.

ولما مات الملك المنصور، ملك بعده ولده الملك الأشرف.

---

(١) «الدوادار» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٦، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٥، والدوادار: هو الذي يقرأ للسلطان كتب الأسرار الواردة عليه من الملوك وهو الذي يجيب عنها ويسفر بينه وبين وزرائه وكتابه. ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ج ١، ص ٢٣٧.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٦.

(٣) في الأصل: «خضر» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٦.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٥) «هم أعيان الأمراء في دولة الناصر محمد بن قلاوون». تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٨، وذكر المقريزي: أن المنصور قلاوون قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآص والجركس، جعلهم في أبراج القلعة، وسماهم البرجية، وكان جميل الصورة، مهيباً، عريض المنكبين، قصير العنق: انظر السلوك ج ١، ص ٧٥٦.

ذكر أخبار السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل[(١)] ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي

وهو الثامن من ملوك دولة الترك بالديار المصرية ملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وما أضيف إلى ذلك من الممالك الإسلامية والأقطار الحجازية، بعد وفاة والده السلطان الملك المنصور رحمه الله تعالى.

وكان جلوسه على تخت السلطنة بقلعة الجبل المحروسة، في يوم الأحد المبارك السابع من ذي القعدة، سنة تسع وثمانين وستمائة، ولم يختلف عليه اثنان، لأن الأمراء، أرباب الحل والعقد، ونواب السلطنة بسائر الممالك، مصراً وشاماً، مماليك والده، ومن عداهم من الأمراء الصالحية، لم يظهر منهم إلا الموافقة والطاعة والانقياد، والمبادرة إلى الحلف. وقد تقدم أن السلطان الملك المنصور كان قد جعل له ولاية العهد من بعده، بعد وفاة أخيه الملك الصالح علاء الدين علي، وركّبه بشعار السلطنة، وتأخرت كتابة تقليده، وطلب ذلك مرة أخرى، والسلطان يتوقف في الإذن بكتابة التقليد، ثم تحدث مع السلطان الملك المنصور فرسم بكتابته فكتب ـ وقد شرحنا مضمونه في الجزء الثاني من كتابنا هذا[(٢)] ـ فلما قدم إلى السلطان، ليكتب عليه، توقف وأعاده إلى القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر، صاحب ديوان الإنشاء، ولم يكتب عليه. فأرسل الملك الأشرف إلى القاضي فتح الدين، يطلب التقليد، فاعتذر أنه لم يقدمه للعلامة. وقدّمه ثانياً إلى السلطان، فردّه. وقال: يا فتح الدين: أنا من أولي خليلاً على المسلمين. ثم أرسل الملك الأشرف يطلبه، فخشي [فتح الدين][(٣)] أن يقول إن السلطان امتنع من الكتابة عليه، واعتذر أيضاً. وخاطب السلطان في معناه، وقدمه إليه، فرماه به[(٤)]. وقال:

---

(١) ترجمته وأخباره في: السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٦، وبدائع الزهور لابن إياس ج ١، ص ٣٦٥، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٠٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٤٢٢؛ وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٨، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٤٠، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣؛ والحوادث الجامعة لابن الفوطي، ص ١٢١، ودول الإسلام للذهبي ص ٣٨٤، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤٠٦.

(٢) انظر الجزء الثامن، صفحة ١١١، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٨.

(٤) «ورمى إليه التقليد وتم أمره» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣.

قد قلت لك أنني ما أولي خليلاً على المسلمين. فأخذ التقليد بغير علامة، وخرج. واتفق في خلال ذلك، خروج السلطان ووفاته.

فلما تسلطن الملك الأشرف، طلب فتح الدين بن عبد الظاهر، وقال له: أين تقليدي، فأقام وأحضره إليه، وهو بغير علامة السلطان، واعتذر أن السلطان الملك المنصور، شغلته الحركة والفكرة في أمر العدو عن الكتابة عليه. فقال له السلطان الملك الأشرف: يا فتح الدين، إن السلطان امتنع أن يعطيني، فأعطاني الله. ورمى له التقليد، فكان عنده بغير علامة. ثم عند ابنه المرحوم علاء الدين، إلى أن مات رحمه الله تعالى.

قال بعض الشعراء يمدحه: [من السريع]

فداك[١] يا عادل يا منصف ... أرجى من الغيثِ الذي يوصف

أغنى عباد الله عن نيلهم ... فجودك البحر الذي يعرف

أطاعَكَ الناسُ اختياراً وما ... أذلّهم رمح ولا مرهف

كم ملكت مصر ملوكٌ وكم ... جادوا وما جادوا ولا أسرفوا[٢]

حتى أتى المنصورُ أنسى الورى ... بفعلِهِ سائر ما أسلفوا

ما قدموا مثل تقاه ولا ... مثل الذي خلفه خلفوا

فته على الأملاك فخراً بما ... نلت فأنت الملك الأشرف

قال: وخلع الملك الأشرف على سائر الأمراء وأرباب المناصب. ثم ركب بشعار السلطنة، في يوم الجمعة بعد الصلاة، الثاني عشر من الشهر. وسيَّر بالميدان الأسود؛ والأمراء والعساكر في خدمته. وطلع إلى قلعة الجبل، قبل أذان العصر. ويقال إن الأمير حسام الدين طرنطاي، كان قد قصد اغتيال الملك الأشرف، في يوم ركوبه، وأنه عزم على قتله عند ابتداء التسيير، إذا قرب من باب الإسطبل، وأن السلطان شعر بذلك. فلمّا سيّر السلطان أربعة ميادين[٣]، والأمير حسام الدين ومن وافقه عند باب سارية. فلما انتهى السلطان إلى رأس الميدان، وقرب من باب الإسطبل، وفي ظن الناس أنه يعطف

---

(١) في الأصل: «بذاك» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٩.

(٢) في الأصل: كم ملكت مصر ملوكاً ملوك، وكم جادوا وما جادوا ولا أسرفوا. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٩.

(٣) الميادين: جمع ميدان ومعناه هنا تسيير الخيل وترقيصها في الميدان، وقد ذكر Dozy. Supp. Dict, Ar أن جمعه الاصطلاحي موادين، المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٥٧، حاشية (١).

إلى جهة باب سارية. ليكمل التسيير على العادة، عطف إلى جهة القلعة، وأسرع وعبر من باب الإسطبل[١]. ولما عطف، ساق الأمير حسام الدين ومن معه. ملء الفروج، ليدركه. فما وصل إلى باب الإسطبل. إلا والسلطان قد دخل منه، وحف به مماليكه وخواصه، فبطل على طرنطاي ما دبره. وبادر السلطان بالقبض عليه.

ذكر القبض على الأمير حسام الدين طُرُنْطَاي وقتله وعلى الأمير زين الدين كتبغا واعتقاله

لما استقل السلطان الملك الأشرف في السلطنة، وقف الأمير حسام الدين طُرُنْطَاي؛ بين يديه في نيابة السلطنة، على عادته مع السلطان الملك المنصور أبيه. وكان الملك الأشرف يكره الأمير حسام الدين طرنطاي أشد الكراهية لأمور: منها ما كان يعامله به من الاطراح لجانبه، والغض منه، وإهانة نوابه[٢]، وأذى من ينسب إليه. ومنها ترجيح جانب أخيه، الملك الصلح علاء الدين علي رحمه الله تعالى[٣] على جانبه، والميل إليه. ولما مات الملك الصالح، وانتقلت ولاية العهد بعده، إلى الملك الأشرف مال إليه من كان يميل عنه، وتقرب إلى خاطره من كان يجفوه[٤]. ولم يزد ذلك الأمير حسام الدين إلا تمادياً في الإعراض عنه، وجرياً على عادته، في أذى من ينتسب إليه. وأغرى السلطان الملك المنصور، بناظر الديوان الأشرفي، شمس الدين محمد بن السلعوس، حتى ضربه وصرفه على ما نذكر ذلك، وعامله بمثل هذه المعاملة، والملك الأشرف لا يستطيع دفع ذلك، لتمكن الأمير حسام الدين، من السلطان الملك المنصور، ويكتم ما عنده منه، ويصبر من ذلك، على ما لا يصبر مثله على مثله[٥].

فلما ملك السلطان الملك الأشرف، تحقق الأمير حسام الدين أنه يحقد عليه أفعاله، وأن خاطره لا يصفو له. فشرع في إفساد نظامه سِرًّا، وإخراج الأمر عنه، وتحقق السلطان ذلك، ووشى به بعض من باطنه. فلما نزل السلطان من الركوب في يوم الجمعة، الثاني عشر من ذي القعدة، استدعاه فدخل عليه، وهو يظن أن أحداً لا يجسر أن يقدم عليه، لمهابته في القلوب، ومكانته من الدولة، وظن أن السلطان لا يبادره بالقبض عليه. ولما استدعاه [السلطان][٦]، نهاه الأمير زين الدين كتبغا المنصوري، عن

---

(١) ورد برسم الاصطبل أيضاً.

(٢) ورد في السلوك للمقريزي، ج،١ ص ٧٥٧، «بل جرى على عادته في أهنة من ينسب إليه.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٩.

(٤) «يحقره» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٩٩.

(٥) انظر تفاصيل ذلك في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٥٨.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

الدخول على السلطان وحذَّره، وقال له: والله أخاف عليك منه، فلا تدخل عليه، إلا في عصبة وجماعة، تعلم أنهم يمانعون عنك أن لو وقع أمر. وقال له: ـ فيما حكي لي ـ والله لو كنت نائماً، ما جسر[١] خليل ينبهني. وقام ودخل على السلطان، فحمل زين الدين كَتْبُغَا الإشفاق عليه، أن دخل معه. فلما صار طُرَنْطَاي بين يدي السلطان، وكان قد قرر مع الأمراء الخاصكية[٢] القبض عليه، فبادروا إلى ذلك، وقبضوا على يديه، وأخذوا سيفه. فصرخ كتبغا، وجعل يقول: «إيش عمل، إيش عمل»، يكرر ذلك. فأمر السلطان بالقبض على كتبغا، فقبض عليه، ثم أفرج عنه بعد ذلك.

وأما طرنطاي، فإنه لما قبض عليه، أمر بقتله، فقتل، وقيل: إنه عوقب بين يدي السلطان حتى مات. وقيل كانت وفاته في ثامن عشر ذي القعدة، وبقي ثمانية أيام بعد وفاته. ثم أخرج من القلعة، ليلة الجمعة سادس عشرين الشهر، وقد لفّ في حصير، وحمل على جنوية[٣]، إلى زاوية الشيخ أبي السعود. فغسله الشيخ عمر السعودي، وكفنه ودفنه، خارج الزاوية. وتوفي كذلك، إلى أن ملك الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري، فأمر بنقله إلى تربته التي أنشأها بالقاهرة، بمدرسته التي بجوار داره بخط المسطاح[٤].

ولما قبض السلطان عليه، ندب الأمير علم الدين سنجر الشجاعي لإيقاع الحوطة على موجوده، واستصفاء أمواله، لما كان بينهما من العداوة. فنزل الشجاعي إلى دار طرنطاي التي بالقاهرة، وحمل ما في خزانته وذخائره. وطلب ودائعه، ونبش مواضع من داره، وشعثها، وحمل من أمواله إلى الخزائن وبيت المال جملة عظيمة، يقال إن جملة ما حمل من ماله، ستمائة ألف دينار عيناً، ومن الدراهم سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل بالمصري، ومن العدد الأقمشة والخيول والمماليك ما لا يحصر قيمته كثرة. ويقال: إنه كان قد جمع ذلك وادّخره لطلب السلطنة لنفسه. فلم ينل ما تمناه[٥].

ووقف الأمير علم الدين الشجاعي، بعد القبض على طرنطاي، أياماً قلائل، من

---

(١) في الأصل: «جلس» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٠.

(٢) الخاصِكية: هم الذين يدخلون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه، ويركبون لركوبه ليلاً ونهاراً، ويتميزون بسيوفهم وملابسهم الطرز المزركش. ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١١٥.

(٣) جنوية: النقالة التي تحمل الجرحى والموتى Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٤) ذكر ابن الفرات أن داره تقع بجوار مدرسته الحسامية تجاه سوق الجواري داخل القاهرة المحروسة. انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠١.

(٥) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠١.

غير أن يخلع عليه خلع النواب، ولا كتب تقليده، ولم يشتهر ذلك. ثم فوضت النيابة، للأمير بدر الدين بيدرا.

ذكر تفويض نيابة السلطنة الشريفة للأمير بدر الدين بيدرا المنصوري

لما قبض على الأمير حسام الدين طُرُنْطَاي كما تقدم، قام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، بوظيفة النيابة أياماً قلائل، كما ذكرناه. ثم فوض السلطان الملك [الأشرف][1] النيابة عن السلطنة، للأمير بدر الدين بيدرا المنصوري. وخلع عليه، على عادة نواب السلطنة، وأجرى عليه، ما كان جارياً على الأمير حسام الدين طرنطاي، من الإقطاعات وغيرها.

وفي هذه السنة، رسم السلطان بطلب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر [المنصوري][2]، شاد الدواوين بالشام، فوصل البريد إلى دمشق يطلبه، في رابع ذي الحجة منها، فتوجه إلى الأبواب السلطانية، في ثامن الشهر [المذكور][3]. ولما وصل إلى بين يدي السلطان، ضربه مرة بعد أخرى، وبقي في الترسيم، إلى أن حضر الصاحب شمس الدين بن السلعوس من الحجاز [الشريف][4] فسلّمه إليه. وولّي شاد الدواوين بدمشق[5]، الأمير سيف الدين طوغان المنصوري. وأعاد السلطان الصاحب تقي الدين توبة التكريتي إلى وزارة الشام. فوصل إلى دمشق، في خامس المحرم، سنة تسعون وستمائة. وأوقع الحوطة على موجود الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، حسب المرسوم السلطاني.

وفيها[6]، رسم السلطان الملك الأشرف، بإحضار الأمير بدر الدين بكتوت العلائي، من حمص إلى الباب السلطاني، في ذي الحجة، فحضر.

وفيها، في ذي الحجة، رسم السلطان بتجديد تقليد الأمير حسام الدين لاجين المنصوري، نائب السلطنة بالشام فكُتب. وزاده السلطان على إقطاعه المستقر، إلى آخر

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٢.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٢.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٢.
(٥) وتفاصيل ذلك أن شمس الدين بن السلعوس كان قد حج في هذه السنة، فلما حضر في سنة تسعين سلم السلطان إليه شمس الدين سنقر الأعسر ولما عزل الملك الأشرف الأمير شمس الدين سنقر من شد الدواوين بدمشق المحروسة ولي عوضاً عنه في شد الدواوين الأمير سيف الدين طوغان المنصوري. ابن افرات ج ٨، ص ١٠٢.
(٦) «في ذي الحجة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٢.

الأيام المنصورية، حرستا[١]، وجهز ذلك على يد مملوكه شمس الدين أقسنقر الحسامي. وأعطى أقسنقر إمرة عشرة طواشية[٢]. فوصل إلى دمشق في ثامن عشر ذي الحجة من السنة.

وفيها، في الخامس والعشرين من ذي الحجة، كان وفاة الأمير الحاج علاء الدين طيبرس بن عبد الله [الصالحي][٣] الوزيري[٤]. وكان ديناً كثير الصدقة والمعروف، قليل الأذى، وخلَّف أموالاً عريضة، فأوصى بثلاثمائة ألف درهم من ماله، تنفق في العساكر وأوقف مدرسة بمصر، على طائفة الشافعية والمالكية. وأوقف خاناً بظاهر دمشق، على الصدقات، ريعه في كل شهر تقدير خمسمائة درهم، وله آثار حسنة، رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة تسعين وستمائة[٥]
[٦٩٠ هـ = ١٣٩١ م]

في هذه السنة، في سادس المحرم، أفرج السلطان عن الملك فخر الدين عثمان بن الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل، سديد الدين أبي بكر، ابن الملك الكامل ابن المالك العادل صاحب الكرك والده. وكان قد اعتقل[٦] في الدولة الظاهرية، في رابع عشر، شهر ربيع الأول، سنة تسع وستين وستمائة، كما قدمنا ذكر ذلك[٧]. وكانت مدة اعتقاله عشرين سنة، وتسعة أشهر، واثنين وعشرين يوماً. ولما أفرج السلطان[٨] عنه، رتَّب له راتباً جيداً. ولزم داره، واشتغل بالمطالعة والنسخ، وانقطع عن السعي، إلا للجمعة أو الحمام، أو ضرورة لا بد منها.

---

(١) في الأصل: حرسا. وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢، ص ٢٧٨ حرستا: وهي قرية كبيرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ.

(٢) الطواشية: تقدم التعريف به.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٢٤.

(٤) انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٣٨، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٧، ص ٣٢٤.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٦) كان قد اعتقله الملك الظاهر بيبرس. المقريزي: السلوك ج١، ص ٧٦٠.

(٧) راجع صفحة ١٧٣ من نهاية الأرب، ج ٣، تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة مركز تحقيق التراث، ١٩٩٠.

(٨) أي الملك الأشرف.

ذكر تفويض الوزارة للصاحب شمس الدين ابن السلعوس[1] وشيء من أخباره

كان الصاحب شمس الدين محمد بن فخر الدين عثمان بن أبي الرجاء بن السلعوس قد توجه إلى الحجاز الشريف، قبيل وفاة السلطان الملك المنصور. فاتفقت وفاة السلطان وسلطنة الملك الأشرف في غيبته. فكتب السلطان إليه كتاباً يعلمه أنه قد ملك، ويستحثه على سرعة الوصول إليه. فوصل إليه كتاب السلطان، وهو في أثناء الطريق، قد عاد من الحجاز الشريف. فاجتمع من كان بالركب، من الأعيان والكتاب، وانضموا إليه، وركبوا في خدمته، وسايروه وعاملوه من الآداب بما يعامل به الوزراء وعظموه، فكان كذلك، إلى أن وصل إلى باب السلطان. وكان وصوله، في يوم الثلاثاء، العشرين من المحرم سنة تسعين وستمائة. فاجتمع بالسلطان، ففوض إليه السلطان الوزارة، في يوم الخميس، الثاني والعشرين من الشهر، وخلع عليه. وكان الأمير علم الدين سنجر الشجاعي يتحدث في الوزارة في هذه المدة، قبل وصوله، من غير تقليد ولا تشريف.

وكان شمس الدين [ابن السلعوس][2] هذا، تاجراً من أهل دمشق، ولم يكن من التجار المياسير. ولكنه كان يأخذ نفسه بالحشمة والرئاسة. حتى كان التجار فيما بينهم ينعتونه بالصاحب استهزاء به. ثم تعلق بالخدم، وانتمى إلى تقي الدين توبة التكريتي، وزير دمشق، في الدولة المنصورية، فاستخدمه في بعض الجهات. وتنقل إلى أن ولي نظر الحسبة بدمشق، في شهر رمضان، سنة سبع وثمانين وستمائة كما تقدم[3]. ثم ولي نظر ديوان الملك الأشرف بالشام.

فأظهر الاجتهاد، واستأجر للملك الأشرف ضياعاً بالشام، وعمل له متجراً، وحصل من ذلك أموالاً، فتقدم عند الملك الأشرف، ومال إليه.

وحضر إلى باب الملك[4] الأشرف، في صفر، سنة ثمان وثمانين وستمائة.

---

(١) ترجمته في الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٠٩؛ وكنز الدرر لابن أيبك الدواداري، ج ٨، ص ٣٠٦، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٤ ـ ١٧٨، وبدائع الزهور لابن إياس ج ١، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧، والوافي بالوفيات للصفدي ج ٤، ص ٨٦ ـ ٨٨، ترجمة ١٥٥٥؛ وتذكرة التنبيه لابن حبيب، ج١، ص ١٧٣؛ السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٦٠، ـ ٧٩٦، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٤، وعقد الجمان للعيني، ج ٢، ص ٣٨٩.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٦.

(٣) «كما قدمنا» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٦، وذلك دليل التطابق بين روايته ورواية النويري.

(٤) في الأصل: السلطان الملك، حذفت لفظة السلطان لأن الأشرف لم يكن سلطاناً، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٧.

واستناب عنه في نظر الحسبة [بدمشق][١]، والديوان الأشرفي، القاضي تاج الدين أحمد ابن القاضي عماد الدين محمد بن الشيرازي. ولما حضر إلى باب الملك الأشرف، نقله إلى نظر ديوانه نيابة، عوضاً عن تاج الدين بن الأعمى. وخلع عليه خلع الوزارة. واستمر في نظر ديوان الملك الأشرف ووكالته، إلى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وستمائة. فاتفق أن الملك الأشرف، خلع عليه خلعة سنية، تشبه خلع الوزراء. فرآه السلطان الملك المنصور، وعليه تلك الخلعة، فأنكر هيئته، وسأل الأمير حسام الدين طرنطاي عنه. فقال: هذا وزير الملك الأشرف، وذكر مساوئه[٢] للسلطان. فغضب السلطان الملك المنصور لذلك، وأنكره وأمره بإحضاره، فأحضر بين يديه، فأنكر عليه كونه خدم ولده، بغير أمره، ولا أمر نائبه، ولا وزيره، وأمر السلطان بنزع الخلعة، التي ألبسها، فنزعت، وسلمه إلى شاد الدواوين [يومئذٍ][٣]، وهو الأمير زين الدين أحمد الصوابي، وأمر بمصادرته، والإخراق به، وضربه. وأرسل إليه الأمير حسام الدين طرنطاي، أن يوقع به الأهنة والإخراق، [ويبادر بضربه][٤]. وأرسل إليه الملك الأشرف إلى مشد الدواوين[٥]، يستوقفه عند ذلك[٦]، ويتوعده إن ناله منه سوء، فخاف للشد المذكور غائلة الملك الأشرف، وتوقف عن الإخراق به. ورسم عليه في قاعة، كان المشد يجلس فيها، وفي وقت استراحته. ثم تلطف الملك الأشرف في أمره، مع الأمير حسان الدين طُرَنْطَاي، وراسله بسببه. وتكررت رسائله إليه، وإلى غيره في معناه، حتى حصلت الشفاعة فيه عند السلطان، فأطلقه. وأمر السلطان بصرفه، فصرف، ولزم داره. وكانت هذه الواقعة من أضرر شيء على الأمير حسام الدين طرنطاي، ومن أكبر أسباب القبض عليه وقتله.

واستمر الصاحب شمس الدين بداره إلى زمن الحج، فتوجه إلى الحجاز الشريف. واتفقت وفاة السلطان الملك المنصور، وسلطنة الملك الأشرف، كما تقدم، فكتب إليه يعلمه بذلك. ويقال إن السلطان كتب بخطه إليه، بين سطور الكتاب، يا شقير، يا وجه الخير، عجل بالسير، فقد ملكنا. ويقال إنه لما حملت إلى السلطان الملك الأشرف، أموال طُرنطاي، ووضعت بين يديه، جعل يقلبها ويقول:

من عاش بعد عدوه ... يوماً فقد بلغ المنى

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٧.
(٢) في الأصل: «مساويه»، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٧.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٧.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٧.
(٥) مشد الدواوين: تقدم التعريف به.
(٦) «عن» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٧.

ثم يقول: أين أنت يا ابن السلعوس.

فلما وصل [ابن السلعوس][(١)] إلى السلطان، فوض [إليه][(٢)] الوزارة[(٣)]، ومكَّنه من الدولة تمكيناً عظيماً، ما تمكن وزير قبله مثله في دولة الترك. وجرَّد في خدمته جماعة من المماليك السلطانية، يركبون في خدمته، ويترجلون في ركابه، ويقفون بين يديه، ويمتثلون أوامره. فعظم بذلك شأنه، وتعاظم في نفسه واستخف بالناس. وتعدى أطوار الوزراء، حتى كان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه، فلا يستكمل لهم القيام. ومنهم من لا يلتفت إليه. وكان في بعض الأوقات يستدعي أمير جاندار وأستاذ الدار[(٤)]، على كبر مناصبهما. فكان إذا استدعى أحداً منهما، يقول: اطلبوا فلاناً أمير جاندار، وفلاناً استاذ للدار، يسمى كل واحد منهما باسمه، دون نعته. ثم ترفَّع عن هذه الرتبة إلى الاستخفاف بنائب السلطنة الأمير بيدرا[(٥)]، وعدم الالتفات إلى جهته ومشاركته في بعض وظيفته، والاستبداد عنه، ومعارضته فيما يقصد فعله، وتعطيل ما يؤثره. [هذا، والأمير بدر الدين بيدرا يصبر على جفاه، ولا يمكنه مفاجأته لما يشاهده من ميل السلطان إليه][(٦)]. حتى أخبرني شهاب الدين بن عبادة: قال: رأيت الصاحب شمس الدين في بعض أيام المواكب، قد قام من مجلس الوزارة، يقصد الدخول إلى الخزانة، فصادف ذلك خروج الأمراء من الخدمة، هم ونائب السلطنة، فكان الأمراء الأكابر يبادرون إلى خدمته[(٧)] ومنهم من يقبل يديه، وكلهم يخلي له الطريق، ويومىء بالرجوع بين يديه، فيشير إليه بالانصراف. فلما وطىء عتبة باب القلة برجله، توافى هناك، هو والأمير بدر الدين، نائب السلطنة. فسلَّم كل منهما على الآخر، وأومأ له بالخدمة، إلا أن النائب خدم الوزير، أكثر من خدمة الوزير له. قال: لقد رأيته، وقد رجع مع الصاحب، ولم

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٧.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٣) «الخميس ثاني عشرة استقر ابن السلعوس في الوزارة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦١.

(٤) استاذ الدار: تقدم التعريف به.

(٥) تقدم التعريف به.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٩، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٢.

(٧) المقصود بهذه العبارة أن الأمراء تقدموا نحو الوزير ابن السلعوس وأدوا له التحية المناسبة لمقامه، وهذا الاستعمال الاصطلاحي لفعل خدم ومشتقاته كثير الورود في كتب المؤرخين بمعنى التحية وكان للخدمة في حضرة السلطان صيغ كثيرة منها الإيماء باليد اليمنى إلى الأرض، وخفض الرأس نحو الركوع، وتقبيل الأرض سجوداً، ومس الأرض بالأصابع خمس مرات، ويأتي فعل خدم أيضاً بمعنى أهدى وقدم فيقال خدم فلان الخليفة لمصحف جليل، وقطعه بلخش، وخدم فلان من ماله لخزانة السلطانية بثلاثمائة ألف دينار. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٦٢، حاشية (١).

يسامته في مشيه، بل كان النائب يتقدمه يسيراً، ويميل بوجهه إلى جهة الصاحب ويحدثه. فكانا كذلك إلى أن وصلا إلى المصطبة، التي يجلس عليها أستاذ الدار وناظر البيوت، وهي من داخل الباب الثاني، من باب القلة لجهة الخزانة، على باب الفراش خاناه قديماً. وهذا الموضع الآن من أحد أبواب الجامع الذي عمر في أيام السلطان الملك الناصر. وسنذكر إن شاء الله تعالى، خبر هذا الجامع في الأيام الناصرية. قال[١]: فلما انتهيا إلى ذلك المكان، مسك الصاحب بدر الدين بيدرا، نائب السلطنة، وأشار إليه بالرجوع. قال: وسمعت الصاحب يقول له: «بسم الله يا أمير بدر الدين»؛ لم يزده على ذلك، وهذا أمر لم يسمع بمثله. والذي شاهدته أنا، غير مرة ولا مرتين، أن الصاحب كان إذا أراد الركوب إلى القلعة، اجتمع ببابه نظار النظار وشاد الدواوين ووالي القاهرة ووالي مصر، ومستوفي الدولة، ونظار الجهات، ومشدّي المعاملات؛ وغير هؤلاء من الأعيان. ثم يحضر قضاء القضاة الأربعة ومن يتبعهم. فإذا اجتمع هؤلاء كلهم ببابه، عرّفه حجّابه أن الموكب قد كمل. وكان كمال الموكب عندهم، حضور قضاة القضاة الأربعة، فيخرج عند ذلك، ويركب ويسوق الناس بين يديه على طبقاتهم. فيكون أقرب الناس إليه، قاضي القضاة الشافعية، وقاضي القضاة المالكية، يكونان أمامه. وأمامهما قاضيا القضاة الحنفية والحنبلية؛ ثم نظار النظار والأعيان، ومستوفيي الدولة، ونظار الجهات على قدر مراتبهم. ويستمر القضاة معه، إلى أن يستقر في المجلس. فينصرفون ثم يعودون عشية النهار إلى القلعة، ويركبون في موكبه بين يديه إلى أن يصل إلى داره، حتى أنه تأخر ليلة بالقلعة إلى قرب العشاء الآخرة، وغلق باب القلعة، وانقلب موكب الصاحب، إلى جهة باب السلطان، وجاء القضاة ووقفوا على بغالهم، بظاهر باب الإسطبل السلطاني، ولم ينصرفوا حتى خرج وركب، وساقوا في خدمته، إلى داره على عادتهم، لم يخلّوا بها. وكان لا ينتصب قائماً لبعض أكابرهم، ولم ينتظم هذا لوزير قبله. ولما عظم موكبه، وبقي الأكابر، يزدحمون في شوارع القاهرة، ويضيق بهم لكثرة من معه، ويزدحم الغلمان، انتقل إلى القرافة، وسكنها بسبب ذلك. ثم كان من أمره ما نذكره، إن شاء الله تعالى في موضعه.

ذكر[٢] القبض والإفراج على من نذكر من الأمراء، وعنه[٣]

وفي يوم الجمعة، سابع صفر، أمر السلطان بالقبض على الأمير شمس الدين سنقر

(١) إشارة إلى رواية ابن عبادة الواردة أيضاً في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٠٩.
(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٣.
(٣) إشارة إلى المصدر الثاني نقل عنه.

الأشقر، والأمير سيف الدين جرمك الناصري، وعدَّد لهما ذنوباً كثيرة. وكان مما عدَّه على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، أن قال هذا ما أحسن إليه أحد، إحسان طرنطاي، فإنه ما زال يدافع عنه السلطان [المنصور][١] ويمنعه من القبض عليه، إذا أراده. ويقول له، والله لا يقبض عليه، حتى يقبض علي قبله. ووفى له طرنطاي بما عاهده عليه، بصهيون، لما استنزله منها. ولم يرع له حق هذا الإحسان العظيم والذب عنه. وكان [هو][٢] أكبر أسباب القبض عليه، فإنه أفشى سره.

وأفرج السلطان في هذا اليوم، عن الأمير زين الدين كتبغا المنصوري، وأعاد عليه إمرته، وأنعم عليه إنعاماً كثيراً. وكان قد قبض عليه، كما تقدم لما همَّ بالمدافعة عن طرنطاي.

ذكر فتوح عكا وصور وصيدا وحيفا

قد ذكرنا أن السلطان الملك المنصور، والد السلطان، كان قد أهمه أمر عكا وتجهز لغزوها. وخرج لذلك، وعاجلته المنية، دون الأمنية. فلما استقر أمر السلطان الملك الأشرف، وخَلَا وجهه، ممن كان يقصد مناوأته، صرف اهتمامه إلى عكا وغزوها. وندب العساكر من الديار المصرية، وسائر الممالك والحصون. وأمر نواب السلطنة بالممالك الشامية والساحلية، ونواب القلاع والحصون، بتجهيز الزردخانات وأعواد المجانيق[٣] والحجارين وغيرهم. وندب الأمير عز الدين أيبك الأفرم، أمير جاندار[٤] لذلك. فتوجه من الباب السلطاني، ووصل إلى دمشق، في سلخ صفر. فجهزت أعواد المجانيق من دمشق، وبرزت إلى ظاهرها في مستهل شهر ربيع الأول، وتكامل ذلك، في يوم الخميس ثاني عشر الشهر. وتوجه بها الأمير علم الدين سنجر الدواداري، أحد الأمراء بالشام، ثم فرقت على الأمراء مقدمي الألوف، فتوجه كل أمير ومضافوه منها، بما أمر بنقله. ثم توجه الأمير حسام الدين لاجين، نائب السلطنة بالشام،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٠.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٠. والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٢.

(٣) جمع منجنيق، وهي من أسلحة الحصار، وقد عرفها المماليك، وتقدمت صناعتها على أيديهم، وهي آلات يقذف بها بعد الأحجار واللهب وحتى الزرنيخ والأفيون. والقصد من ذلك خنق العدو. وكانت بعض المنجنيقات الكبار تحمل على مائة عجلة وكذلك كانت تجرها الأبقار بعد فصل أجزائها بعضها عن بعض، ثم تركب عند الحصار، والمنجنيق اسم أعجمي، لأن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٣٣٢.

(٤) تقدم التعريف به.

في آخر الجيش، ببقية العسكر، في يوم الجمعة، العشرين من شهر ربيع الأول. وندب السلطان أيضاً، الأمير سيف الدين طغريل الإيقاني[١] إلى الحصون والممالك يستنجدهم على سرعة تجهيز المجانيق والآلات، فبادر النواب إلى ذلك.

ووصل الملك المظفر[٢] صاحب حماه إلى دمشق، في ثالث عشرين شهر ربيع الأول، بعسكر حماه، وصحبته مجانيق وزردخانات. ووصل الأمير سيف الدين بلبان الطباخي، نائب السلطنة بالفتوحات، بعساكر الحصون وطرابلس وما معها، بالمجانيق والزردخانات، في رابع عشرين الشهر. ووصل سائر النواب، وتوجهوا إلى عكا. هذا ما كان من أمر نواب الممالك الشامية وعساكرها.

وأما السلطان الملك الأشرف، فإنه لما عزم على التوجه إلى عكا، أمر بجمع القراء والعلماء والقضاة والأعيان، بتربة والده السلطان الملك المنصور. فاجتمعوا في ليلة الجمعة، الثامن والعشرين من صفر، وباتوا بالقبة المنصورية، يقرأون القرآن. وحضر السلطان إلى التربة[٣] في بكرة النهار، وتصدق بجملة من المال والكساوي وفرّقَ على القراء والفقراء مالاً كثيراً، وفرّق في أهل المدارس والزوايا والخوانك والربط [مالاً وثياباً][٤]. ثم عاد إلى قلعة الجبل. واستقل ركابه منها، في ثالث شهر ربيع الأول[٥]. وجهز السلطان آدره العالية[٦] إلى دمشق، فوصلوا إلى قلعتها، في يوم الاثنين، سابع شهر ربيع الآخر. ووصل السلطان إلى المنزلة بعكا، في يوم الخميس، ثالث شهر ربيع الآخر. ووصلت المجانيق إلى عكا في اليوم الثاني، من وصوله، وهي اثنان وتسعون منجنيقاً، ما بين إفرنجي وقرابغا وشيطاني، فنصبت وتكامل نصبها في أربعة أيام، وأقيمت الستائر.

وكان الفرنج، لما بلغهم اهتمام السلطان وعزمه، كاتبوا ملوك البحر، وسألوهم

---

(١) في الأصل: «الإيغاني» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٠، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٣.

(٢) رافق المؤرخ أبو الفدا قريبه المظفر صاحب حماه في هذه الحملة. انظر ما قام به وما شاهده من وقعة عكا. وما وضحه من أساليب الحرب في تلك العصور من المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ج ٥، ص ٩٤ ـ ٩٨. وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٣ ـ ٧٦٤، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١١.

(٣) أي القبة المنصورية. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٦٤.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٤.

(٥) «يوم الثلاثاء» المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٦٤.

(٦) في الأصل: أوده العالمية. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١١.

إنجادهم، فأتوهم من كل مكان. واجتمع بعكا منهم جموع كثيرة، فقويت نفوسهم. ولم يغلقوا أبواب البلد. واستمر الحصار وعملت النقوب، إلى السادس عشر من جمادى الأولى[١].

فلما كان في يوم الجمعة السابع عشر من الشهر، أمر السلطان أن تضرب الكوسات جملة واحدة، وكانت [على][٢] ثلثمائة جمل. فلما ضربت، هال أهل عكا ما سمعوه منها. وزحف السلطان بالعساكر، قبل طلوع الشمس من هذا اليوم. فما ارتفعت الشمس: إلا والصناجق السلطانية على أسوارها.

ولما أشرف المسلمون على فتح عكا، وتحقق من بها ذلك، خرجت طائفة منهم، نحو عشرة آلاف رجل مستأمنين، فرَّقهم السلطان على الأمراء، فقتلوا عن آخرهم. وأرسل السلطان جماعة من الأسرى، إلى الحصون الإسلامية.

وكان مدة الحصار على عكا، منذ حل ركاب السلطان، إلى أن فتحت، أربعة وأربعين يوماً. واستشهد من الأمراء على حصارها، الأمير علاء الدين كشتغدي[٣] الشمسي، ونقل إلى جلجولية ودفن بها، والأمير عز الدين أيبك المعزي، نقيب العساكر، والأمير جمال الدين آقش الغتمي، والأمير بدر الدين بيليك المسعودي، والأمير شرف الدين قيران السكري، وأربعة من مقدمي الحلقة، وجماعة يسيرة من العسكر.

وكانت عكا بيد الفرنج، منذ استرجعوها من السلطان، الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، في سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وإلى هذا التاريخ، مائة سنة وثلاث سنين، وأمر السلطان الآن بإخرابها، فخربت.

وفتح الله تعالى على يد السلطان، في بقية الشهر، من المدن المشهورة الساحلية، صور، وصيدا، وحيفا، وعتليت[٤]، بغير قتال. وذلك أن الله تعالى، أوقع في قلوب

---

(١) «وكان فتح عكا في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة» ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٢٢٩ ملحق رقم (١)، ومنه وصف شاهد عيان لموقعة عكا وهو منقول عن السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٢.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٢، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٥.

(٣) في الأصل: كشغدي. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٢، ومن السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٥.

(٤) عثليث أو عتليت: حصن بساحل الشام بين حيفا وقيسارية، وكان يعرف بالحصن الأحمر، ويسميه الفرنج حصن الحجاج، وقد زادت هيئة الفرسان الداوية في تحصينه في أواخر أيام الحروب الصليبية، وجعلته المركز الرئيسي لقواتها بالشام، ولا تزال إلى الشمال الغربي من قرية عتليت في فلسطين بقايا ذلك الحصن من العصور الوسطى. الموسوعة الفلسطينية ج ٣، ص ١٨٨.

أهلها الرعب، لما فتحت عكا، وعلموا أنهم لا يقدرون على حفظها، ففارقوها ونجوا بأنفسهم. فملكها السلطان، فأمر بهدمها جميعها فهدمت. ثم فتحت صيدا وبيروت، على يد الأمير علم الدين الشجاعي، على ما نذكره[(١)] إن شاء الله تعالى.

وأكثر الشعراء ذكر هذا الفتح. فكان ممن امتدح السلطان، وذكر هذا الفتح من الشعراء، الشيخ الفاضل بدر الدين محمد بن أحمد بن عمر المنبجي التاجر المقيم بالقاهرة، فقال: [من البسيط]

بلغت في الملك أقصى غاية الأمل ... وفُتّ شأو ملوك الأعصر الأول
وحزت رق العلى بالجد مجتهداً ... وجزت غاياتها سبقاً على مهل
ونلت بالحول دون الناس منفرداً ... ما لم ينله[(٢)] ملوك الأرض بالحيل
فطل بدولتك الميمون طائرها ... فإنها غرة في أوجه الدول
واسعد بهمتك العليا التي وصلت ... لك السعود بحبل غير منفصل
فأنت للدين والدنيا صلاحهما ... وفيهما حمل ضيم غير محتمل
فكم بلغت مراداً بت[(٣)] تأمله ... بعزمك الباتر العاري من الفلل
وكم فتحت[(٤)] حصوناً طالما رجعت ... لليأس عنها[(٥)] الملوك الصيد في خجل
حررت من عكة الغراء ما عجزت ... عنه الملوك بعزم غير منتثل
عقيلة المدن أمست من حصانتها ... وصونها من الليالي الدهر في عقل
وقد دعتها ملوك الأرض راغبة ... وعطفها عنهم بالتيه في شغل
صدت عن الصيد لا تلوي فلم تطل ... الأوهام منها إلى وصل ولم تصل
أم لهم بَرَّة كم رام خطبتها ... بعل سواك، فلم تذعن ولم تنل
حتى أمرت فأمست وهي طائعة ... بعد الإباء لأمر منك ممتثل
ما زال غيرك فيها طعاماً وعلى ... يديك، قد كان هذا الفتح في الأزل
فتحاً تطاول عن نثر يحوط به ... وصفا، وعن نظم شعر محصد الطّول

(١) انظر ما ورد في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٤.
(٢) «تنله» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٤.
(٣) في الأصل: «أنت» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٤.
(٤) «فتح» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٤.
(٥) «عمّ» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٤.

قصدْتَها فأصيبت بعدما فجعت في أهلها من أسود الغيل بالغيل
في جحفل لجب كالليل أنجمه تبدو لرائيه من قُضْب ومن أسل
تمم إلمامِه وعر ومن أكم وطبَّق الأرض من سهل ومن جبل
تخالهم وجياد الخيل تحتهم لليأس من الروع آساداً على قلل
لا تنظر العين منهم إن هم لبسوا لامات حربهم يوماً، سوى المقل
صدمتها بجيوش لو صدمت بها صم الجبال، أزالتها ولم تزل
فأصبحت بعد عز الملك خاضعة من ذلة الملك طول الدهر في سمل
أمست خراباً وأضحى أهلها رمماً وسطرتها يد الأيام في المثل
فَسَلْبُ بزتها عنها وقد عطلت ألذ للطرف من حَلْي ومن حلل
ومحو آثارها منها وقد خربت أَشْهى إلى النفس من روض الربى بالجدل
بالأشرف السيد السلطان زال عنا التثليث وابتهج التوحيد بالجدل
تدبير ذي حكم في عز منتقم وعمر مقتبل في رأي مكتهل
راحت وقد سلبت أرواحهم بشبا الهندي أموالهم من جملة النفل
هدمت ما شيدوا، فرقت ما جمعوا نقضت ما أبرموه غير محتفل
وعندما أصبحت قفراً بلادهم من السواحل بعد الأهل في العطل[١]
رحلت عنها، ولكن كم أقمت بها من خوف بأسك جيشاً غير مرتحل
لا زلت ذا رتب في المجد سامية وسؤدد بنواصي الشهب متصل

وقال المولى شهاب الدين أبو الثنا محمود الحلبي، كاتب الإنشاء، لما عاين النيران في جوانب عكا. وقد تساقطت أركانها، وتهدمت جدرانها: [من الطويل]

مرَرْتُ بعكا بعدَ تخريبِ سورِها وزند أوار النار في وسطها وار
وعاينتُها بعد التنصرِ قدْ غدتْ مجوسيةَ الأبراجِ تسجُد للنار

وقال أيضاً: [من البسيط]

الحمدُ لِلّه زالت دولة الصُّلُبِ وعزَّ بالترك دينُ المصطفى العربي
هذا الذي كانت الأمالُ لو طلبت رؤياه في النوم لاستحيتْ من الطلب
ما بعد عكا وقد هُدَّت قواعدُها في البحر للشرك عند البر من أرب

(١) «عطل» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٥.

عقيلةٌ ذهبتْ أيدي الخطوبِ بها ... دهراً وشدَّتْ عليها كفَّ مغتصب

لم يبقَ من بعدها للكفر إذ خربتْ ... في البرّ والبحر ما ينجي سوى الهرب

كانت تخيلها[١] آمالنا فترى[٢] ... أن التفكّر فيها أعجب[٣] العجب

أم[٤] الحروبُ فكم [قد][٥] أنشأت فتناً ... شابَ الوليدُ بها هولاً ولم تشب

سوران برٌّ وبحرٌ حولَ ساحتها ... داراً[٦] دار، وأدناهما أنأى من القطب

خرقاء[٧] أمنع سوريها وأحصنه ... غُلْبُ الكماة، وأقواه على النوب

مصفّح بصفاح، حولها شرف[٨] ... من الرماحِ وأبراجٌ من اليَلَب[٩]

مثل الغمامة[١٠] تهدي من صواعقها ... بالنيل أضعافَ ما تهدي من السحب

كأنما كلّ برجٍ حوله فلكٌ ... من المجانيقِ يرمي الأرض بالشهب

ففاجأتْها جنودُ الله يُقْدِمها ... غضبانُ لله لا للملك والنَّشَب

ليث أبي أن يرد الوجه عن أمم ... يدعون رب الورى سبحانه بأب

كم رامها ورماها قبله ملكٌ ... جمُّ الجيوش فلم يظْفر ولم يصب

لم يلهه ملكه، بل في أوائله ... نال الذي لم ينله الناس في الحقب

لم ترض همَّتُهُ إلا التي قعدت ... للعجز عنها ملوكُ العجُم والعرب

فأصبحت وهي في بحرين مائلة ... ما بين مضطرمٍ ناراً ومضطرب

جيش من الترك تَرْك الحرب عندهم ... عار، وراحتهم ضرب من الوصب[١١]

---

(١) تخيلنا في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١١.

(٢) «فترى» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١١.

(٣) «غاية» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١١.

(٤) «أما» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١١.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها وزن الشعر.

(٦) «دار» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١١.

(٧) في الأصل: خرق، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ١، ص ١١٦.

(٨) «أكَمّ» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١١.

(٩) اليلب: الترسة أو الدروع من الجلود أو جلود يُحزز بعضها إلى بعض تُلبس على الرؤوس خاصة وهو الفولاذ خالص الحديد. الفيروزأبادي: القاموس المحيط (يلب).

(١٠) «الغمائم» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١١، و«الغمايم» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٦.

(١١) «الضرب» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١١.

خاضوا إليها الردى والبحر فاشتبه الـ
ـأمران واختلفا في الحال والسبب

تسنّموها[١] فلم يترك ثباتهم
في ذلك الأفق برجاً غير منقلب

تسلموها فلم تخل الرقاب بها
من فتك منتقم أو كف منتهب

أتوا حماماً فلم تدفع وقد وثبوا
عنها مجانيقهم شيئاً ولم يثب

يا يوم عكا لقد أنسيتَ ما سبقت
من الفتوحُ وما قد خُطّ في الكتب

لم يبلغ النطقُ حدَّ الشكر فيك[٢] فما
عسى يقوم به ذو الشِّعر والخطب

كانت تُمني بكَ الأيام عن أمم
والحمد لله شاهدناك عن كثب

أغضبتَ عُبَّاد عيسى إذ أبذْتهمُ
لله أي رضًى في ذلك الغضب

وأطْلَع الله جيشَ النصر فابتدرت
طلائع الفتح بين السُّمر والقُضُب

وأشرف المصطفى الهادي البشير على
ما أسلف[٣] الأشرف السلطان من قرب

فَقَرَّ عيناً بهذا الفتح وابتهجت
ببشره[٤] الكعبةُ الغراء في الحجب

وسار في الأرض مسرى[٥] الريح سُمعته
فالبرُّ في طربٍ والبحرُ في حرب

وخاضت البيض في بحر الدماء فما
أبدتْ من البيض إلا ساق مختضب

وغاص زرقُ القنا في زُرق أعينهم
كأنها شَطَنٌ يهوى إلى قُلُب

توقدت وهي تروي[٦] في نحورهم[٧]
فزادها الري[٨] في الإشراق واللهب

أجرت إلى البحر بحراً من دمائهمُ
فراح كالراح[٩] إذ غرقاه كالحبب[١٠]

وذاب من حرّها عنهم حديدهم
فقيدتهم به ذعراً يد الرهب

تحكمتْ فسطتْ فيهم قواضبها
قتلاً وعفّت لحاويها عن السلب

---

(١) «تسنّمهم» في المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١١.
(٢) «منك» في المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٢.
(٣) في الأصل: «أشرف» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٦.
(٤) «بفتحه» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١٢.
(٥) «سير» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٢.
(٦) «غرقى» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٢.
(٧) «دمائهم» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٢.
(٨) «فزادها الطفح منها شدة اللهب» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٢.
(٩) في الأصل: كالرياح، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٧.
(١٠) الحبب: الفقاقيع التي تطفو كأنها القوارير. الفيروزأبادي: القاموس المحيط (حبب).

كم أبرزت بطلاً كالطود قد بطلت ... حواسه فغدا كالمنزل الخرب

كأنّه وسنانُ الرمح يطلبه ... برجٌ هوى ووراه كوكب الذَّنب

بشراكَ يا ملكَ الدنيا لقد شرفتْ ... بك الممالك واستعلت على الوثب[١]

ما بعد عكا، وقد لانت عريكتها ... لديك شيءٌ تلاقيه على تَعَب

فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها ... مدت إليك نواصيها[٢] بلا نصب

كم قد دعت، وهي في أسر العدا زمناً ... صيد الملوك فلم تسمع ولم تجب

لبيتها[٣] يا صلاح الدين معتقداً ... بأن ظنَّ صلاح الدين لم يخب

أسَلْتَ فيها كما سالت دماؤهم ... من قبل إحرازها بحراً من الذهب

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت[٤] ... منه لسرٍّ[٥] طواهُ الله في الكتب

وجئتها بجيوش كالسيول على ... أمثالها بين أجام من القُضب[٦]

وحطتها بالمجانيق التي وقفتْ ... أمام أسوارها[٧] في جحفل لَجِب

مرفوعة نصبوا أضعافها قبلت[٨] ... للجزم والكسر[٩] منها كل منتصب

ورُضْتَها بنقوبٍ ذلك شمماً ... منها وأبدتْ محياها بلا نقب

وبعد صبحتها بالزحف فاضطربت ... رعباً وأهوت بخديها إلى الترب

وغنتِ البيض في الأعناق فارتقصت ... أجسادها[١٠] لعباً منها[١١] من اللعب

وخلّقت بالدم الأسوار فابتهجت ... طيباً ولولا دماء القوم لم تصب

وأبرزت كل خود كاعب نُثرَتْ[١٢] ... لها الرؤوس وقد زفت بلا طرب

---

(١) «الرتب» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١٢.
(٢) «فواصلها» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٢.
(٣) «أتيتها» في المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٢.
(٤) «غصبت» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٢.
(٥) «بسرّ» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٧.
(٦) «القصب» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٧.
(٧) «إزاء جدرانها» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١٣.
(٨) «فغداه» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٣.
(٩) «للكسر ولحطب» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٣.
(١٠) «أبراجها» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٣.
(١١) «منهن» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٣.
(١٢) «بترت» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٨.

باتت وقد جاورتنا ناشزاً وغدت ... طوع الهوى في يدي جيرانها الجُنُب
ظنوا بروج البيوت الشم تعقلهم ... فاستعقلتهم ولم تطلق ولم تهب
فأحرزتهم ولكن السيوف لكي ... لا يلتجي أحد منهم إلى هرب
وجالت النار في أرجائها وعلت ... فأطفأت ما بصدر الدين من كرب
أضحت أبا لهب تلك البروج وقد ... وكانت بتعليقها حمالة الحطب
وأفلت البحر منهم من يخبّر من ... يلقاه من قومه بالويل والحرب
وتمت النعمةُ العظمى وقد ملكت ... بفتح صور بلا حصر ولا نَصب
أختان في أن كلا منهما جمعت ... صليبة الكفر لا أختان في النسب
لما رأت أختها بالأمس قد خربت ... كان الخرابُ لها أعدى من الجرب
إن لم يكن تمَّ كون البحر منصبغاً ... بها إليها والألسن اللهب[1]
فالله[2] أعطاك ملك البر[3] وابتدأت ... لك السعادة مُلك البحر[4] فارتقب
من كان مبدأه عكا وصور معاً ... فالصين أدنى إلى كفيه من حلب
علا بك الملك حتى إن قبته ... على الثريا غدت ممدودة الطنب
فلا برحْت عزيز النصر[5] مبتهجاً ... بكل فتح قريب[6] المنح مقترب

وعمل الشعراء في هذا الفتح قصائد كثيرة، اقتصرنا[7] منها، على ما أوردناه، فلنذكر خلاف ذلك.

ذكر القبض على الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بالشام

وفي هذه السنة، والسلطان على حصار عكا، قُبض على الأمير حسام الدين لاجين المنصوري، نائب السلطنة بالشام، وسبب ذلك، أن الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خرص[8]، سعى إلى السلطان به، ثم أوهم الأمير حسام الدين

(١) في الأصل: حالت، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٨.
(٢) «الله» في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٤١٣.
(٣) «البحر» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٣.
(٤) «البرّ» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٣.
(٥) «قرير العين» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٣.
(٦) «مبين» في المصدر نفسه: ج ١، ص ٤١٣.
(٧) «اختصرنا» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٨.
(٨) في الأصل: «حرص» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٨، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٧.

المذكور من السلطان، وقال: إنه قد عزم على القبض عليه، [فحمله الخوف على أنه ركب من الوطاق][١] بعكا ليلاً، وقصد الهرب. فركب الأمير علم الدين سنجر الدواداري، وساق خلفه. فأدركه، وقال له، بالله لا تكن سبب هلاك هذا الجيش، فإن هذا البلد قد أشرف [الناس][٢] على فتحه. ومتى علم الفرنج بهروبك، قويت نفوسهم، وركب العسكر خلفك، وانصرفت عزائم السلطان عن حصار عكا إليك. فوافقه، ورجع إلى خيمته، وظن أن ذلك يستتر، ولا يشعر السلطان به. [وكان ذلك][٣]، في ثامن جمادى الأولى. فلما كان في اليوم الثاني من هذه الحادثة، خلع السلطان عليه، وطبَّب قلبه، ثم قبض عليه في اليوم الثالث، وجهَّزه إلى قلعة صفد، تحت الاحتياط، ثم جُهِّز منها إلى قلعة الجبل.

ذكر رحيل السلطان عن عكا ودخوله إلى دمشق وما قرره من أمر النيابة بها، وبالكرك وغير ذلك

ولما قضى السلطان الوطر من فتح عكا وما يليها، عاد إلى دمشق. فكان وصوله إليها، في الساعة الثالثة من يوم الاثنين، ثاني عشر جمادى الآخرة، ودخل دخولاً ما دخله ملك قبله. وزينت البلد أحسن زينة، ونزل بالقلعة. وفي يوم دخوله إلى دمشق، فوض نيابة السلطنة بالشام [إلى][٤] الأمير علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري. ورتب الأمير جمال الدين أقش الأشرقي في نيابة الكرك، عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس الدواداري المنصوري الخطائي، بحكم استعفائه من النيابة بها. وأقره السلطان في جملة الأمراء بالديار المصرية[٥].

وفي هذا اليوم، قبض السلطان على الأمير علم الدين سنجر أرجواش المنصوري النائب بقلعة دمشق. وسبب ذلك، أنه وقف بين يدي السلطان، وكان الأمير شرف الدين [بن][٦] الخطير الرومي، يكثر من البسط بين يدي السلطان على الأمراء وغيرهم.

---

(١) الوطاق: تقدم التعريف به.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٩.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٩..

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨.

(٥) يشير المقريزي إلى أن انتقال بيبرس من نيابة الكرك إلى إمرة بمصر كانت بناء على رغبة بيبرس نفسه، وقد أشار إلى ذلك في كتابه «زبدة الفكرة» بقوله: «ورسم السلطان لي بالمسير إلى الكرك، فسألته أن أكون في خدمته وأعود في ركابه وصحبته، واعتنيت من العود إلى الكرك، فأجاب إلى الإعفاء من العود إليها، ورتب الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي نائباً عن السلطنة فيها». المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٦٨، حاشية (٢).

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٩.

ويقصد بذلك أن يشرح خاطر السلطان ويضحكه. وكان السلطان في بعض الأوقات، ينظر إليه نظراً يفهم منه مراد السلطان في البسط على من يشير إليه. فنظر إليه السلطان وأومأ إليه أن يبسط على أرجواش. فنظر ابن الخطير إلى علم الدين أرجواش، وكان لا يعرف البسط ولا يعانيه، ولا يزال في تصميم. فقال ابن الخطير للسلطان: كان لوالد المملوك بالروم، حمار أشهب أعور، أشبه شيء بهذا الأمير علم الدين، فضحك السلطان، وغضب أرجواش، وقال: هذه صبيانية، فاشتد غضب السلطان لذلك، وأمر بالقبض عليه. وضرب بين يدي السلطان ضرباً كثيراً مؤلماً. ثم أمر أن يقيد ويلبس عباءة[1]، ويستعمل مع الأسرى، ففعل به ذلك. ثم رسم بحمله على خيل البريد إلى الديار المصرية مقيداً. فتوجه البريدية به، وحصلت الشفاعة فيه، فردّ من أثناء الطريق. ثم أفرج السلطان عنه، بعد أن أوقع الحوطة على موجوده، وكان يحتوي على جملة كثيرة من الأموال والعدد. وأعاده السلطان إلى نيابة القلعة، في شهر رمضان، فاستمر بها إلى أن مات.

وفي يوم الأحد، ثامن عشر جمادى الآخرة، رتب السلطان الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، في شد الشام على عادته، وكان قد أفرج عنه قبل ذلك. ونقل الأمير سيف الدين طوغان، من الشد إلى ولاية البر، على عادته الأولى[2].

وفيها، في يوم الأربعاء، ثاني عشر شهر رجب، ولي القاضي محيي الدين بن النحاس نظر الشام، عوضاً عن تقي الدين[3] توبة، وبطل اسم الوزارة بدمشق. وولي شرف الدين أحمد بن عز الدين عيسى بن الشيرجي، نظر الحسبة، عوضاً عن تاج الدين بن الشيرازي، في ثاني عشر الشهر[4].

ذكر فتوح برج صيدا

كان قد بقي بصيدا برج عاص، فندب السلطان لحصاره، الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، فتوجه لذلك، في يوم الثلاثاء رابع شهر رجب. ووصل إلى صيدا وحاصر البرج، وافتتحه يوم السبت، خامس عشر الشهر. وعاد الأمير علم الدين إلى دمشق، بعد

---

(١) العباءة: معطف قصير الأكمام، ومن معانيها القماش الجل الذي يغطي به ظهر الجمل والحصان Dozy. Supp. Dict, Ar. ولعل هذا المعنى الثاني هو المقصود هنا. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٨.

(٢) «في ثاني رجب عزل تقي الدين» المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٦٨.

(٣) «في ثاني عشر شهر رجب» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٠.

(٤) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٦٩.

فتحه، على خيل البريد، فوصل إليها عند رحيل السلطان إلى الديار المصرية، وذلك في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب.

وكان وصوله إلى قلعة الجبل، في يوم الاثنين تاسع شعبان، ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة.

ذكر فتح بيروت

لما توجه السلطان إلى الديار المصرية، أمر الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، أن يتوجه إليها، فتوجه وافتتحها في يوم الأحد ثالث عشرين شهر رجب. وذلك أن الأمير علم الدين سنجر وصل إليها، وكانت داخلة في الطاعة، فتلقاه أهلها وأنزلوه بقلعتها. فأمرهم أن ينقلوا أولادهم وحريمهم وأثقالهم إلى قلعتها، ففعلوا ذلك، وظنّوه شفقة عليهم. فلما صاروا بالقلعة، قبض على الرجال، وقيدهم وألقاهم في الخندق، وملك البلد. وعاد الأمير علم الدين إلى دمشق، فوصل إليها، في يوم الجمعة سابع عشرين شهر رمضان من السنة. ولم يبق بالساحل أجمع، من الفرنج [أحد][1]، وخلا الساحل بجملته منهم. ولم يتأخر بالبلاد الشامية غير فلاحيها النصارى، وهم داخلون في الذمة، يؤدون الجزية.

ولما فتح السلطان هذا الفتح[2]، أوقف منه ضياعاً على تربة والده السلطان الملك المنصور، وهي: الكابرة من عكا، وتل المفتوح منها، وكردانة وضواحيها[3] منها. ومن ساحل صور معركة، وصريفين[4]. وأوقف على تربته ضياعاً، وهي قرية الفرج من عكا، وقرية شفر عمر منها، وقرية الحمراء منها، وقرية طبرنية[5] من ساحل صور.

ذكر إنفاذ ولدي السلطان الملك الظاهر ووالدتهما إلى بلاد الأشكري[6]

وفي هذه السنة، أمر السلطان، بإخراج ولدي السلطان الملك الظاهر ركن الدين

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢١.
(٢) «الفتوح» في الأصل وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢١.
(٣) «وطواحينها» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢١.
(٤) الصواب «صريفا» بالقرب من معركة من أعمال صور. انظر معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية لأنيس فريحا ص ١٠٣.
(٥) ترسم طير دبة من أعمال صور.
(٦) تقدم التعريف به.

بيبرس، وهما الملك المسعود نجم الدين خضر، والملك العادل بدر الدين سلامش، من الاعتقال[١]، وجهزهما ووالدتهما إلى ثغر الإسكندرية، صحبة الأمير عز الدين أيبك الموصلي، أستاذ الدار العالية. فتوجه بهم، وسفَّرهم منها في البحر المالح، إلى القسطنطينية. فلما وصلاها، أحسن الأشكري إليهما، وأجرى عليهما ما يقوم بهما وبمن معهما. فاتفقت وفاة الملك العادل بدر الدين سلامش هنا، فصيَّرته والدته بالصبرة[٢]، وجعلته في تابوت، ولم تدفنه، إلى أن عادت به إلى الديار المصرية، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر الإفراج عن الأمير بدر الدين بيسري الشمسي وغيره من الأمراء

وفي هذه السنة، في يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان أمر السلطان الإفراج عن الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي النجمي. وكان السلطان الملك المنصور، قد اعتقله في أوائل دولته، كما تقدم ذكر ذلك[٣]، فأفرج السلطان عنه الآن. وكُتِب له إفراج شريف سلطاني، ونسخته بعد البسملة[٤]:

«الحمد لله على نعمه الكاملة، ومراحمه الشاملة، وعواطفه التي أضحت بها بدور الإسلام بازغة غير آفلة، ومواهبه التي تجول وتجود وتحيي رميم الآمال [في يومها][٥] بعد رمسها بأمسها، في أضيق اللحود[٦]، ويقرّ لها بالفضل كل جحوده».

«أحمد حمداً يعيد سالف النعم، ويفيد آنف الكرم الذي خص وعم. ونشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة نؤدي حقوقها ونجتنب عقوقها. ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث بمكارم الأخلاق، والموصوف بالعلم والحلم على الإطلاق، صلاة لا تزال عقودها حسنة الأنساق، ونسلم تسليماً كثيراً».

«وبعد، فإن أحق من عومل بالجميل، وبلغ من مكارم هذه الدولة القاهرة، الرجاء والتأميل، من إذا ذكرت أبطال الإسلام، كان أول مذكور. وإذا وصفت الشجعان، كان إمام صف كل شجاع مشهور. وإذا تزينت سماء الملك بأنجم، كان بدرها المنير. وإذا اجتمع ذوو الآراء على امتثال أمر، كان خير مشير، وإذا عدت أوصاف أولي الأمر كان

---

(١) تقدم ذكرها في أول هذا الجزء.

(٢) «بالصبر» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٠.

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) ورد أيضاً في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٢.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٢.

(٦) «من اللحود» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٢.

أكبر أمير. كم تجمّلت المواكب بحلوله بأعلى قدر، وتزينت المراتب منه بأبهى بدر. وهو المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبيري وذكر ألقابه، [فقال][١]: البدري بيسري الشمسي الصالحي النجمي الملكي الأشرفي. فهو الموصوف بهذه الأوصاف والمدح، [والمعروف][٢] بهذه المكارم والمنح».

«فلذلك، اقتضى حسن الرأي الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي الصلاحي، لا زالت الكُرب في أيامه تُكْشَف، والبدور تكتسي في دولته الغراء، إشراقاً[٣] ولا تخسف، أن يفرج عنه في هذه الساعة، من غير تأخير، ويمثل بين يدي المقام الأعظم السلطاني بلا استئذان نائب ولا وزير، إن شاء الله تعالى».

وجعل هذا الإفراج في كيس أطلس أصفر، وختم عليه بخاتم السلطان، وتوجه إلى باب الجب[٤]، الأمير بدر الدين بيدرا، والأمير زين الدين كتبغا، وجماعة من أكابر الأمراء، وأخرج الأمير بدر الدين من الجب، وقرىء عليه هذا الإفراج، ورسم بكسر قيده، وأحضر له التشريف[٥] السلطان. فقال بيسري: لا يفك القيد من رجلي، ولا ألبس التشريف، إلا بعد أن أتمثل بين يدي السلطان، وصمم على ذلك. فأُعلِم السلطان بذلك، فرسم بفك قيده، وأن يُحضَر إلى بين يدي السلطان بملبوسه، الذي كان عليه في الجب. فحضر إلى بين يدي السلطان، فانتصب له قائماً. وتلقاه وأكرمه، وألبسه التشريف، وأجلسه إلى جانبه، وأنعم عليه بالأموال والأقمشة، وأمَّره لوقته، بمائة فارس، وأقطعه إقطاعاً وافراً، من جملته منية بني خصيب[٦]، دريستا[٧]، بالجوالي[٨]

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٢.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٢.

(٣) «شرفاً» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٢.

(٤) الجب: بئر بقلعة الجبل، وصفهُ المقريزي بأنه الجب الشنيع لسجن الأمراء وأنه كان مهولاً مظلماً كثير الوطاويط كريه الرائحة يقاسي المسجون فيه كما هو الموت أو أشد منه، وقد بدأه السلطان قلاوون سنة ٦٨١ هـ، ولم يزل يستخدم لذلك الغرض في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. المقريزي: السلوك: ج ١، ص ٧٦٩، حاشية (٣).

(٥) التشريف: لباس خاص ينعم به السلطان انظر تفاصيل معانيه في التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٦) منية بني خصيب: موضع بإقليم الأشموني محافظة المنيا الحالية. ابن حماتي: قوانين الدواوين، ص ١٩٢.

(٧) دريستا: وبالفارسية دربستة، ومعناها الجنة بأكملها. واعتبر هذا اللفظ جزءاً متمماً لاسم منية بني خصيب. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٧٠، حاشية (١).

(٨) الجوالي: ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة، والجوالي جمع جالية وتطلق على أهل الذمة، وقد قيل لهم ذلك لأن عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب، ثم لزم =

والمواريث[١] الحشرية، وقرّبه السلطان لديه، وأدناه إليه. وكان يخلو به ويؤانسه ويبرّه، ويضاعف له الإنعام، حتى أن الأمير بدر الدين بيسري، انتسب إلى الأشرفية. وكان فيما مضى من عمره في الأيام الظاهرية وغيرها، يكتب بيسري الشمسي فصار يكتب بيسري الأشرفي.

وفيها، في يوم الجمعة رابع شهر رمضان، أفرج السلطان عن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير حسام الدين لاجين المنصوري، والأمير ركن الدين بيبرس صقصوا، والأمير شمس الدين سنقر الطويل، من الاعتقال، وأمرهم على عادتهم.

وفيها، أمر السلطان بالقبض على الأمير علم الدين سنجر الدواداري، فقبض عليه من دمشق، وجهز إلى الأبواب السلطانية مقيداً. وكان وصوله إلى قلعة الجبل في يوم الخميس، سابع عشر شهر رمضان.

ذكر عزل قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز عن القضاء ومصادرته

وفي هذه السنة، عزل السلطان قاضي القضاة، تقي الدين عبد الرحمٰن ابن قاضي القضاة، تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز[٢]. من منصب القضاء، بالديار المصرية، لأمور، منها ما كان في نفس الصاحب شمس الدين الوزير منه، ومنها أنه كان في الدولة المنصورية، يراعي خاطر الملك الصالح، ويقدّمه على الملك الأشرف. فذكّر الوزير السلطان بذلك، فعزله وانتدب لمرافعته جماعة، وشهد عليه آخرون بأموره برأه الله منها. وأوغلوا في الكلام عليه، ورموه بالعظائم. وكان محاشاً منها. فرسم عليه، وصودر،

= هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة وإن لم يجلوا من أوطانهم. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٩٤.

(١) المواريث الحشرية: شرحها المقريزي في عبارته: وأما المواريث الحشرية فإنها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبهم يورث ذوي الأرحام، وأن البنت إذا انفردت استحقت المال بأجمعه، فلما انقضت أيامهم، واستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان، مال المواريث الحشرية، وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتقول فيه الوزارة مرة وتظلم أخرى»، ويعرفها القلقشندي، فيقول: «هي مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو الباقي بعض الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٣٣٥. والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٣٢.

(٢) كان ابن بنت الأعز كالأمير حسام الدين طرنطاي من الكارهين للملك الأشرف خليل أيام أبيه السلطان قلاوون. المقريزي السلوك، ج ١، ص ٧٧١، حاشية (١).

ونكل به[١].

وكان قصد الوزير الإخراق به[٢]، بالضرب، فحماه الله تعالى منه، ثم تشفع فيه الأمير بدر الدين بيدرا، نائب السلطنة، مع ما كان بينهما من الشحناء، فأفرج السلطان عنه. وكان سبب هذه الشفاعة، أن الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، أمير سلاح، كان له اعتناء بقاضي القضاة تقي الدين، فلما امتحن بهذه المحنة، [ورسم بمصادرته وبلغه ما اتفق عليه][٣]، ضمّه إليه، وعزم على سؤال السلطان في أمره، والشفاعة فيه. وكان السلطان قد قبض على الأمير سنجر الحموي، المعروف بأبي خرص، وكان الأمير بدر الدين بيدرا به اعتناء، فتحدث مع الأمير بدر الدين أمير سلاح، أن يشفع فيه، فاعتذر عن ذلك، أنه يقصد أن يشفع في قاضي القضاة ولا يمكنه أن يشفع في اثنين في وقت واحد، فاتفقا أن [الأمير][٤] يشفع في قاضي القضاة. وأمير سلاح يشفع في أبي خرص. فشفعا فيهما، فأفرج عنهما.

ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي

لما عزل السلطان؛ قاضي القضاة تقي الدين عن القضاء، أشار الصاحب شمس الدين ابن السلعوس الوزير، بتفويض القضاء، للقاضي بدر الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني الشافعي الحموي. وكان يتولى قضاء القدس الشريف والخطابة كما قدمنا. فاستدعاه الصاحب شمس الدين، في يوم الأربعاء، تاسع شهر رمضان، فتوجه البريد إليه. وكان وصوله إلى القاهرة في يوم الاثنين، رابع عشر شهر رمضان، سنة تسعين وستمائة. وكانت ولايته من قبل السلطان الملك الأشرف، في يوم الخميس، سابع عشر الشهر. وفوّض إليه مع القضاء، وتدريس المدرسة الصالحية، خطابه جامع الأزهر، وغير ذلك. وهذه ولاية قاضي القضاة بدر الدين الأولى.

وفي[٥] هذه السنة، في شوال، أمر السلطان بإخراج الخليفة الحاكم بأمر الله أبي

---

(١) «ووقع منه في حقه أمور شنيعة وتزايد عليه منه الحال» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٦.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٧.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٧.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٧.

(٥) «وفي يوم الجمعة خامس عشري شهر رمضان» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٨؛ وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٣.

العباس أحمد ابن الأمير أبي علي الفتي ابن الأمير أبي بكر ابن الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين [العباسي][١]، وأن يخطب للناس بجامع القلعة، ويذكر السلطان[٢] في خطبته. فخطب[٣] في رابع عشرين شوال. وعليه شعار بني العباس، [وهو متقلد سيفاً محلى][٤]. فلما فرغ من الخطبة. لم يصلِّ بالناس. وقدم قاضي القضاة بدر الدين [محمد بن جماعة][٥]، فصلى بهم صلاة الجماعة. واستمر يخطب بالقلعة، واستناب عنه بجامع الأزهر القاضي صدر الدين عبد البر ابن قاضي القضاة تقي الدين بن رزين.

وفيها، في ليلة الاثنين، رابع ذي القعدة أمر السلطان باجتماع القضاة والفقهاء والأعيان والقراء، بتربة والده السلطان الملك المنصور، فاجتمعوا. وبات نائب السلطنة والوزير[٦] بالقبة المنصورية في تلك الليلة. فلما كان وقت السحر، من يوم الجمعة، وحضر السلطان والخليفة إلى التربة [المنصورية][٧]، والخليفة لابس السواد، وخطب الخليفة خطبة بليغة، وحرّض فيها على أخذ العراق، وكان يوماً مشهوداً، وتصدق السلطان بصدقات وافرة، وعاد هو والخليفة إلى قلعة الجبل[٨].

وكتب السلطان إلى دمشق أن يُعْمَل مهم، مثل ما عمل بالقبة المنصورية. فاهتم[٩] الأمير علم الدين الشجاعي نائب السلطنة بدمشق بذلك. وجمع الناس له في ليلة الاثنين، حادي عشر الشهر، بالميدان الأخضر، أمام القصر الأبلق. واجتمع الناس لتلاوة القرآن، من ظهر يوم الأحد إلى نصف الليل، من ليلة الاثنين. ثم تكلم الوعاظ، وانصرف الناس في بكرة النهار.

ذكر متجددات كانت بدمشق

في هذه السنة، في شوال شرع الأمير علم الدين الشجاعي، نائب السلطنة بدمشق، في عمارة آدر[١٠] بقلعتها اقترحها السلطان عليه. واهتم بذلك، وطلب الرخام من سائر

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٨.
(٢) الملك الأشرف، انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٤.
(٣) «فخطب يوم الجمعة رابع عشر شوال»، المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٧٤.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٤، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٨.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٧٤.
(٦) المقصود هنا الصاحب شمس الدين ابن السلعوس، انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٩.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٩.
(٨) تقدم التعريف بها.
(٩) في الأصل: «فاهتم به» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٩.
(١٠) أنشأ الملك محمد ابن الملك العادل أبي بكر أيوب في قلعة الجبل بعد أن أتمّ بناءها الآدر السلطانية =

الجهات. وكملت عمارة ذلك، في آخر سنة إحدى وتسعين.

وفيها، في تاسع شوال، أمر السلطان الملك الأشرف بالقبض على الأمير سيف الدين قرا أرسلان(١)، وجمال الدين أقوش الأفرم المنصوريين، فقبض عليهما الأمير علم الدين الشجاعي واعتقلهما بالقلعة. وأقطع السلطان إقطاعيهما للأميرين عز الدين أزدمر العلائي، وشمس الدين سنقر المسّاح.

وفيها، في ثاني شوال، أمر الأمير علم الدين الشجاعي نائب السلطنة [بدمشق](٢)، بإخراب ما على جسر الزلابية بدمشق، من الحوانيت، وبإخراب جميع ما هو مبني على نهر بانياس ونهر المجدول من تحت القلعة، إلى باب الميدان الأخضر، وإلى الخانقاه، فأخربت المسايح(٣) ودار الصناعة، وبيوت ومساكن وخانات ودار الضيافة، وحمام كان بني للملك السعيد، والمسايح التي على نهر بردى، والسقاية التي تعرف بالعجمي، وسقاية أرجواش، ولم يبق غير المساجد.

وفيها، في يوم الخميس، ثالث عشر ذي الحجة، زاد الأمير علم الدين الشجاعي في الميدان الأخضر الصغير، الذي فيه القصر الأبلق، مقدار سدسه من جهة الشمال إلى قريب النهر، حتى صار بين حائط الميدان والنهر مقدار ذراع ونصف ذراع بالعمل(٤). وقسم الحيطان على الأمراء والأجناد وبعض عوام البلد. وعمل هو بنفسه ومماليكه، فلم يوفر أحد نفسه من العمل، فكانت عمارة ذلك في يومين.

وفيها، في العشر الآخر من ذي الحجة، قبض على الشيخ سيف الدين الرجيحي(٥) وهو من ذرية الشيخ يونس. وجهز من دمشق إلى الباب السلطاني، على خيل البريد.

وفي هذه السنة، في أوائلها، كملت عمارة قلعة حلب. وكان الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، نائب السلطنة بحلب، قد شرع في عمارتها في الأيام المنصورية، فكانت الآن، وكتب عليها اسم السلطان الملك الأشرف. وكان هولاكو قد خرّبها(٦) كما

= وهي الدور الواقعة بداخل القلعة بالقاهرة، وذلك في سنة أربع وستمائة. المقريزي: الموعظ والاعتبار طبعة مصر ١٣٢٥، ج ٣، ص ٣٣٠. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٣، ص ٥٠٥.

(١) هكذا أيضاً في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٨.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٢٨.

(٣) المسابح.

(٤) ذراع العمل: هو الذراع المتعارف عليه في القياس Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٥) نسبة إلى «رُجيح» في معجم البلدان لياقوت الحموي، ج ٣، ص ٣٣، هو موضع في بلاد العرب.

(٦) «وكان لها منذ خرّبها هولاكو نحو ثلاث وثلاثين سنة خراباً» وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٥.

تقدم ذكر ذلك.

وفيها، في يوم الخميس، ثالث عشر رجب، كانت وفاة الأمير بهاء الدين يمك الناصري، مقدم الميسرة بدمشق، ودفن بسفح قاسيون، بمقبرة الرباط الناصري. وكان رجلاً عاقلاً قليل الاجتماع بالناس.

وفيها، كانت وفاة الأمير سابق الدين لاجين [ابن عبد الله][١] العمادي[٢]، رحمه الله تعالى. كان يتولى الأعمال القوصية قديماً، في الدولة المعزيّة، إلى أوائل الظاهرية. وعمّر بمدينة قوص مدرسة معروفة به. ثم ولي في الدولة الظاهرية الأعمال الشرقية. وكانت وفاته بالقاهرة، في العشر الأخير من شهر رمضان منها، وذلك بعد عزله من الأعمال الشرقية، وعمر وعمره نحو اثنتين وثمانين سنة، وكان ديِّناً خيراً، كثير الصدقة والإحسان. أميناً عفيفاً، ما سمع عنه، أنه ارتكب معصية قط، ولا شرب خمراً، ولا ارتشى، ولا أتى مكروهاً. وكان محترماً عند الملوك. وأصله مملوك الصاحب عماد الدين، وزير صاحب الجزيرة. ثم انتقل مع أستاذه في أواخر الدولة[٣] الكاملية، وتقدم في الدولة[٤] الصالحية وما بعدها، وولي الولايات. وكانت الولايات يومذاك لا يصل إليها إلا أكابر الأمراء وتقاتهم، رحمه الله تعالى.

وفيها، في العشرين الآخر، من شهر رمضان. توفي الأمير علاء الدين أيدكين الصالحي [النجمي][٥]، نائب السلطنة بصفد بها، رحمه الله تعالى.

وفيها، وكانت وفاة الأمير سيف الدين قطز المنصوري. وكان من أكابر المماليك المنصورية، وأكابر الأمراء. وكانت وفاته بحمص. وكان مجرداً بها، رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة إحدى وتسعين وستمائة
[٦٩١ هـ = ١٢٩١/١٢٩٢ م]

في هذه السنة، في يوم الجمعة، رابع عشر صفر، وقع بقلعة الجبل حريق عظيم في بعض الخزائن، وأتلف شيئاً كثيراً من الذخائر والنفائس والكتب.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٣.
(٢) انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
(٣) هي دولة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل الأيوبي، صاحب الديار المصرية. تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٣.
(٤) هي دولة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل الأيوبي، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٣.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٣.

وفيها، في يوم الخميس، حادي عشر شهر ربيع الأول، أمر السلطان أن يجمع القراء والعلماء والأكابر، بالقبة المنصورية، لقراءة ختمة شريفة، فاجتمع الناس لذلك. ونزل السلطان من الغد، لزيارة قبر والده، وتصدق بأموال جزيلة.

وفيها، في تاسع عشرين شهر ربيع الأول، في يوم الجمعة، خطب الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد، بجامع قلعة الجبل، خطبة بليغة، حث فيها على الجهاد، وأمر النفير، وصلّى بالناس الجمعة.

ذكر توجه السلطان إلى الشام(١)

وفي هذه السنة، في الساعة الثامنة من يوم السبت، ثامن شهر ربيع الآخر استقل ركاب السلطان إلى جهة الشام، بجميع العساكر. فوصل إلى دمشق(٢) في يوم السبت سادس جمادى الأولى، وأمر بالنفقة على جميع العساكر في ثامن الشهر، ووصل صاحب حماه لتلقي السلطان. ثم عرض السلطان الجيوش، وقدمهم(٣) أمام ركابه إلى جهة حلب، وتوجه هو من دمشق في الساعة الخامسة من يوم الاثنين، سادس عشر جمادى الأولى، ووصل إلى حلب في ثامن عشرين الشهر(٤).

ذكر فتوح قلعة الروم وتسميتها قلعة المسلمين

كان فتوح هذه القلعة، في يوم السبت، حادي عشر رجب، سنة إحدى وتسعين وستمائة. وذلك أن السلطان رحل من حلب بسائر العساكر المصرية والشامية، في رابع جمادى الآخرة، ونزل على قلعة الروم(٥)، يوم الثلاثاء ثامن الشهر وحاصرها وضايقها، ونصب عليها عشرين منجنيقاً، خمسة منها إفرنجية، وخمسة عشر قرابغاً شيطانية. ورمى بالمجانيق(٦)، وعملت النقوب، فيسَّر الله فتحها. وكانت مدة المقام عليها، إلى أن

---

(١) راجع ما ورد في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٥.

(٢) «وصحبته وزيره الصاحب شمس الدين ابن السلعوس» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٦.

(٣) «وقدّم الجيش الشامي» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٦؛ و«قدّم جيش الشام» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٧.

(٤) أي جمادى الأولى، انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٦.

(٥) وهي قلعة الفرات مقابل البيرة وتقع بينها وبين سمسياط، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٣.

(٦) ورد في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٨، حاشية (٢).ذكر مواضع تلك المجانيق وهذا نص العبارة: «إن مدة المقام على حصار قلعة الروم ثلاثة وثلاثين يوماً، وعدة ما نصب عليها من المجانيق تسعة عشر فرنجية خمسة وقوابغايية (كذا) وشيطانية أربعة عشر خارجاً عن منجنيق صاحب حماه، =

فتحت، ثلاثة وثلاثين يوماً. وكان للأمير علم الدين الشجاعي في فتحها النصيب الأوفى، فإنه تحيَّل في عمل سلسلة بالقرب من شراريف القلعة، وأوثق طرفها بالأرض، فتمسك الجند بها، [وطلعوا إلى القلعة][1]. وكان ممن طلع إلى القلعة، سيف الدين أقجبا، أحد مماليك الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، أمير سلاح، ولم يكن من أعيان مماليكه، بل كان في خدمة ولده صلاح الدين خليل. فتحيل وطلع إلى سور القلعة، وقاتل قتالاً شديداً، وجرح ثم رجع، والسلطان ينظر إليه. فسأل عنه، فعرف به، فأرسل إليه خلعة، وأنعم عليه بمال، ووعده بإقطاع، وأمر أستاذه الأمير بدر الدين، أن يذكر السلطان به، إذا عاد إلى حلب، فلم يفعل. ثم صار بعد ذلك، من جملة مقدمي الحلقة، وتأمّر بعد ذلك، في سنة تسع عشرة وسبعمائة بطبخاناه، وتولى عمل الفيوم من الديار المصرية. وفتحت القلعة عنوة، وقتل من كان بها من المقاتلة، وسبيت النساء والذرية، ووجد فيها بطرك الأرمن، فأخذ أسيراً. ومحا السلطان عن هذه القلعة، تسميتها بالروم، وسماها قلعة المسلمين. ووصل إلى الزردخاناه السلطانية من الأسرى ألف أسير ومائتا أسير. واستشهد عليها من الأمراء: الأمير شرف الدين بن الخطير، وشهاب الدين بن ركن الدين أمير جاندار. ورتب السلطان الأمير علم الدين الشجاعي لعمارة القلعة، وأمره بإخراب ربضها وإبعاده عنها. فتأخر لذلك، وصحبته عسكر الشام.

ولما تم هذا الفتح، أنشئت كتب البشائر إلى الممالك. وكان مما كتب إلى دمشق، كتاب عن السلطان إلى قاضي القضاة شهاب الدين الخوييّ ونسخته[2]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، أخوه خليل بن قلاوون.

صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامي، القاضيّ الأجل، - وذكر ألقابه ونعوته -. خصه الله بأنواع التهاني، وأتحفه بالمسرات التي تُعَوَّذُ بالسبع المثاني. وأورد على سمعه، من بشائر نصرنا وظفرنا، ما يستوعب في وصفه ومدحه الألفاظ والمعاني.

نبشره[3] بفتح ما سطرت الأقلام إلى الأقاليم أعظم من بشائره، ولا نشرت برد

= على رأس الجبل، وهي الجهة البحرية الفراتية الأفرام اثنان، والسلطان واحد فرنجي، ومن الجهة البحرية الفراتية الأفرم اثنان، والسلطان واحد فرنجي، وفي الجهة الشرقية وعلى جانب الفرات بيسري واحد، ومن الجهة الغربية خمس قوابغايية، وشيطانية في الوادي خمسة عشر.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٦، ومن السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٨.

(٢) ورد في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٥، ملحق رقم (١١) نص كتاب البشارة هذا الوارد إلى دمشق.

(٣) «تبشره» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٥.

المسرات، بأحسن من إشارته وأشائره. ولا تفوهت ألسنة خطباء هذا العصر على المنابر، بأفصح من معانيه، في سالف الدهر وغابره، وهو البشرى بفتح قلعة الروم، والهنا لكل من رام بالإسلام نصراً ببلوغ ما رام وما يروم. [ونَقُصُّ][(١)] أحسن قصص هذا الفتح المبين، والمنح الذي تباشر به سائر المؤمنين، ونُساوي في الإعلان والإعلام به كل من قرّ عيناً من الأبعدين والأقربين، ونخصّ بمسرى مبشراته الحكام ليعمّوا بنشرها عامة الناس. ونفرض لكل ذي مرتبة عليّة منه نصيباً يجمع من الابتهاج والأنواع والأجناس. وذلك أنا ركبنا لغزوها، من مصر، وقد كان مَنْ قبلنا من الملوك، يستبعد مداها، ويناديها فلا يجيب إلا بالصد والإعراض صداها، ويسائل عن جبالها، فتحيل في الجواب على النسور المهومة، ويستشير أولي الرأي في حصرها، فلا يسمع إلا الأقوال المثلوبة والآراء المثلومة. وما زلنا نصل السرى، ونرسل الأعنة إلى نحوها، فتمدّ الجياد أعناقها إليها مداً، ينقطع بين قوتها وقوته السير. واستقبلنا من جبالها كل صعب المرتقى، وعر المنتقى، شاهق لا يلقى به مسلك ولا يلتقى. فما زالت العزائم الشريفة تسهل حزونه، والشكائم تفجر بوقع السنابك على حجارته عيونه، والجياد المطهمة ترتقي، مع امتطاء متونها بدروع الحديد متونه. فلما أشرف عليها منا أشرف سلطان، جعل جبلها دكاً، وحاصرناها حصاراً ألحقها بعكا وأخواتها، وإن كانت أحصن من عكا. ونصبنا عليها عدة مجانيق تنقض حجارتها انقضاض النسور، وتقبض[(٢)] الأرواح من الأجسام وإن ضرب بينها وبينهم بسور، وتفترس أبراجها بصقور صخور افتراس الأسد الهصور. هذا والنقوب تسري في بدناتها سريان الخيال، وإن كان جفونها المسهدة، وعمدها الممددة وحفظتها المجندة، ورواسيها على جبل الفرات موطدة. وقد خندقوا عليها خندقاً جرت فيه الفرات من جانب ونهر مرزبان من جانب، ووضعها واضعها على رأس جبل يزاحم الجوزاء بالمناكب، وسفح صرحها الممدد فكأنه عرش لها على الماء وإذا رمقها طرف رائيها استبهت عليه بأنجم السماء. وما زالت المضايقة تقص[(٣)] من حبلها[(٤)] أطرافه، وتستدر بحلبها أخلاقه، وتقطع بمسائل جلاد معاولها وجدالها خلافه، وتورد عليها من سهامها كل إيراد لا يجاوب إلا بالتسليم، وتقضي عليها بكل حكم لا تقابل توبته إلا بالتحكيم.

ولما أذن الله بالفتح الذي أغلق على الأرمن والتتار أبواب الصواب، والمنح الذي

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٧.
(٢) و«تقتنص» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٨.
(٣) «تعض» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٨.
(٤) «جبلها» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٨.

أضفى على أهل الإيمان من المجاهدين أثواب الثواب. فتحت هذه القلعة بقوة الله ونصره، في يوم السبت حادي عشر شهر رجب الفرد. فسبحان من سهل صعبها، وعجل كسبها، وأمكن منها ومن أهلها، وجمع شمل المماليك الإسلامية بشملها. فالمجلس السامي يأخذ خطه من هذه البشرى، التي بشرت بها ملائكة السماء، ملك البسيطة وسلطان الأرض. وتكاثر على شكرها كل من أرضى الله طاعة وأغضب من لم يرض، من ذوي الإلحاد، وممن حاد الله وحاد، وممن ينتظر من هذه الإيعاز إنجاز الإيعاد، فلا ينجيه الإمضاء هرباً ولا الإبعاد. فإنه بفتح هذه القلعة وتوقلها، وحيازة ثغرها ومعقلها، تحقق من بسيحون وجيحون، أنهم بعد فتح باب الفرات، بكسر أقفال هذه القلعة لا يرجون أنهم ينجون.

وما يكون بعد هذا الفتح، إن شاء الله إلا فتح المشرق والروم والعراق، وملك البلاد من مغرب الشمس إلى مطلع الإشراق. والله تعالى يمدنا من دعواته الصالحة، بما تعدو به عقود الآمال حسنة الاتساق، إن شاء الله.

كتب يوم الفتح المبارك سنة إحدى وتسعين وستمائة، حسب المرسوم الشريف.

وكُتب عن الأمير علم الدين الشجاعي، نائب السلطنة بدمشق [المحروسة][(١)]، إلى قاضي القضاة، شهاب الدين الخُوييّ أيضاً. وهو من إنشاء الفاضل شرف الدين القدسي، ما مثاله[(٢)] بعد البسلمة:

ضاعف الله مسار الجناب العالي المولوي القضائي الشهابي ـ وذكر ألقابه ونعوته[(٣)] ـ ولا زالت وفود البشائر إليه تترى، وعقود التهاني تُنَص إليه نظماً ونثراً. وفواتح الفتح تتلى عليه لكل آية نصر يسجد لها القلم في الطرس شكراً، وتشتمل على أسرار الظفر فيأتي الإسماع من غرابتها بما لم يحط به خبراً. وتتحفه بظهور أثر المساهمة فتهدي إليه سروراً وأجراً.

المملوك يستفتح من حمد الله على ما مَنَح من آلائه، وفتح على أوليائه، ووهب من الإعداء على أعدائه، ويسَّر من الظفر الذي أيد فيه بنصره وأمدّ بملائكة سمائه، ما يستديم الإنجاد بحوله، ويستزيد به الأمداد من فضله وطوله. ويوالي من الصلاة على

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٩.

(٢) انظر ما ورد في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٩.

(٣) ذكر المقريزي هذه النعوت كما يأتي: «الإمامي، العالمي، العاملي، الزاهدي، العابدي، الورعي، الشهابي ضياء الإسلام، شمس الشريعة، قاضي القضاة، حجة الأئمة، سيد الحكام، قدوة العلماء، ولي أمير المؤمنين. السلوك، ج ١، ص ١٠٠٧.

سيدنا محمد ﷺ ما يُستدر به أخلاف الفتوح، ويسترهف بيُمنه الصوارم التي هي على من كفر بالله ورسوله دعوة نوح. ويهدي من البشائر ما تختال به أعطاف المنابر سروراً، ويتعطر[١] بذكره أفواه المحابر حبوراً[٢]، وترشف[٣] الأسماع موارد وارده، فيستحيل في قلوب الأعداء ناراً وفي قلوب الأولياء نوراً. ويبادر مساهمةً لحاضر في استماعه كل بادٍ فينقلب إلى أهله مسروراً.

ويُنهى أنه أصدرها والنصر قد خفقت[٤] بنودُه، وصدقت وعوده، وسار بمختلفات البشائر في كل قطر بريده. والأعلام الشريفة السلطانية، قد امتطت من قلعة الروم صهوة لم تَذِلّ لراكب. وحلّت من قُنَّتِها[٥] وقلّتها بين الذروة والغارب. وأراقت أسنتها من دمائهم ما ترك الفرات لا يحل لشارب. ومدّ الأيمان بها أطنابه، وأعجلت السيوف المنصورة الشرك أن يضم للرحلة أثوابه. واستقرت بها قدم الإسلام ثابتة إلى الأبد. وقتّلت بأرجائها، سيوف أهل الجمعة، حتى رق أهل السبت لأهل الأحد. وأذهب الله عنها التثليث حتى كاد حكم الثلاثة أن يسقط من العدد، وتبرَّأ منهم من كان يغرهم بإمداده، حتى الفرات لمجاورتهم، ودّت النقص خوفاً أن يطلق على زيادتها اسم المدد. ونطق بها الأذن فخرس الجرس. وعلت بها كلمة الإيمان، فأضحت لها بعد الابتذال آية الحرس. وأسمعت دعوة الحق ما حولها من الجبال فسمعت وهي الصم، ولبَّت الداعي بلسان الصدى الناطق عن شوامخها الشم.

وكانت هذه القلعة المذكورة للثغور الإسلامية بمنزلة الشّجي في الحلق[٦] والغلة في الصدر، والخسوف الطارىء على طلعة البدر. لا تخلوا من غل تضمره، في لين تظهره، وغدر تستره، في عذر توروده وتصدره، وقد سكن أهلها إلى مخادعة الجار، وموادعة التتار، وممالاتهم على الإسلام بالنفس والمال، ومساواتهم لهم حتى في الزي والحال. يمدونهم بالهدايا والألطاف، ويدلونهم على عورات الأطراف. وهم يتقون بمسالمة الأيام، ويدعون أن قلعتهم لم تزل من الحوادث في زمام، ويغترون بها. ولولا السطوات الشريفة، لحق بمثلها أن يغتر. ويسكنون إلى حصانتها كلما أومض في

(١) «تتعطر» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٩، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٧.
(٢) «جُوْراً» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٧. أي الورد الجوري وهو الشديد الحمرة. بطرس البستاني: محيط المحيط (جدر).
(٣) «ويرشف» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٧.
(٤) «حُقّقت» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٨.
(٥) «قبتها» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٩.
(٦) «بمنزلة الشجي في الحلق والتشويه في الخلق والعلة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٣٩.

حلك[١] السحب برق ثغرها المفتر.

وهو حصن صاعد منحدر، بارزه مستدير، لا يطأ إليه السالك إلا على المحاجر، ولا تنظره العيون حتى تبلغ القلوب الحناجر، كأنه في ضمائر الجبال حب يُقتل وهو كامن، ويجرف[٢] الظاهر وهو باطن. قد أرخت عليه الجبال الشواهق ذوائبها، ومدت عليه الغمائم أطنابها ومضاربها. وقد تنافست فيه الرواسي الرواسخ فأخفاه بعضها عن بعض وتقاسمته العناصر فهو للنكاية والرفعة والثبات ومجاورة الفرات مشترك بين النار والهواء والماء والأرض. وقد امتدّت الفرات من شرقيها كالسيف في كفِّ طالب ثأر، واكتنفها من جهة الغرب نهر آخر استدار نحوها كالسور وانعطف معها كالسوار. وفي قُنّة[٣] قُلّتها جبل يردّ الطرف وهو كليل، ويصل النظر إلى تخيل هضابه فلا يهتدي إلى تصورها بغير دليل،وكذلك من شرقها وغربها، فلا تنظرها الشمس وقت الشروق[٤]، ولا يشاهدها القمر وقت الأصيل. وحولها من الأودية خنادق لا يعرف فيها الهلال إلا بوصفه، ولا الشهر إلا بنصفه.

وأما الطريق إليها فيزل الذرّ عن متنها. ويكل طرفُ الطرف عن سلوك سهلها فضلاً عن حزنها. وبها من الأرمن عُصَب جَمْعُهم التكفور[٥]، ومن التتار فرق زيادتهم للتغوير[٦]، قد بذلوا دونها النفوس، وتدرّعوا للذبّ عنها لبوس. وأقدموا على شرب كأس الحمام، خوفاً أن يكفرهم التكفور، ويحرمهم خليفتهم الحاكم بها، كتبغا نميكوس[٧]. وإذ زيَّن لهم الشيطان أعمالهم، وفسح في ميدان الضلالة آمالهم، فلما تراءت الفئتان، نكص على عقبية، وترك كلا منهما بعض من الندم يديه. وحين أمر مولانا السلطان، خلّد الله سلطانه، الجيوش المنصورة بالنزول عليها، والهجوم من خلفها ومن بين يديها، ذللت مواطىء جيادها صهوات تلك الجبال. وأحاطت بها من كل جانب إحاطة الهلال بالهلال. وسلكوا إليها تلك المخارم، وقد تقدمهم الرعب هادياً وأقدموا على قطع تلك المسالك والمهالك، بالأموال والأنفس، ثقة بأنهم لا ينفقون

---

(١) «خلل» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٨.

(٢) «ويحرّف» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٨.

(٣) «قبّة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٠.

(٤) وردت هذه العبارة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٩، كما يأتي: «فلا تنظرها الشمس ولا القمر وقت الشروق ولا يشاهدها وقت الأصيل» والصواب كما أورده النويري وابن الفرات.

(٥) التكفور: لفظ أرمني معناه المتوج، وقد أطلقه الأرمن على ملوكهم، كما أنه يطلق أحياناً على ملوك الدولة البيزنطية. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى. ص ٧٨.

(٦) «للتصوير» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٠.

(٧) «كتياغيكوس» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠٠٩.

نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا يقطعون وادياً. فلم يكن بأسرع من أن طار إليهم الحمام، في أجنحة السهام. وخضّبت الأحجار تلك الغادة العذراء للضرورة، وللضرورات أحكام. وأزالت النقابة عنها نقاب احتشامها، ودبَّت في مفاصلها دبيب السقم في عظامها، مع أنها مستقرة على الصخر الذي لا مجال فيه للحديد، ولكن الله أعز بالنصر سلطاننا فجاءت أسباب الفتح على ما يريد. وأقيمت المجانيق المنصورة أمامها فأيقنوا بالعذاب الأليم، وشاموا بروق الموت من عواصف أحجارها التي ما تَذَر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرَّميم. وساهموها صلاة الخوف، فلسهامهم الركوع، ولبروجهم السجود، ولقلعتهم التسليم. ولم تزل تشن عليهم غارة بعد غارة، وتسقيهم على الظمأ صوب أحجارها، وإن من الحجارة، وهي مع ذلك تظهر الجلد والجد، وتغضب غضب الأسير، على القيد. وتخفي ما تكابد من الألم، وتشكو بلسان الحال شكوى الجريح إلى العقبان والرخم، إلى أن جاءت من الأنجاد ما كانوا يأملون. وسطت مجانيقنا على مجانيقهم فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون. وكلما سقطت أسوارها، وتهتّكت بيد النقوب[١] أستارها، وتوهّم الناظر أنها هانت، رآها المباشر في تلك الحالة أشد ما كانت، وثبتت على الرمي والارتماء، وعَزّت على من اتخذ نفقاً في الأرض أو سلّماً في السماء، واستغنت بمكان السور، وانقضت أحجارها على أسوار الحرب انقضاض النسور.

وكان [هذا][٢] الفتح المبارك في صباح يوم السبت، حادي عشر رجب الفرد سنة إحدى وتسعين وستمائة بالسيف عنوة، فشفت الصوارم من أرجاس الكفر العلل[٣] بقمع العدى وكَبْتِها. وسطا خميس الأمة يوم السبت، على أهل يوم الأحد، فبارك الله لخميس الأمة في سبتها.

فليأخذ[٤] [القاضي][٥] من هذه البشرى، التي أصبح الدين بها عاليَ المنار، بادي الأنوار. ضارب[٦] مضارب دعوته على الأقطار، ذاكراً بموالاة الفتوح أيام الصدر الأول من المهاجرين والأنصار. وليشُعها على رؤوس الأشهاد ويجعلها في صحف الفتوح السالفة بمنزلة المعنى في القرينة والمثل في الاستشهاد. ويمدّ الجيش بهمّته التي ترهف

(١) في الأصل: «الثقوب» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤١.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠١٠.
(٣) «الغلل» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠١٠.
(٤) «فليأخذ حظه» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠١٠.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤١.
(٦) الصواب ضارباً.

الهمم، وأدعيته التي تساعد الساعد وتؤيد اليد وتقدم القدم. ويشارك بذلك في الجهاد حتى يكون في نكاية الأعداء على البعد كسهمٍ أصاب ورامية بذي سلم. ويستقبل من البشائر بعدها ما تكون له هذه بمنزلة العنوان في الكتاب، والأحاد في الحساب، وركعة النافلة بالنسبة إلى الخمس، والفجر الأول قبل طلوع طلعة الشمس.

والله تعالى يجعل شهاب فضله لامعاً. ونور عمله في الآفاق ساطعاً، ويتحفه من مفرقات التهاني بكل ما يغدو لشمل المسرَّات جامعاً، إن شاء الله تعالى. كُتب في يوم الفتح المذكور.

وكتب غير ذلك من كتب البشائر، اقتصرنا منها على ما أوردناه.

ثم[1] رحل السلطان من قلعة الروم إلى حلب، فأقام بها بقية شهر رجب، ونصف شعبان. وعزل الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري عن نيابتها. ورتب بها الأمير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري. وجعل الأمير عز الدين أيبك الموصلي شاد الدواوين. وقيل إنه ولاه قلعة الروم[2] وما جمع إليها، فامتنع من قبول هذه الولاية. فغضب السلطان وأمر بالقبض عليه، وفوض ذلك إلى الأمير جمال الدين أقش الفارسي فبقي بها أياماً وتوفي، فأعاد السلطان الأمير عز الدين الموصلي. ورحل السلطان عن حلب إلى دمشق، فكان وصوله إليها، في يوم الثلاثاء العشرين من شعبان[3] فأقام بها بقية شعبان وشهر رمضان وبعض شوال.

وفيها، حصل لجِمال العسكر مرض، سلَّت منه حتى جافت الوطاقات منها. ولم يجد الأمراء من الجمال ما يحملون عليه أثقالهم، فحملوها على البغال والأكاديش.

ذكر توجه الأمير بدر الدين بيدرا [4] وبعض العساكر إلى جبال الكسروان واضطراب العسكر

وفي هذه السنة، في شعبان توجه الأمير بدر الدين بيدرا بمعظم العساكر المصرية،

---

(١) ورد في السلوك أن السلطان عاد راجعاً في يوم السبت ثامن عشرة (أي شهر رجب) ثم رحل السلطان من قلعة الروم. المقريزي: السلوك / ١، ص ٧٧٨.

(٢) «قلعة المسلمين» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٢.

(٣) «وبين يديه بترك الأرمن صاحب قلعة الروم وعدة من الأسرى. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧٧٨.

(٤) هو بيدرا بن عبد الله التركي المنصوري، يلقب بدر الدين، قتله الأمير زين الدين كتبغا، والأمراء سنة ٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م. انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٨. والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٠٦.

وصحبته من الأمراء الأكابر، الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، والأمير بدر الدين بكتوت الأتابكي، والأمير بدر الدين بكتوت[١] العلائي وغيرهم، وقصد جبال الكَسْرُوَان[٢]. وأتاهم من جهة الساحل، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا[٣]؛ والأمير عز الدين أيبك الحموي وغيرهما. والتقوا بالجبل وحضر [إلى][٤] الأمير بدر الدين بيدرا من اثنى عزمه. وكسر حدته. فحصل الفتور في أمرهم، حتى تمكنوا من بعض العسكر، في تلك الأوعار، ومضايق الجبال، فنالوا منهم. وعاد العسكر شبه المنهزم، وطمع أهل تلك الجبال، فاضطر الأمير بدر الدين إلى إطابة قلوبهم والإحسان إليهم. وخلع على جماعة من أكابرهم، فاشتطوا في الطلب، فأجابهم إلى ما التمسوه، من الإفراج عن جماعة منهم، كانوا قد اعتقلوا بدمشق، لذنوب وجرائم صدرت منهم. وحصل للكسروان من القتل والنهب والظفر، ما لم يكن في حسابهم. وحصل الأمراء والعسكر من الألم لذلك، ما أوجب تصريح بعضهم بسوء تدبير الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة، ونسبوه إلى أنه إنما أهمل أمرهم، وفتر عن قتالهم، حتى تمكنوا مما تمكنوا منه لطمعه، وأنه تبرطل منهم وأخذ جملة كثيرة، ولهج الناس بذلك. وتوجه الأمير بدر الدين بيدرا بالعساكر إلى دمشق. فتلقاه الملك الأشرف، وأقبل عليه وترجل لترجله عند السلام [عليه][٥]. فلما خلا به، أنكر عليه سواء اعتماده وتفريطه في العسكر، فمرض لذلك، حتى أشاع الناس أنه سقي ثم عوفي في العشر الأوسط من شهر رمضان، فتصدق السلطان بجملة كثيرة، شكراً لله تعالى على عافيته، وأطلق جماعة كثيرة ممن كان في السجون. وتصدق هو أيضاً بجملة، ونزل عن كثير مما كان قد اغتصبه من أملاك الناس، بالإيجاز[٦] الذي هو على غير الوجه الشرعي. وجمع العلماء والقضاة والقراء والمشايخ، في العاشر من شهر رمضان، بالجامع بدمشق لقراءة ختمة. وأشعل الجامع في هذه الليلة، كما يشعل في نصف شعبان.

(١) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٨.

(٢) كسروان: وقد سماها بيبرس المصنوري في «زبدة الفكرة» جبال الصنين، وهي جبال الدرزية. الدروز بلبنان، ومنها ينبع نهر إبراهيم. المقريزي: السلوك / ١، ص ٧٧٩، حاشية (١).

(٣) توفي سنة ٦٩١ هـ/ ١٢٩١ م. ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥١، والدليل الشافي لابن تغري بردي، ج ١، ص ٣٦٧، ترجمة ١٢٥٩.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٢.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٣.

(٦) «بالاتجار» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٣.

ذكر هرب الأمير حسام الدين لاجين والقبض عليه واعتقاله، والقبض على طقصوا[١]

وفي هذه السنة، في ليلة عيد الفطر، هرب الأمير حسام الدين لاجين من داره بدمشق خوفاً من السلطان [لما بلغه][٢] في أنه يريد القبض عليه. فنودي عليه. من أحضره فله ألف دينار، ومن أخفاه شُنق. وركب السلطان في خاصكيته وجماعة من الأمراء. وترك سماط[٣] العيد، وساق في طلبه [وأخذ عليه الطُرق][٤]، وعاد بعد العصر، ولم يظفر به.

واتفق أنه التجأ إلى طائفة من العرب كان يثق بصحبتهم. فقبضوا عليه وجيء به إلى السلطان فاعتقله. وقبض أيضاً على الأمير ركن الدين بيبرس [طقصوا][٥]، وجهز[٦] إلى قلعة الجبل، وكان السبب في القبض على طقصوا، أنه كان قد تكلم على الأمير بدر الدين بيدرا. وقال إنه ارتشى من الكسروان. فوجد بيدرا عليه، وأسرها في نفسه، وتربص به الدوائر. فلما قبض على الأمير حسام الدين لاجين، خاطب بيدرا السلطان في القبض على طقصوا، لأن لاجين كان قد تزوج ابنته، فقبض عليه.

ذكر تفويض نيابة السلطانة بالشام والفتوحات وعود السلطان إلى الديار المصرية.

وفي هذه السنة، فوض السلطان نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير عز الدين أيبك الحموي الظاهري، عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، وفوَّض نيابة السلطنة بالفتوحات[٧] للأمير سيف الدين طغريل الإيغاني، عوضاً عن الأمير سيف الدين بلبان

---

(١) في الأصل: تقصو، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٣، وهذا الرسم «طقصوا» معروف في كل المصادر المعاصرة.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٧٩.

(٣) سماط العيد: كان من عادة الخلفاء الفاطميين أن يمدوا سماطاً في يوم عيد الفطر في الديوان الكبير، وقبل أن يمد سماط الطعام بقاعة الذهب ويوضع على سماط عيد الفطر الأصناف المختلفة من كعك العيد، وبعد عودة الخليفة من صلاة العيد يسمح للناس بالدخول إلى السماط. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٨٠.

(٥) «حَمي لاجين» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١، ٨٧٠.

(٦) «حُمل هو ولاجين إلى قلعة الجبل بمصر» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٠.

(٧) الفتوحات: هي ما استولى عليه السلطان من الصليبيين من الأماكن مثل طرابلس، وحصن المرقب وغيرهما.

الطباخي، بحكم انتقاله إلى نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية كما تقدم. ثم عاد السلطان إلى مقر ملكه بقلعة الجبل. وكان رحيله من دمشق، في الثلث الآخر من ليلة الثلاثاء عاشر شوال. وكان قد رُسم لأهل الأسواق بدمشق أن يخرج كل واحد منهم، وبيده شمعة يوقدها، عند ركوب السلطان، فخرجوا بأجمعهم. ورتبوا من باب النصر [أحد أبواب دمشق][١]، إلى مسجد القدم. ولما ركب السلطان، اشتعلت تلك الشموع. وساق وهي كذلك إلى نهاية ذلك الجمع. وكان وصول السلطان[٢] إلى قلعة الجبل، في يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة.

ذكر عدة حوادث كانت خلال فتح قلعة الروم وقبله وبعده

في هذه السنة، في أواخر ربيع الآخر، ورد البريد من الرحبة إلى دمشق، يخبر أن طائفة من التتار، أغاروا على ظاهر الرحبة، واستاقوا مواشٍ كثيرة. فجرد نائب السلطنة إليها جماعة من عسكر دمشق، في ثامن عشرين الشهر[٣]. وفيها، في العشر الأوسط من جمادى الأولى، تزوج الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، بابنة الصاحب شمس الدين بن السلعوس، على صداق مبلغه ألف دينار وخمسمائة دينار عيناً، عجَّل من ذلك خمسمائة دينار.

وفيها، بعد أن توجه السلطان إلى قلعة الروم بأيام يسيرة، تسوَّر عبد أسود إلى أسطحة أدر الحرم السلطانية بقلعة دمشق، فأُمْسِكَ وقُرِّر، فذكر أن أحد المؤذنين بجامع القلعة نصب له سلماً، وأصعده إلى هناك، فطولع السلطان بذلك، فورد المرسوم بقطع أطرافهما وتسميرهما، [ففعل ذلك بهما][٤].

وفيها، في شعبان طلّق الملك المظفر، صاحب حماه، زوجته، وهي ابنة خاله الملك الناصر صلاح الدين يوسف، ابن الملك العزيز محمد، ابن الملك الظاهر غازي، ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فعاب الناس عليه ذلك واستقبحوه منه[٥]. وتوجهت هي من حماه إلى الديار المصرية، فتوفيت بعد وصولها إليها بعشرين يوماً.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٥.
(٢) «صعد إلى القلعة في باب زويلة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٨٠.
(٣) لم يرد هذا الخبر في تاريخ ابن الفرات.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٢.
(٥) انظر ما ورد في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٥.

وفيها، بعد أن توجه السلطان من دمشق إلى الديار المصرية، استعفى القاضي محيي الدين بن النحاس[١]، من مباشرة نظر الدواوين بالشام، فأعفي من ذلك. ورتب في نظر الخزانة عوضاً عن أمين الدين بن هلال. ورتب في نظر الدواوين جمال الدين إبراهيم بن صصري.

وفيها، أفرج السلطان عن الأمير علم الدين سنجر الدواداري، بعد عوده من قلعة الروم، وأمر بإحضاره من الديار المصرية إلى دمشق، فأحضر. فخلع عليه السلطان، واستصحبه معه إلى الديار المصرية وأمَّره.

وفيها، رتب السلطان الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصوري، في تقدمة المماليك [السلطانية][٢].

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وجرمك الناصري ووفاتهما، ووفاة طقصوا والإفراج عن الأمير حسام الدين لاجين

وفي هذه السنة، لما عاد السلطان إلى الديار المصرية، قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير سيف الدين جرمك الناصري، وأمر بإعدامهما، وإعدام طقصوا ولاجين. فكان الذي خنق لاجين، الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، فتلطف به، وانتظر أن تقع به شفاعة. فشفع فيه الأمير بدر الدين بيدرا، فأمر السلطان بالإفراج عنه، وهو يظن أنه قد مات. فسلّمه الله تعالى، لما كان له في طي الغيب ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى. وقيل إن السلطان قبض على سنقر الأشقر من دمشق.

وفيها، في منتصف شهر رمضان، توفي القاضي فتح الدين محمد ابن القاضي محيي الدين عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر، صاحب ديوان الإنشاء. وكانت وفاته بدمشق، ودفن بسفح قاسيون. ومولده في أحد الربيعين، سنة ثمان وثلاثين وستمائة. وكان قد تمكّن في الدولة المنصورية، والدولة الأشرفية تمكناً كثيراً، وتقدم على أبيه وغيره. ولما اعتلّ، رحمه الله، كتب إلى أبيه: [من الكامل]

إن شئْتَ تنظرني وتنظر[٣] حالتي قـابـل إذا هـبّ الـنـسـيـمُ قَـبُـولا

(١) ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣٠.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣٠.

(٣) «تبصرني وتبصر» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣٠.

لـتـراه[١] مـثـل رقـة ولـطـافـة[٢] ولأجـل قـلـبـك لا أقـول عـلـيـلا

وهـو[٣] الـرسـول إلـيـك مـنـي لـيـتـنـي كـنـتُ اتـخـذت مـع الـرسـول سـبـيـلا

ولما مات، أجرى السلطان الملك الأشرف جامكيته وجرايته وراتبه، على ولده القاضي علاء الدين علي، واستقر في جملة كتاب الإنشاء. وَولي صحابة ديوان الإنشاء، بعد وفاة القاضي فتح الدين، القاضي تاج الدين أبو الظاهر أحمد ابن القاضي شرف الدين أبي البركات سعيد بن شمس الدين أبي جعفر محمد بن الأثير الحلبي التنوخي، فلم يلبث إلا شهراً أو قريباً من شهر، وتوفي إلى رحمة الله تعالى. وكانت وفاته، يوم الخميس، تاسع عشر شوال من هذه السنة، بظاهر غزة، ودفن هناك رحمه الله تعالى. وولى بعده صحابة ديوان الإنشاء، ولده القاضي عماد الدين إسماعيل، واستمر إلى آخر سنة اثنين وتسعين وستمائة[٤].

وفيها، في يوم السبت العشرين من شوال، توفي الأمير سابق الدين الميداني بدمشق، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة اثنتين وتسعين وستمائة [٦٩٢ هـ = ١٢٩٢/١٢٩٣ م]

في هذه السنة، في أولها[٥] فوض السلطان نيابة السلطنة بالمملكة الطرابلسية والحصون، إلى الأمير عز الدين أيبك الخزندار المنصوري، عوضاً عن الأمير سيف الدين طغربل[٦] الإيغاني، بحكم استعفائه من النيابة، وسؤاله. فوصل إلى دمشق في سابع عشرين المحرم، وصحبته خمسة أمراء بطبلخاناه، وتوجه إلى جهته.

وفيها، في صفر، حصل ببلاد غزة والرملة ولِد والكرك زلزلة عظيمة، كان معظمها بالكرك، فإنها هدمت ثلاثة أبراج من قلعتها. فندب الأمير علاء الدين أيدغدي الشجاعي من دمشق، وصحبته الصناع لعمارة ما انهدم بالكرك.

وفيها، أمر السلطان بالقبض على الأمير عز الدين أزدمر العلائي، أحد الأمراء

(١) «تلقاه» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣٠.
(٢) «نحافة» في المصدر نفسه: ج ٨، ص ٣٠.
(٣) «فهو» في المصدر نفسه: ج ٨، ص ٣٠.
(٤) راجع تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٤.
(٥) «في أول المحرم» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٨٢.
(٦) «طغريل» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٨٢.

بدمشق: فقُبض عليه،وجهز إلى الأبواب السلطانية في غرة شهر ربيع الأول[١].

ذكر توجه السلطان إلى الصعيد

وفي هذه السنة، توجه السلطان إلى جهة الصعيد للصيد، واستصحب معه الصاحب شمس الدين [ابن السلعوس][٢]، وترك الأمير بدر الدين بيدرا [نائباً عنه][٣] بقلعة الجبل [وهو ضعيف][٤]. وانتهى السلطان إلى مدينة قوص، وتصيد بها. وأمر الحجاب والنقباء أن ينادوا في العسكر أن يتجهزوا لغزو اليمن. ثم عاد السلطان إلى قلعة الجبل.

ولما كشف الصاحب شمس الدين [ابن السلعوس][٥] الوجه القبلي في هذه السفرة، وُجدت الجهات الجارية في ديوان الأمير بدر الدين بيدرا من الإقطاعات والمشتروات والحمايات[٦]، أكثر مما هو جارٍ في الخاص السلطاني. ووجد الشؤون[٧] السلطانية بنواحي الوجه القبلي، خالية من الغلال والحواصل، وشؤون الأمير بدر الدين بيدرا مملوءة. فأنهى ذلك إلى السلطان وأطلعه عليه، فتغير السلطان على بيدرا. واتصل هذا الخبر به، فقصد تلافيه. وجهز للسلطان تقدمة عظيمة، كان من جملتها، خيمة أطلس معدني أحمر، بأطناب إبريسم بأعمدة صندل، محلاة ومفصلة بالفضة المذهبة، وبسطها ببسط الحرير، وما يناسب هذه الخيمة من التقادم. وضرب هذه الخيمة بالعدوية[٨]، فنزل السلطان بها ساعة من نهار، وما أظهر البشاشة للتقدمة، ولا استحسنها مع عظمها. ثم ركب وطلع إلى قلعة الجبل، [وارتجع بعض جهات بيدرا للخاص السلطاني][٩].

---

(١) راجع تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٥.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٣.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٣.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٣.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٦) الحمايات: هي مكوس يفرضها الأمير على بعض الأراضي، والمتاجر والمراكب لحمايتها. القلقشندي: صبح الأعشى. الطبعة المصرية، ج ١٣، ص ١٥٧.

(٧) الشؤون السلطانية: عبارة من مخزن تدعو الحاجة إليه لخزن الغلال والأخشاب والأتبان، وهي بخلاف الأهراء، محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٠٨.

(٨) العدوية: بلدة صغيرة خارج القاهرة، وكانت بالقرب من بركة الحبش، وهي ما بينها وبين طرا على ضفة النيل الغربية، المقريزي: السلوك، ج ١، ٧٨٣، حاشية (١).

(٩) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٤.

ذكر توجه السلطان إلى الشام وأخذ بهسنا من الأرمن، وإضافتها إلى الممالك الإسلامية

وفي هذه السنة، بعد عود السلطان من جهة الصعيد، تجهز بعساكره إلى الشام، وأمر الأمير بدر الدين بيدرا، نائب السلطنة [بالديار المصرية](١)، أن يتوجه بالعساكر إلى دمشق على الطريق الجادة. وتوجه الصاحب شمس الدين [بن السلعوس](٢) بالخزانة إليها، وركب السلطان على الهجن، وفي خدمته جماعة من الأمراء والخاصكية. وتوجه إلى الكرك وشاهد حصنها ورتب أموالها، وتوجه منها إلى دمشق. فكان وصوله إليها، في تاسع جمادى الآخرة. ووصل نائب السلطنة والصاحب قبله بثلاثة أيام.

ولما حلَّ ركابه بدمشق، أمر بتجهيز العساكر إلى بلاد سيس، فوصل رسل صاحب سيس، يسألون مراحم السلطان وعواطفه، ويبذلون له الرغائب. فاتفق الحال على أن يسلموا لنواب السلطان بهسنا ومرعش وتل وحمدون. فأعاد السلطان رسله، وصحبتهم الأمير سيف الدين طوغان والي بر دمشق، فتسلمها وبلادها. ووصل البريد بذلك في العشر الأول من شهر رجب. ودقت البشائر لذلك. ورتب السلطان في نيابة السلطنة ببهسنا(٣)، الأمير بدر الدين بكتاش المنصوري، وعين لها قاضياً خطيباً، واستخدم بها رجالاً وحفظة. ثم وصل الأمير سيف الدين طوغان، وصحبته رسل سيس، بالحمل والتقادم، وكان وصولهم إلى دمشق، في ثامن عشرين شهر رجب بعد عود السلطان، فتوجهوا إلى الديار المصرية.

وهذه بهسنا من أعظم القلاع وأحصنها، ولها ضياع كثيرة. وهي في فم الدربند(٤)، وكانت بيد ملوك الإسلام بحلب، إلى أن ملك هولاكو حلب. وكان النائب بها من جهة الملك الناصر، الأمير سيف الدين العقرب، فأباعها لصاحب سيس، بمائة ألف درهم، أعطاه منها ستين ألف درهم، وتسلمها الأرمن [أهل سيس](٥)، وبقيت في أيديهم إلى الآن(٦).

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٥.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٥.

(٣) بهسنا: قلعة حصينة بقرب مرعش وسُمسياط، وهي من أعمال حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٦١١.

(٤) دَرْبند: هو باب الأبواب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥١١.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٦.

(٦) أمر السلطان التجهيز إلى بهنسا وأخذها من الأرمن أهل سيس، فقد أرسل سيس يطلبون العفو. فاتفق الحال على تسليم بهسنا ثم التسليم. ودقت البشائر واستقر الأمير بدر الدين بكتاش في نيابة بهسنا. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧٨٤.

ذكر القبض على الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وإخوته

وفي هذه السنة، في ثاني من شهر رجب، توجه السلطان من دمشق إلى حمص، بجماعة من العساكر، وأعاد ضعفة العساكر إلى الديار المصرية. ثم توجه السلطان من حمص إلى سلمية، في ضيافة الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى. فلما قَدَّم للسلطان ضيافته، أمر القبض عليه، وعلى إخوته فقبض عليهم[(١)]، وهو على الطعام، وجهَّزه تحت الاحتياط، صحبة الأمير حسام الدين لاجين، فوصل به إلى دمشق، في يوم الأحد سابع شهر رجب. ووصل السلطان إلى دمشق، في بقية النهار. وجعل السلطان إمرة العرب، بعد القبض على مهنا، لابن عمه الأمير محمد بن أبي بكر علي بن حديفة[(٢)]، ثم أمر السلطان الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة، أن يتوجه بالعساكر إلى الديار المصرية، هو والصاحب شمس الدين والخزانة، [كما حضرا من حمص][(٣)]. فتوجها من دمشق في يوم الخميس حادي عشرة شهر رجب. وتوجه السلطان بعدهما، ببعض الأمراء والخاصكية. وركب من دمشق في الساعة السابعة من يوم السبت ثالث عشر الشهر. وأراد بذلك الانفراد بنفسه وخواصه، والانفراد بهم في الصيد، وأن لا يشتغل بالعساكر. ووصل إلى غزة، في بكرة يوم الأربعاء سابع عشر الشهر. ووصل إلى القاهرة في الثامن والعشرين من شهر رجب[(٤)].

ذكر هدم قلعة الشوبك[(٥)]

وفي هذه السنة، في شهر رجب، أمر السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم، أمير خاندار أن يتوجه إلى قلعة الشوبك ويهدمها، وذلك عند توجه السلطان من دمشق إلى حمص. فراجعه في ذلك، وبيَّن له فساد هذا الرأي، فانتهره، فتوجه إليها وهدمها، وأبقى القلعة. وكان هدمها من الخطأ، وسوء التدبير، فإن القلاع والحصون معاقل الإسلام، وذخائر المسلمين، وإليها يلجأون في أوقات الشدائد والحصارات، ومنازلة الأعداء، وهو أمر لا يؤمن[(٦)].

---

(١) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٦.

(٢) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٦.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٧.

(٤) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٧.

(٥) قلعة الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وإيلة القلزم، قرب الكرك، آنذاك. ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج ٢، ص ١٠٣، حاشية (٧).

(٦) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٦.

وبعد عود السلطان [إلى الديار المصرية][١]، رسم السلطان للأمير سيف الدين طوغان، أن يتوجه إلى نيابة السلطنة، بقلعة المسلمين[٢]، عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري. وولى الأمير سيف الدين استدمر كرجي بر دمشق، عوضاً عن طوغان.

ذكر حادثة السيل ببعلبك

وفي هذه السنة، في رجب، وصل كتاب النائب ببعلبك، يخبر أنه وقع على مدينة بعلبك، أمطار وثلوج كثيرة جداً، وأن المطر كان ينزل [وكأنه][٣] قد جبل بطين، وأن السيل وصل إلى باب بعلبك، المسمى بباب دمشق، وعلا حتى وصل إلى شرفات السور. ثم انحدر بعد ذلك، واقتلع كروماً كثيرة، ونقل أحجاراً وصخوراً. وطم أكثر الطرقات، وأنه أحصى ما أفسد ببعلبك، وكانت قيمته تزيد على مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار.

وفيها[٤]، أمر السلطان، بالقبض على الأمير عز الدين أيبك الأفرم، أمير جاندار، فقبض عليه في شوال، ووقعت الحوطة على موجوده وحواصله بالديار المصرية والشام.

ذكر ختان الملك الناصر، وما حصل من الاهتمام بذلك

وفي هذه السنة، أمر السلطان بالاهتمام، لختان أخيه الملك الناصر، ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور، وأن ينصب القبق[٥] تحت قلعة الجبل مما يلي

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٧.

(٢) قلعة المسلمين: وهي المسماة في القديم بقلعة الروم، وهي قلعة من جند قنسرين في البر الغربي الجنوبي من الفرات، في جهة الغرب الشمالي عن حلب على نحو خمس مراحل منها. وفي الغرب عن البيرة على نحو مرحلة، والفرات بذيلها. وهي من القلاع الحصينة، ولها ربض وبساتين، ويمر بها نهر يعرف بمرزبان يصب في الفرات. وقصدها الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون فنزل عليها ولم يزل بها حتى فتحها وسماها قلعة المسلمين. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٢٤.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٧.

(٤) «في شوال من هذه السنة أمر الملك الأشرف» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٧.

(٥) القبق: أو القباق: لفظ تركي معناه بنات القرعة العسلية، وقد أطلق في العربية على الهدف الذي كان مستعملاً في لعب الرماية المعروف باسم القبق أيضاً، وكانت طريقة لعب القبق أن ينصب صارٌ طويل من خشب يكون في رأسه شكل قرعة من ذهب أو فضة بمثابة هدف، ويكون في هذه القرعة طير حمام، ثم يأتي اللاعبون للمباراة في رمي الهدف بالنشاب أو السهام، وهم على ظهور الخيل، فمن أصاب منهم القرعة وأطار الحمام، حاز السباق، وأخذ القرعة المعدنية مكافأه. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٦٨. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٥١٨، حاشية (٦).

باب النصر. فنصب [القبق][(١)] في العشرين من ذي الحجة [الشهر المذكور][(٢)]، ورماه الأمراء والأكابر ومن له ولمثله عادة بذلك. وفرّق السلطان المال والخلع][(٣)] على من أصابه. وكان ممن أصابه الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي النجمي [الذي انتسب للأشرف][(٤)]. فرماه ما لم يرمه غيره قبله. وذلك أنه كان قد اقترح سرجاً وطيء الرادفة جداً. فلما رآه السلطان، قال له قد كبرت يا أمير بدر الدين، فاقترحت هذا السرج. يسهل عليك الركوب. فقال: إن كان المملوك قد كبر، فقد رزقت ستة أولاد، وهم في خدمة السلطان ولم أكن أقترح هذا السرج إلا لأجل القبق. ثم ساق الأمير بدر الدين نحو صاري القبق. والعادة جارية أن الرامي لا يرميه إلا إذا صار بجانب الصاري. فساق إلى أن تعدى الصاري، فما شك الناس أنه فاته الرمي. ثم استلقى على ظهر فرسه، حتى صار رأسه على كفل الفرس، فرماه، وهو كذلك، بعد أن تعداه، فأصاب القرعة وكسرها. فصرخ الناس لذلك واستعظموه، وظهرت للسلطان فائدة السرج، فأمر أن ينعم عليه بما بقي في ذلك الوقت، من المال المرصد للإنعام فأعطيه، وكان خمسة وثلاثين ألف درهم. وخلع عليه، وعظم في صدور الناس، زيادة عما عندهم من تعظيمه. وعلموا عجزهم عن الإتيان بما أتى به، وفعل ما فعله[(٥)].

ثم كان الختان المبارك، في يوم الاثنين، الثاني والعشرين من ذي الحجة. ونثر الأمراء الذهب الكثير في الطشوت حتى امتلأت.

وفيها، في ليلة الثلاثاء حادي عشر صفر، توفي الأمير الصالح شمس الدين أبو البيان، نبا ابن الأمير نور الدين أبي الحسن علي ابن الأمير شجاع الدين هاشم بن حسن بن حسين، أمير جاندار المعروف بابن المِحفَّدار[(٦)] بداره بالروضة، قبالة مصر، بعد أن صلى العشاء الآخرة، بسورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ فلما فرغ من الصلاة، سجد سجدة، فمات في سجدته، وكانت عادته أن يسجد عقيب صلاته، ويدعو الله في سجوده. ودفن من الغد في القرابة بتربته، بقرب تربة الإمام الشافعي. وكان رحمه الله تعالى، ديناً حسن السيرة والوساطة، احتوى على أوصاف جميلة، يثق الملوك

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٧.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٧.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٨.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٨.
(٥) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٨.
(٦) المحفدار: مركب من لفظين، مِحفّة، وهي عبارة عن هودج، ودار ومعناه الممسك. والمحفدار هو الذي يتولى محفّة السلطان أو من يقوم بخدمتها. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤١.

به ويعلمون خيره وديانته، رحمه الله تعالى.

وفيها، في ليلة الأربعاء، ثاني عشر جمادى الآخرة، توفي الملك الزاهر مجير الدين داود[١] ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه، ابن الملك القاهر ناصر الدين محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان، ببستانه المعروف ببستان سامة، بالسهم، ظاهر دمشق، وصلي عليه ظهر يوم الأربعاء بالجامع المظفري، ودفن بتربته بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى. ذكر وفاته الشيخ شمس الدين الجوزي[٢].

وفيها، توفي القاضي محيي الدين[٣] عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر. كانت وفاته بالقاهرة في يوم الأربعاء ثالث رجب الفرد، ودفن بالقرافة[٤]، رحمه الله تعالى. وفضائله وشهرته بالرئاسة والآداب، تغني عن شرح. وقد قدمنا من كلامه في كتابنا هذا، ما يقف عليه في مواضعه، وله شعر رقيق.

فمن شعره قوله:

ما غبت عنك لجفوةٍ وملالِ ... يوماً ولا خطر السلوُّ ببالِي

يا مانعي طيبَ المنامَ ومَانِحِي ... ثوب السقام وتاركي كالالِ

عن من أخذت جواز منعي ريقك المـ ... ـعسول يا ذا المعطف العسال[٥]

عن ثغرك النظّام أم عن شعرك الـ ... ـفحام أم عن جفنك الغزالي

فأجابني أنا مالك شرعَ الهوى ... والحسنُ أضحى شافعي وجَمالي

وشقائق النعمان أينع نبتها ... في وجنتي وحماه رشقُ نبالي

والصبر أحمد للمحبّ إذا ابتلا ... ه الحبُّ في شرع الهوى بسؤال

وعلى أسارى الحبِّ في حكم الهوى ... بين الأنام عرفت القَفّالِ[٦]

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦١.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدم ذكر ولده القاضي فتح الدين في السنة الماضية. ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٢. وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢، ص ١٧٩ ـ ١٨٤. والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣٢. والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٥٤، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٤٢١.

(٤) «ودفن بالقرافة بترتبته التي أنشأها» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣٢.

(٥) «العسالي» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٢.

(٦) «بالعقال» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٢.

وتـفـقَّـه الـعُـشـاق فـيَّ فـكـلَّ مَـنْ نقل[١] الصحيح أجزته[٢] بوصالي

وفيها، في يوم الخميس، سابع عشر شعبان، كانت وفاة قاضي القضاة معز[٣] الدين النعمان بن الحسن بن يوسف، قاضي الحنفية بالديار المصرية، ودفن يوم الجمعة بالقرافة، وولي قضاء الحنفية بعده، قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفي.

وفيها، كانت وفاة الملك الأفضل نور الدين[٤] علي ابن الملك المظفر محمود، وهو عم الملك المظفر ابن الملك المنصور صاحب حماه. وقد تقدم ذكر نسبه في مواضع من كتابنا هذا. وتوفي بدمشق في يوم الاثنين، مستهل ذي الحجة. وصُلِّي عليه بجامعها، في الثالثة من النهار، ونقل لوقته إلى حماه، فدفن بها، رحمه الله، وهو والد الملك المؤيد عماد الدين أسماعيل صاحب حماه في وقتنا هذا[٥].

وفيها، كانت وفاة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف، ابن الملك المسعود صلاح الدين أقيسيس[٦]، ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد، ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، قبل العصر من يوم الخميس، خامس شهر رجب من السنة.

ومولده بالكرك، بعد العشاء الآخرة، من ليلة الأربعاء سادس عشر شوال، سنة تسع وخمسين وستمائة، رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة
[٦٩٣ هـ = ١٢٩٣/١٢٩٤ م]

ذكر مقتل السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون رحمهما الله تعالى

كان مقتله رحمه الله، في يوم السبت ثاني عشر المحرم، سنة ثلاث وتسعين وستمائة. وذلك أنه توجه إلى الصيد بجهة البحيرة. وركب من قلعة الجبل في ثالث المحرم، وعزم على قصد الحمامات الغربية. وتوجه الصاحب شمس الدين [ابن

---

(١) «يقل» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٢.
(٢) في الأصل: أخزنهُ، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٢.
(٣) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٢.
(٤) لم يذكر ابن الفرات هذا الخبر.
(٥) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٣.
(٦) «أقش ابن الملك الكامل» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٣.

السلعوس][١] إلى ثغر الإسكندرية، لتحصيل الأموال، وتجهيز تعابي[٢] الأقمشة. فوجد نواب الأمير بدر الدين بيدرا بالثغر قد استولوا على المتاجر والاستعمالات[٣] وغير ذلك. فكاتب السلطان بذلك، وعرفه أنه لم يجد بالثغر ما يكفي الإطلاقات[٤]، على جاري العادة. فغضب السلطان لذلك غضباً شديداً، واستدعى بيدرا بحضور الأمراء، وأغلظ له في القول، وشتمه وتوعده. فتلطف بيدرا في الجواب حتى خرج من بين يدي السلطان، وجمع أعيان الأمراء من خوشداشتيه، وهم الأمير حسام الدين لاجين، والأمير شمس الدين قراسنقر المنصوريان وغيرهما. فاتفقوا على الوثوب به. وكان السلطان قد أعطى الأمراء الأكابر دستوراً، أن يتوجهوا إلى إقطاعاتهم، وانفرد هو بخاصكيته. وفي أثناء ذلك، ركب السلطان في نفر يسير من مماليكه للصيد بقرب الدهليز، بمنزلة تروجة[٥]، فانتهز بيدرا الفرصة، وركب وصحبته لاجين وقراسنقر وبهادر[٦]، رأس نوبة[٧]، وأقسنقر الحسامي[٨] ونوغيه[٩]، ومحمد خواجا[١٠]، وطرنطاي الساقي، والطنبغا[١١]، ورأس نوبة، ومن انضم إليها. وتوجهوا نحو السلطان، وكان بينهم وبينه مخاضة، فخاضوها وقدموا عليه. فقيل: إن بيدرا ضربه بالسيف، فالتقاه بيده، فلم يعمل

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٢) تعابي: قطع قماش، ولعل المقصود هنا ما يختص بالفارس من المتاع. Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) الاستعمالات: ورد في Dozy. Supp. Dict, Ar لفظ معاملات ومن معانيه أعمال المتاجرة. وهناك لفظ استعمل faire le metier de courtier ومعناه مزاولة مهنة الدلالين. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٨٨، حاشية (٣).

(٤) الإطلاقات: جمع إطلاق. ومعناه «إما تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة، أو ابتداء في معروف أو زيادة في إحسان على ما كان مقرراً، ومن معانيه أيضاً قطعة أرض تمنح وتعفى من جميع أنواب الضرائب. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٦ Dozy. Supp. Dict, Ar..

(٥) تروجة: قرية تابعة لمديرية البحيرة، كانت موجودة إلى القرن التاسع الهجري. ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج ٢، ص ١٠٨، حاشية (٣).

(٦) هو بهادر بن عبد الله التركي يلقب سيف الدين، توفي سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م. تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٧.

(٧) تقدم التعريف به.

(٨) هو أقنسقر بن عبد الله التركي الساقي شمس الدين، توفي سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م. ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٧.

(٩) هو نوغية بن عبد الله التركي السلاح دار سيف الدين، توفي سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م، ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٠.

(١٠) ويلقب ناصر الدين، توفي سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م. ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٩.

(١١) هو الطنبغا عبد الله التركي الجمدار علاء الدين، توفي سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م. ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

عملاً طائلاً. فسبَّه لاجين، وضربه بالسيف ضربة هدلت كتفه، وأخذته السيوف حتى قتل، في التاريخ الذي ذكرناه.

وحكي عن شهاب الدين أحمد بن الأشل، أمير شكار، في كيفية مقتل السلطان، قال: لما رحل[(١)] الدهليز والعسكر، جاء الخبر إلى السلطان أن بتروجة طيراً كثيراً، فساق، وأمرني أن أسوق في خدمته، فسقت معه. وقال لي: عجّل بنا، حتى نسبق الخاصكية. فسقنا فرأينا طيراً كثيراً، فصرع منه بالبندق. ثم التفت إليّ، وقال لي: أنا جيعان، فهل معك ما آكل. فقلت: والله ما معي غير رغيف واحد وفروج في صولقي[(٢)]، ادخرته لنفسي. فقال: ناولنيه، فناولته له، فأكله جميعه. ثم قال لي: امسك فرسي، حتى أنزل أبول. وكنت كثير البسط معه. فقلت: ما فيها حيلة، السلطان راكب حصان، وأما راكب حِجْر، وما يتفقان. فقال لي: انزل أنت، واركب خلفي حتى أنزل أنا.

قال: فنزلت وناولته عنان فرسي، فأمسكه. وركبت خلفه. ثم نزل وقعد على عجزه وبال، وبقي يعبث بذكره، ويمازحني، ثم قام، وركب حصانه، ومسك فرسي حتى ركبت. فبينما أنا وهو نتحدث، وإذا بغبار عظيم قد ثار نحونا. فقال لي السلطان: اكشف لي خبر هذا الغبار، ما هو. قال: فسقت وإذا أنا بالأمير بدر الدين بيدرا والأمراء معه. فسألتهم عن سبب مجيئهم. فلم يكلموني ولا التفتوا إليَّ، وساقوا على حالهم، حتى قربوا من السلطان. فابتدره الأمير بدر الدين بيدرا، وضربه بالسيف، فقطع يده، ثم ضربه لاجين على كتفه فحله، وسقط إلى الأرض، وجاء بهادر، رأس نوبة، فوضع السيف في دبره، [وأتكأ عليه][(٣)] حتى أطلعه من حلقه، واشترك من ذكرنا من الأمراء في قتله[(٤)].

وهذه الحكاية تدل على أن السلطان، كان قد انفرد عن مماليكه، ولم يكن معه غير شهاب الدين أمير شكار، الحاكي، وبقي الملك الأشرف ملقى في المكان، الذي قتل فيه يومين. ثم جاء الأمير عز الدين أيدمر [العجمي][(٥)] متولي تروجة وأهلها إليه، وحملوه إليها في تابوت. وغسلوه في الحمام وكفنوه، وجعلوه في تابوت، ووضعوه في

---

(١) في الأصل: «دخل» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٧.

(٢) الصولق: الجمع صوالق، والصولق عبارة عن حقيبة كبيرة يعلّقها المملوك في الجانب الأيمن من حياصته التي يشدها على وسطه، ويثبت فيها منديل. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٢٤، عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ج ١، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٨.

(٤) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٨٨ ـ ٧٩١.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٨، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩٠.

بيت المال، في دار الولاية بتروجة، إلى أن حضر من القاهرة الأمير سيف الدين كوجبا الناصري، فنقله في تابوته إلى تربته، التي أنشأها بظاهر القاهرة، بجوار مشهد السيدة نفيسة، ودفن بها في سحر يوم الخميس[١] الثاني والعشرين من صفر، من هذه السنة. وكانت مدة سلطنته، ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام.

وكان رحمه الله تعالى، ملكاً شجاعاً كريماً، خفيف الركاب، مظفراً في حروبه. ولم يخلف ولداً ذكراً. وإنما مات عن بنتين، وزوجته أردكين أمهما ابنة الأمير سيف الدين نوكيه. وورثه معهن أخواه السلطان الملك الناصر، ودار مختار الجوهري.

ذكر خبر الأمير بدر الدين بيدرا[٢]
ومن معه من الأمراء الذين وافقوه، وما كان منهم، ومقتل بيدرا

قال[٣]: ولما قتل السلطان الملك الأشرف، عاد الأمير بدر الدين بيدرا، ومن معه الأمراء إلى الوطاق. فتقرر بينهم أن السلطنة تكون لبيدرا، ولقب بالملك القاهر، وقيل الملك الأوحد[٤]. ثم ركبوا وقبضوا على الأمير بدر الدين بيسري، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، أمير جاندار، وقصدوا قتلهما، فشفع فيهما بعض الأمراء. وكان بالدهليز السلطاني من الأمراء: الأمير سيف الدين برلغي[٥]، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار، والأمير بدر الدين بكتوت العلائي، وجماعة من المماليك السلطانية. فركبوا في آثار بيدرا ومن معه. وكان الأمير زين الدين كتبغا المنصوري في الصيد، فبلغه الخبر، فلحق بهم. وجدوا في طلب بيدرا ومن معه. فلحقوه على الطرانة[٦]، فلما التقى الجمعان، أطلق بيدرا الأميرين اللذين كان قد قبض عليهما، ليكونا عوناً له، فكانا عوناً عليه.

وتقدم الأمراء، وحملوا على بيدرا حملة منكرة، فانهزم هو ومن معه، فأدركوه فقتل. وهرب لاجين وقراسنقر، فدخلا القاهرة واختفيا بها، ثم ظهرا بعد ذلك، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) «الجمعة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٨.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) يشير النويري إلى المصدر الذي أخذ عنه، ولم ترد هذه الإشارة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٩.
(٤) تلقب بالملك الرحيم في الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١١١.
(٥) «برغلي» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٩، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩١.
(٦) الطَّرانة: هي اليوم قرية صغيرة واقعة على الشاطىء الغربي لفرع النيل الغربي. فرع رشيد، ضمن قرى مركز حمادة بمديرية البحيرة، محمد رمزي: القاموس الجغرافي. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٤، حاشية (٣).

وحكى الأمير سيف الدين أبو بكر بن الجمقدار[١]، نائب أمير جاندار. قال: أرسلني السلطان أول النهار، إلى الأمير بدر الدين بيدرا، أن يتوجه في تلك الساعة، بالعسكر، ويسوق تحت الصناجق، فأتيته فأخبرته بما أمر به السلطان، فنفر [في وجهي][٢]، وقال: السمع والطاعة. ثم قال: لم يستعجلني؟ ورأيت في وجهه أثر الغيظ والغضب، وما لم أعهده منه. ثم تركته، وتوجهت إلى الزردخاناه وحملتها، وحملت ثقلي، وتوجهت أنا ورفيقي الأمير صارم الدين [الفخري][٣] والأمير ركن الدين [بيبرس][٤] أمير جاندار. فبينما نحن سائرون عند الماء، إذ نحن بنجاب سائق، فأخبرنا بمقتل السلطان فتحيرنا في أمرنا، وإذا بالصناجق السلطانية قد لاحت وقربت. والأمير بدر الدين [بيدرا][٥] تحتها، والأمراء محدقون به، فتقدمنا وسلمنا وعليه. فقال له الأمير ركن الدين بيبرس، أمير جاندار، يا خوند، هذا الذي فعلته كان بمشورة الأمراء. فقال: نعم، أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم، وها كلهم حاضرون. وكان من جملة من معه، الأمير حسام الدين لاجين، والأمير شمس الدين قراسنقر، والأمير بدر الدين بيسري، وأكثر الأمراء سائقون معه. ثم شرع يعدد مساوىء السلطان [الأشرف][٦] ومخازيه، واستهتاره بالأمراء، ومماليك أبيه، وإهماله لأمور المسلمين، ووزارته ابن السلعوس ونفور الأمراء منه لمسكه الأمير عز الدين الأفرم، وقتله من قتل من الأمراء الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، وطقصوا [وغيرهما][٧]. قال: ثم سألنا، هل رأيتم الأمير زين الدين[٨] كتبغا؟ قلنا: لا. فقال له بعض الأمراء: يا خوند، هل كان عنده علم من هذا الأمر الذي وقع؟ فقال: نعم، وهو أول من أشار به. فلما كان في اليوم الثاني، إذا نحن بالأمير زين الدين كتبغا، قد جاء في طُلْب كبير، فيه من المماليك السلطلانية نحو ألفي فارس، وجماعة من العسكر والحلقة، والأمير حسام الدين أستاذ الدار؛ فالتقوه بالطرانة في يوم الأحد أول النهار. ففوّق الأمير زين الدين كتبغا نحو بيدار سهماً، وقال له يا بيدرا، أين السلطان. ثم رماه به، ورمى جميع من معه. فقتل بيدرا، وتفرق جمعه.

---

(١) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٧، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩٢.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٧.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٧.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٧.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٠.
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٠.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٠.
(٨) في الأصل: ركن الدين، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٠.

وكانت الإشارة أن أصحاب كتبغا، شدوا مناديلهم من رقابهم إلى تحت أباطهم، ليعرفوا من غيرهم، ثم حمل رأس بيدرا إلى القاهرة(١)، وطيف به(٢). هذا ما كان من خبر مقتل بيدرا.

ولما قتل السلطان، كان الأمير علم الدين سنجر الشجاعي نائب السلطنة، بقلعة الجبل، فاحترز على المعادي، وأمر أهلها أن لا يعدّوا بأحد من الجند من بر الجيزة إلى ساحل مصر. ثم حضر الأمراء الذين قتلوا بيدرا، وهم الأمير زين الدين كتبغا. والأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والأمير سيف الدين برلغي، والأمراء الخاصكية، وهم الأمير سيف الدين طغجي، والأمير عز الدين طقطاي، والأمير سيف الدين قطبية، وغيرهم من المماليك السلطانية، فراسلوا الأمير علم الدين [سنجر](٣) الشجاعي في طلب المعادي، فأرسلها إليهم. فعدّوا بجملتهم، وطلعوا إلى القلعة. واجتمعوا واتفقوا كلهم مع الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، على أن تكون السلطنة، للسلطان ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور. فنصبوه في السلطنة، وكان ما نذكره.

---

(١) «علّق رأسه بهادر على باب داره الملاصقة لمشهد الحسين بالقاهرة»، في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٩.

(٢) انظر ما ورد في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٠، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩٢.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

ذكر أخبار السلطان الملك الناصر، ناصر الدين محمد[1]، ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي

وهو التاسع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية، وأمُّه أشلُون خاتون ابنة سكناي[2] بن قراجين بن جنكاي[3] نوين، ملك الديار المصرية والممالك الشامية والساحلية والحلبية والفراتية، وغير ذلك مما هو مضاف إلى هذه الممالك من القلاع والحصون والثغور والأعمال.

وجلس على تخت السلطنة بالديار المصرية، بقلعة الجبل، بعد مقتل أخيه، السلطان الملك الأشرف، صلاح الدين خليل، وذلك في[4] رابع عشر المحرم، سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وعمره يومذاك تسع سنين سواء، فإن مولده في يوم السبت، خامس عشر المحرم، سنة أربع وثمانين وستمائة كما تقدم، وذلك باتفاق الأمراء المنصورية، ومن بقي من الأمراء الصالحية النجمية وغيرهم، وإجماعهم على سلطنته.

واستقر أن يكون الأمير زين الدين كَتبُغا المنصوري، نائب السلطنة الشريفة، والأمير علم الدين سَنْجَر الشجاعي وزير الدولة ومدبّرها، والأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار، وأعطي إمرة مائة فارس وتقدمة ألف. وجعل إليه أمر ديوان الإنشاء في المكاتبات والأجوبة والبريد. وحصلت النفقة في العساكر، واستُحْلِفوا للسلطان الملك الناصر، فحلفوا بأجمعهم.

---

(١) ترجمته وأخباره في السلوك، ج ١، ص ٧٩٣، وخطط المقريزي ج٢، ص ٢٣٩ (دار صادر بيروت)؛ وبدائع الزهور لابن إياس ج ١، ص ٣٧٨، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١١٤، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٢؛ وفوات الوفيات ج ٤، ص ٣٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٦، ص، ١٣٤؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣٥.

(٢) «سكباي» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٢.

(٣) «جنكان» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٢.

(٤) «يوم الاثنين وقيل يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٣٥.

هذا ما كان بالديار المصرية ومقر السلطنة.

وأما بالشام، فإنه كُتِب عن السلطان الملك الأشرف كتاب إلى نائب السلطنة بدمشق، وجهز مع الأمير سيف الدين ساطلمش، وسيف الدين بهادر التتاري. فوصلا به إلى دمشق، في يوم الجمعة رابع عشرين المحرم من هذه السنة. ومضمونه: أنا قد استنبنا أخانا، الملك الناصر، ناصر الدين محمداً، وجعلناه ولي عهدنا. حتى إذا توجهنا إلى لقاء عدوّ، يكون لنا من يخلفنا. ورسم فيه، أن يحلف الناس له، ويقرون اسمه باسم السلطان(١) في الخطبة. فجمع نائب السلطنة الأمير عز الدين أيبك الحموي الظاهري الأمراء والمقدمين والقضاة والأعيان، وحلفوا [على](٢) ذلك. وخطب له في يوم الجمعة هذا بولاية العهد، بعد الملك الأشرف. وكان ذلك بتدبير الأمير علم الدين الشجاعي. واستمر الحال على ذلك، والخطبة للملك الأشرف [ثم](٣) من بعده لأخيه الملك الناصر، بولاية العهد، إلى حادي عشر شهر بيع الأول، فورد المثال السلطاني الناصري بالخطبة له استقلالاً بالسلطنة. فخطب له في دمشق، في يوم الجمعة، الحادي عشر، من الشهر المذكور. وورد البريد إلى الشام، بإيقاع الحوطة على موجود الأمير حسام الدين لاجين، والأمير شمس الدين قراسنقر، والأمير بدر الدين بيدرا وغيرهم من الأمراء أصحاب بيدرا في اليوم الثامن من ورود المرسوم الأول بالخطبة للسلطان بولاية العهد، فوقعت الحوطة على موجودهم وحواصلهم.

ذكر خبر الأمراء الذين وافقوا بيدرا على قتل السلطان الملك الأشرف

لما استقر الحال في سلطنة السلطان الملك الناصر، أمر بطلب الأمراء الذين وافقوا بيدرا على قتل أخيه الملك الأشرف. فأول من وجد منهم. الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة، والأمير جمال الدين آقش الموصلي الحاجب، فضربت رقبتاهما وأحرقت بالمجاير(٤). ثم حصل الظفر بعدهما بسبعة من الأمراء(٥) وهم: طرنطاي الساقي، [وسيف الدين](٦) الناق [الساقي](٧) الحسامي [ويقال له عناق](٨) السلاح دار،

(١) «باسم الملك الأشرف» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٢.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.
(٤) المجاير: جمع جيارة، وهي الفرن. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩٥.
(٥) «وذلك في العشرين من المحرم سنة ٦٩٣ هـ» تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.
(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.

و[سيف الدين][(١)] أروس [الحسامي][(٢)] السلاح دار، و[شمس الدين][(٣)] أقسنقر الحسامي، و[علاء الدين][(٤)] الطنبغا الجمدار، وناصر الدين[(٥)] محمد خواجا، فاعتقلوا بخزانة البنود[(٦)]. وكان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، يتوجه إليهم ويعاقبهم، ويقررهم على من باطنهم. واستمر ذلك في إلى يوم الاثنين خامس صفر، ثم قطعت أيديهم وأرجلهم، وسمروا على الجمال، وطيف بهم، وأيديهم في أعناقهم، وماتوا شر ميتة. ثم وجدوا بعد قجقر الساقي، فشنق في سوق الخيل. وأما الأمير حسام الدين لاجين، والأمير شمس الدين قراسنقر، فإنهما هربا واختفيا. وكان من أمرهما، ما نذكره إن شاء الله تعالى. هذا ما كان من أمر هؤلاء.

ذكر أخبار الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس الوزير[(٧)] وما كان من أمره، منذ فارق السلطان الملك الأشرف إلى أن مات تحت العقوبة[(٨)]

كان الصاحب شمس الدين المذكور، قد توجه إلى ثغر الإسكندرية كما ذكرنا، وطالع السلطان في حق الأمير بدر الدين بيدرا، بما أوجب هذه الفتنة العظيمة. ولما

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣ والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩٥.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩٥.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٣.

(٦) خزانة البنود: كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية. بناها الخليفة الظاهر بين قصر الشوك وباب العيد لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام، عدا أنواع السلاح والآلات الحربية. وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع، وبها مدرسة لتعليم مماليك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة، والمسابقة، ثم احترقت تلك الخزانة بما فيها من أنواع المتاع سنة ٤٦١ هـ/ ١٠٦٨ م. وجعلت بعد هذا الحريق حبساً للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت دولة الفاطمية، واتخذها ملوك ابن أيوب أيضاً سجناً للأمراء، ثم جعلوها منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية، وظلت مخصصة لذلك الغرض زمن دولة المماليك حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١١٧، المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٩٥، حاشية (٤).

(٧) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٤.

(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٤.

وصل الصاحب[١] إلى الإسكندرية، ضيق على أهل الثغر، وشدّد عليهم الطلب، وعزم على مصادرة أعيانهم، وذوي الأموال منهم. وأمر بإيجاد مقارع لعقوبة أهل الثغر. فبقي الناس من ذلك في شدة عظيمة، لا يرجون خلاصاً إلا ببذل الأموال والأبشار؛ وأهان متولي الثغر.

فبينما الناس على مثل ذلك، إذ وقعت بطاقة لمتولي الثغر، في عشية النهار، تتضمن خبر مقتل السلطان. فكتمها المتولي عن الصاحب وغيره، وصبر إلى أن دخل الليل، وجاء إلى باب الصاحب، واستأذن عليه، فأذن له، فوقف بين يديه على عادته. فقال له الصاحب ما الذي جاء بك في هذا الوقت، هل ظهرت لك مصلحة يعود نفعها؟ فقال: يا مولانا، لم يخف عن علمك أن أهل هذا الثغر غزاة مرابطون، وما قصد أحد أذاهم، فتم له مقصوده، والذي يراه المملوك، أن يحسن مولانا إليهم، ويطيب خواطرهم، ويفرج عنهم ـ [هذا اللفظ أو معناه][٢] ـ فسبه الصاحب أقبح سب. وهم أن يوقع به، والوالي لا يزيده أن يقول: مولانا يروض نفسه، فلا فائدة في هذا الحرج. والصاحب يزيد في سبه، والإغلاظ له، ويتعجب من إقدامه على مخاطبته بمثل هذه الألفاظ. فلما أفرط الصاحب في سبه، وزاد به الحرج، تقدم إليه بالبطاقة. وقال: يقف مولانا على هذا. فلما قرأها، سقط في يده، وخاطبه بياخوند. فقال له المتولي: ما الذي تختار. فقال: الخروج من هذه الساعة. فلم يؤاخذه المتولي، بما صدر منه في حقه وفتح له باب المدينة، وأخرجه وعرض عليه أن يجهز معه من يوصله القاهرة فامتنع. وخرج من الثغر في ليلته. ولو أصبح به لقتله أهله. واستمر به السير إلى أن وصل إلى القاهرة ليلاً. فبات بزاوية[٣] الشيخ جمال الدين ابن الظاهري، ولم ينم في معظم الليل. وركب بكرة النهار من الزاوية، وجاء إلى داره، وهو على حاله وهيئته. وحضر السلام عليه القضاة وأعيان الدولة ونظارها. فعاملهم بما كان يعاملهم به من الكبر، وعدم القيام لأكابرهم. ثم استشار بعض الناس فيما يفعل. فأشار بعضهم عليه، بالاختفاء إلى أن

---

(١) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٥.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٥.

(٣) هذه الزاوية خارج باب البحر، ظاهر القاهرة عند حمام طرغاي على الخليج الناصري، الذي حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون، فلما انحسر هذا الخليج عن ساحل المقس صارت هذه الزاوية تشرف عليه، وكانت أولاً تشرف على بحر النيل الأعظم. وتنتمي هذه الزاوية إلى أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس جمال الدين الظاهري. وكان أبوه عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازي، وبرع حتى صار إماماً حافظاً، مات سنة ٦٩٦ هـ بالقاهرة، ودفن بتربته خارج باب النصر. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٧٩٧، حاشية (١).

تسكن هذه الفتنة، وتستقر القاعدة، فقال هذا لا نفعله ولا نرضاه لعامل من عمالنا. فكيف نختاره لأنفسنا. واستمر على ذلك خمسة أيام.

وكانت رسالة دور السلطان الملك الأشرف قد خرجت إلى الأمير زين الدين كتبغا، مضمونها الشفاعة في أمره، وأنه لا يؤذي. وذكروه بمحبة السلطان له. وأنهم إنما قاموا في طلب ثأر السلطان، وقتل أعدائه. [وما][١] هذا فهو أخلص أولياء السلطان بخدمته، وأدومهم على طاعته ـ هذا اللفظ أو معناه ـ، فسكن أمره في هذه الأيام الخمسة الماضية، فغضب الأمير علم الدين الشجاعي، واجتمع بالأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة وغيره من أكابر الأمراء. وقال: هذا الصاحب هو الذي أوقع بين السلطان ومماليكه وأمرائه ونائبه. وإنما قُتل السلطان بسبب هذا، فاتّبع رأيه فيه.

فلما كان في اليوم السادس، وهو اليوم الثاني والعشرين من المحرم، طلع الصاحب شمس الدين [ابن السلعوس][٢] إلى قلعة الجبل، فحضر إلى الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة، فسلّمه للأمير علم الدين الشجاعي، فسلّمه الشجاعي للأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري، وكان من أعدائه، ليطالبه بأموال فضربه ضرباً شديداً. فأنكر عليه الأمير علم الدين، ثم سيّره إلى الأمير بدر الدين المسعودي، شاد الدواوين، وهو نشو ابن السلعوس، فإنه كان قد طلب من دمشق للمصادرة، لما قتل مخدومه الأمير حسام الدين طرنطاي، وكان يتولى ديوانه بالشام، فأحسن الصاحب إليه، وأفرج عنه، وولاه شد الدواوين بالديار المصرية، فلما سلّم إليه، عاقبه واستصفى أمواله. وكان يجلس لمصادرته وعقوبته في المدرسة الصاحبية[٣] التي بسويقة الصاحب بالقاهرة. ولم يزل يعاقبه إلى أن مات تحت الضرب، وقيل إنه ضرب بعد موته، ثلاثة عشر مقرعة، ولم يعلم أنه مات. وكانت وفاته في يوم السبت عاشر صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة، ودفن بالقرافة[٤].

ذكر الخلف الواقع بين الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وزين الدين كتبغا، ومقتل الشجاعي

كان الأمير علم الدين الشجاعي قد استمر في الوزارة وتدبير الدولة. وأحكم

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٦.

(٣) تنسب هذه المدرسة إلى الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر وزير السلطان العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب. المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧٩٧، حاشية (٢).

(٤) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٨، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩٦ ـ ٧٩٧.

أمرها، وهابه الناس وقويت نفسه، وأراد أن يستبد بالأمر، وشرع في أعمال الحيلة والتدبير على قبض الأمير زين الدين كتبغا، [وجماعة من الأمراء][١]. فلما كان في يوم الخميس، ثاني عشرين صفر، من هذه السنة، اجتمع الأمراء بمساطب باب القلعة على العادة، ينتظرون فتح باب القلعة، ليركبوا في خدمة الأمير زين الدين كتبغا، نائب السلطنة في الموكب [على جاري العادة][٢]. فلم يشعروا إلا وقد خرجت رسالة على لسان الأمير جاندار، يطلب جماعة من الأمراء، وهم سيف الدين قبجاق، وبدر الدين عبد الله السلاح دار، وسيف الدين قبلاي، وركن الدين عمر [السلاح دار][٣] أخوتمر، وسيف الدين كرجي، وسيف الدين طرقجي، فدخلوا إلى الخدمة السلطانية. وقام [بقية][٤] الأمراء للركوب، فبينما هم يسيرون تحت القلعة، بالميدان الأسود، جاء اثنان من ألزام الأمير علم الدين الشجاعي، وهما الأمير سيف الدين قنغر، وولده حاروشي[٥]. فأخبرا الأمير زين الدين كتبغا أن الأمراء الذين استدعوا اعتقلوا، وأن الشجاعي قد دبّر الحيلة عليك وعلى الأمراء، إذا طلعتم إلى القلعة، ودخلتم إلى الخوان أن يقبض عليكم. فعرّف كتبغا الأمراء الذين معه في المواكب الصورة. فتوقفوا عن الطلوع إلى القلعة، وتوهموا أن الشجاعي اتفق مع الأمراء المنصورية والأمراء البرجية، والمماليك السلطانية. وكان بالموكب الأمير ركن الدّين بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار[٦]، والأمير سيف الدين برلغي، أمير مجلس[٧]، فأمسكوهما في الموكب، وأرسلوهما إلى ثغر الإسكندرية.

وأخبرني الأمير ركن الدين[٨] بيبرس، في ليلة الثامن من شوال سنة سبع وسبعمائة، أنه ضرب على رأسه بدبوس، وأراني[٩] أثر الضربة.

وكان قد ذكر لي ذلك، في أثناء ذكره السالف خدمة السلطان، وما لقيه وقاساه.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٩.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٩.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧٩. والسلاح دار هو المنوط بحمل سلاح السلطان أو الأمير.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٠.
(٥) «جاورجي» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٠، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧٩٩.
(٦) استاذ الدار: تقدم التعريف به.
(٧) أمير مجلس: تقدم التعريف به.
(٨) هو بيبرس الدوادار صاحب كتاب زبدة الفكرة. تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٠.
(٩) «ولم يزل أثر الضربة في رأسه» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٠.

ولما أمسكا، حصلت مفاوضة بين الأمير علم الدين سنجر البندقداري، وبين الأمير زين الدين كتبغا. فقال البندقداري له: أين لاجين، أحضره، فقال: ما هو عندي. فقال: بل هو عندك، فجرد البندقداري سيفه ليضرب به كتبغا، فضربه بدر الدين بكتوب الأزرق، مملوك كتبغا بسيفه، حل كتفه ثم ألقوه عن فرسه، وذبح بسوق الخيل.

وتوجه الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء، إلى الباب المحروق وخرجوا منه ونزلوا بظاهر السور، وأمروا مماليكهم وألزامهم وأجنادهم أن يلبسوا عددهم، وأرسل الأمير زين الدين كتبغا نقباء الحلقة، وطلب المقدمين فحضروا إليه، وأرسل السلطان [الملك الناصر][1]، في طلب الأمير علم الدين الشجاعي. وقال: إن هذا قد انفرد برأيه في القبض على الأمراء. وبلغنا عنه ما أنكرناه. ونختار حضوره ليحاقق عما نقل عنه. فامتنع عن الحضور. ثم طلع السلطان على البرج الأحمر، وتراءى للأمراء، فنزلوا وقبلوا الأرض من مواقفهم[2]. وقالوا: نحن مماليك السلطان، ولم نخلع يداً عن طاعة، وليس قصدنا إلا حفظ نظام الدولة، واتفاق الكلمة، وإزالة أسباب المضار والفساد عن المملكة. واستمر الحصار سبعة أيام، وكان الشجاعي ينزل إليهم، ويناوشهم القتال ومعه طائفة من الأمراء وهم: الأمير سيف الدين بكتمر، السلاح دار، وسيف الدين طغجي، وجماعة من المماليك السلطانية، ثم فارقه الأمراء والمماليك، فكانوا يتسللون عشرة عشرة. قلنا رأى حاله انتهت إلى هذه الغاية، قال: إن كنت أنت الغريم، فأنا أتوجه إلى الحبس طوعاً مني، وأبرأ إلى الأمراء مما نقل إليهم عني. وحضر باب الستارة السلطانية، وحلَّ سيفه بيده، وذهب نحو البرج. وتوجه معه الأمير سيف الدين الأقوش، والأمير سيف الدين صمغار، ليحبساه بالبرج الجواني. فوثب عليه مملوك الأقوش، فقتله وحز رأسه. وأنزلوه إلى الأمير زين الدين كتبغا، وقد لُفَّ في بقجة. فأمر بأن يطاف برأسه القاهرة ومصر، وظواهرهما. فطاف به المشاعلية على رمح، وأشهروا[3] قتله، ثم طلع الأمير زين الدين كتبغا والأمراء إلى القلعة، في يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر، وأفرج عن الأمراء الذين اعتقلوا. وجددت الأيمان، وأنزل من كان بالأبراج والطباق، من المماليك السلطانية، الذين اتهموا بهذه الفتنة، فأُسْكِنَت طائفة منهم في مناظر الكبش، وطائفة في دار الوزارة، وطائفة في الميدان الصالحي والميدان

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨١.
(٢) في الأصل: «موافقتهم» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨١.
(٣) في الأصل: «واشتهروا» والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٣، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٠١.

الظاهري. واعتقل منهم جماعة. وكان من خبرهم، بعد ذلك، ما نذكره في سنة أربع وتسعين وستمائة.

ذكر عدة حوادث كانت في سنة ثلاث وتسعين وستمائة خلاف ما قدمناه، من ولاية وعزل وغير ذلك، والوفيات

في هذه السنة، في تاسع عشر صفر، عزل قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي عن القضاء بالديار المصرية. وأعيد قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمٰن ابن بنت الأعز إلى القضاء. واستقر قاضي القضاة بدر الدين في تدريس مدرسة الشافعي ومشهد الحسين. فلم يزل كذلك، إلى أن توفي قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الخُوييّ قاضي القضاة الشافعي بدمشق. وكانت وفاته بدمشق في يوم الخميس، خامس عشر، شهر رمضان من هذه السنة. ومولده في رابع عشرين شوال سنة ست وعشرين وستمائة، وقيل: في رجب من السنة. ففوض الملك الناصر [محمد بن قلاوون][1]، القضاء بعد وفاته لقاضي القضاة، بدر الدين بن جماعة، فتوجه إلى الشام. وكان وصوله إلى دمشق في رابع عشر ذي الحجة من السنة.

وفيها[2]، في تاسع عشرين صفر فوّضت الوزارة للصاحب الوزير تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين محمد ابن الصاحب الوزير بهاء الدين علي، المعروف بابن حنا. وفوضت وزارة الصحبة، لابن عمه الصاحب عز الدين ابن الصاحب محيي الدين ابن الصاحب بهاء الدين، وكانا يجلسان جميعاً في شباك الوزارة، ويوقع الصاحب تاج الدين.

وفيها، في سلخ صفر، أفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي. وكان الملك الأشرف قد اعتقله، في يوم السبت ثاني شوال، سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

وفيها، في يوم عيد الفطر أول يوم من شوال [من هذه السنة][3]، ظهر الأمير حسام الدين لاجين [الصغير][4]، والأمير شمس الدين قراسنقر المنصوريان، من الاستتار[5]، وكانا عند هربهما، أطلعا الأمير سيف الدين بتخاص الزيني، مملوك كتبغا

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٥.
(٢) «يوم الخميس» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٣.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٤.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٤.
(٥) الاستتار: أي الاختباء، الاختفاء. محيط المحيط.

على حالهما. فأعلم أستاذه بهما، وتطلف في أمرهما. فتحدث الأمير زين الدين كتبغا مع السلطان، فعفا عنهما، وأمَّرهما كما كانا أول مرة. وتلطَّف كتبغا في إظهار لاجين تلطفاً حسناً. وهو أنه تحدث مع الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، أمير سلاح في إحضاره. فركب معه، ووقف تحت قلعة الجبل، ولم يزل إلى أن أذن له، وأصلح بينه وبين الأمراء والمماليك السلطانية، وزال ما بينهم من الوحشة، وكان كتبغا في أمر لاجين، كالباحث عن حتفه بظلفه[١]. فإنه فعل معه، ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة، قصر النيل عن العادة [إلى الغاية][٢]، فلم يوف ستة عشر [ذراعاً][٣]، وانتهت زيادته إلى خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع. فارتفعت بسبب ذلك الأسعار [في الغلال][٤]. وكان من الغلاء ما نذكره بعد.

وفي هذه السنة، في رابع عشرين ربيع الأول، كانت وفاة الملك شهاب الدين غازي ابن الملك المعز مجير الدين يعقوب ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، بداره بالخور بدمشق، ودفن بتربتهم بقاسيون، رحمهم الله تعالى.

وفيها، كانت وفاة الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان[٥] الأسعردي. وقد قدمنا ذكر وزارته مرة بعد أخرى. وكان إذ عزل عن الوزارة، أخذ دواته وعاد إلى ديوان الإنشاء، وكتب من جملة الكتاب. وأصله من المعدن[٦]، من أعمال أسعرد[٧]. فلما فتح الملك الكامل آمد[٨]، كان ابن لقمان يكتب على عرصة الغلة، وينوب عن ناظر البيوت بها. وكان بهاء الدين زهير، صاحب ديوان الإنشاء للملك الكامل، وبعده للملك الصالح، وهو يومئذٍ وزير الصحبة. فكانوا يستدعون من صاحب أسعرد أصنافاً، فتأتي الرسائل بالأصناف بخط ابن لقمان، فتعرض على بهاء الدين زهير، فيعجبه خطه

---

(١) الظّلف: يقال رِجل الإنسان وقدمه. ابن منظور: لسان العرب (ظلف).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٥.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٥.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٥.

(٥) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٦.

(٦) المعدن: بلد بأرمينية قرب منبع نهر دجلة، نسبة إلى مناجم النحاس والحديد الموجودة، بالقرب منها. Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٧) اسعرد: في الأصل سعرد. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٦، وردت أيضاً اسعرت، وسعرت. وهي مدينة واقعة على نهر الرزم الذي ينبع من بحيرة وان بأرمينية، ويلتقي بنهر دجلة. ليسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٨) آمد: هي أعظم مدن ديار بكر. وصفها ياقوت بأنها أجل هذه الديار قدراً وأشهرها ذكراً. معجم البلدان، ج ١، ص ٧٦.

وعبارته. فطلبه فحضر إلى خدمته، وتحدث معه، فأعجبه كلامه، وسأله عن جامكيته. فقال دون دينارين في الجهتين، فعرض عليه أن يسافر صحبته [إلى الديار المصرية][١]، فأجاب إلى ذلك. وسر به، فاستصحبه معه، وناب عنه بديوان الإنشاء إلى الأيام الصالحية. ثم استقل بعد ذلك بصحابة ديوان الإنشاء، ووزر كما تقدم. ولما انفصل من الوزارة [قال][٢]: جاءت فما كثَّرت، وراحت فما أثَّرت. وله نظم حسن، وقد قدمنا ذكر شيء من كلامه، رحمه الله تعالى.

وفيها، في يوم الخميس، منتصف جمادى الآخرة، توفي الأمير بدر الدين[٣] بكتوت العلائي، وكانت وفاته بالقاهرة. وقد عظم شأنه، وسمت همته، حتى تعرض لطلب بعض الأكابر الأمراء الخاصكية الأشرفية مقدمي الألوف. فيقال إنه سُقي سماً فمات، سامحه الله تعالى.

وفيها، في يوم الخميس، خامس شعبان، توفِّي الملك الحافظ غياث الدين[٤] أبو عبد الله محمد ابن الملك السعيد معين الدين بن شاهانشاه ابن الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهانشاه بن أيوب، وصُلِّي عليه بعد صلاة الجمعة بجامع دمشق، ودفن بتربة ابن المقدم، بمقبرة باب الفراديس، رحمه الله.

واستهلت سنة أربع وتسعين وستمائة
[٦٩٤ هـ = ١٢٩٤/١٢٩٥ م]

ذكر الفتنة التي قصد المماليك السلطانية إثارتها

لما كان في ليلة [الأربعاء][٥] العاشر من المحرم، من هذه السنة، تجمعت المماليك السلطانية[٦] الذين في الكبش، ومناظر الموادين، وحرقوا باب السعادة، ودخلوا منه إلى المدينة. وطلبوا خوشداشيتهم [المعتقلين بها][٧]، الذين بدار الوزارة،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٦.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٦.
(٣) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٨.
(٤) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٩.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩١.
(٦) «المماليك الأشرفية» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٠٥، وفي تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩١.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩١.

للركوب معهم، فما أجابوهم لذلك. فكسروا خزانة البنود، وأخرجوا من كان بها من خوشداشيتهم، ونهبوا الإسطبلات التي تحت القلعة. وركبوا الخيول، وداروا عليها تحت القلعة، من جهة سوق الخيل، طول الليل. فلما كان من الغد، ركب الأمراء الذين في القلعة وقصدوهم، وتصافّوا واقتتلوا يسيراً. ثم جاء الأمير سيف الدين الحاج بهادر، السلاح دار، الحلبي، وهو يومئذٍ أمير حاجب، فهزمهم فتفرّقوا في ضواحي القاهرة وشوارعها، فأُخذوا وجِيء بهم. وجلس الأمير زين الدين[1] كتبغا بباب القلعة، وضربت رقاب بعضهم بين يديه[2]، وفرق بعضهم على الأمراء، وغرَّق بعضهم سراً. وكانت هذه الحادثة سبباً لحركة الأمير زين الدين وركوبه في السلطنة.

---

(١) في الأصل: ركن الدين، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٢.

(٢) ذكر ابن الفرات تفاصيل هذه الحادثة قال: «وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم، وأكحل بعضهم وكقطع الستة بعضهم وصلب منهم جماعة على باب زويلا أحد أبواب القاهرة المحروسة ونفى بعضهم» تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٢.

ذكر سلطنة السلطان الملك العادل زَيْن الدّين كَتْبُغا المنصوري[1] وهو العاشر من ملوك دولة الترك بالديار المصرية

كان جلوسه على تخت السلطنة في يوم الأربعاء[2]، حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة. وكان سبب ذلك، أنه لما ملك السلطان الملك الناصر، واستقر هو في نيابة السلطنة كما تقدم، شرع يمهد القواعد لنفسه في مدّة نيابته، ويقرر الأحوال، ويستميل الأمراء. فلما كان في أول هذه السنة، انقطع في دار النيابة، بقلعة الجبل، وادّعى الضعف، وإنما كان انقطاعه لتقرير أمر السلطنة له. وركب السلطان الملك الناصر، وجاء إلى دار النيابة للسلام عليه وعيادته، فلما اتفقت فتنة المماليك المتقدمة، جلس الأمير زين الدين [كتبغا][3] في اليوم الثاني كنها، بدار النيابة. وجمع الأمراء، وذكر لهم أن ناموس السلطنة، وحرمة المملكة، لا يتم لصغر سن السلطان الملك الناصر. فاجتمعت آراء الأمراء على إقامة الأمير زين الدين كتبغا في السلطنة. وحلفوا له وقُدم له فرس النوبة بالرقبة الملوكية، وعليها ألقابه. وركب من دار النيابة، وقبل أذان العصر، من هذا اليوم. ودخل من باب القلة[4] إلى الأدر السلطانية، والأمراء مشاة في خدمته. ودخل على تخت السلطنة، وتلقب بالملك العادل. وحجب السلطان الملك الناصر، وجعله في بعض القاعات هو وأمه وعامله بما لا يليق أن يعامله به. فكانت مدة سلطنة السلطان الملك الناصر هذه ـ وهي السلطنة الأولى ـ سنة واحدة إلا ثلاثة أيام. ولم يكن له في هذه المدة من الأمر شيء. وإنما جرى عليه أمر السلطنة، وخطب باسمه على المنابر، وضربت السكة باسمه. وأمر غير ذلك من الأمر والنهي، والولاية والعزل،

---

(١) ترجمته وأخباره في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٠٦، وبدائع الزهور لابن إياس ج ١، ص ٣٨٦، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١١٨، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٣، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٦، ص ٥، والدرر الكامنة لابن العسقلاني ج ٣، ص ٣٤٨، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٣، ص ٢١٨.

(٢) «يوم الثلاثاء» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٢.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٣.

(٤) في الأصل: القلعة، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٣، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٠٩.

والإطلاق والمنع، والتأمير وإعطاء الإقطاعات، وغير ذلك من الأوامر، فللأمير زين الدين كتبغا النائب، الملقب الآن بالملك العادل(١).

وفي يوم الخميس ثاني عشر المحرم، مد الملك العادل زين الدين كتبغا(٢) سماطاً عظيماً، وجلس على عادة الملوك، ودخل الأمراء، وقبلوا يده، وهنّؤه بالسلطنة وخلع على الأمير حسام الدين لاجين المنصوري، وفوض إليه نيابة السلطنة، وجعل الأمير عز الدين أيبك الأفرك الصالحي، أمير جاندار، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي، وللوزيرين الصاحب تاج الدين وابن عمه عز الدين، وقضاة القضاة وأرباب المناصب، ومن جرت عادتهم بالخلع، والمماليك السلطانية الذين كانوا بدار الوزارة، كونهم لم يوافقوا خوشداشيتهم، على إقامة الفتنة.

وركب الناس بالتشاريف، في يوم الخميس، تاسع عشر المحرم، ولما جلس على تخت السلطنة، كتب إلى نائب السلطنة بدمشق، وسائر النواب بالممالك الشامية والأعمال، يخبرهم بخبر سلطنته، ويطلب منهم بذل اليمين. وكل أجاب بالسمع والطاعة، وبادر إلى الحلف، وما اختلف عليه اثنان.

ومن غريب ما حكي في أمر الملك العادل هذا، أن هولاكو لما استولى على حلب، وملك الشام أجمع، كما تقدم، وعزم على تجريد العساكر إلى الديار المصرية، أحضر نصير الدين(٣) الطوسي. وقال له: تكتب أسماء مقدمي عساكري، وتنظر أيهم يملك مصر، ويجلس على تخت السلطنة بها. فكتب أسماءهم، وحسب ودقق النظر، فما ظهر له، أنه يملك الديار المصرية إلا كتبغا، فذكر ذلك لهولاكو. وكان كَتْبُغا نوين(٤) صِهْر هولاكو، فقدّمه على العساكر وسيَّره، فقتل في وقعة عين جالوت، كما تقدم. وكان كتبغا هذا(٥)، في عسكر كتبغا نوين، فسبي وهو شاب. ولعله كان في سن بلوغ الحلم أو نحوه. وأخّر الله السلطنة بالديار المصرية لهذا الاسم. وكان بين الحادثتين ست(٦) وثلاثون سنة.

---

(١) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٢.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٢.

(٣) وردت هذه الرواية في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٤٧ ـ ٤٨. ونصير الدين الطوسي هو الذي أغرى رئيس الإسماعيلية بالتسليم إلى هولاكو. وقد دخل نصير الدين في خدمة هولاكو، وهو الذي أقنعه بقتل الخليفة المستعصم العباسي المقريزي: السلوك ج ١، ص ٤٢، حاشية (٥).

(٤) هو غير كتبغا المنصوري صاحب الترجمة، توفي سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٤٨، حاشية (١).

(٥) المراد صاحب الترجمة.

(٦) «نحو خمس وثلاثون سنة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٤٨.

ولما ملك [كتبغا](١)، شرع في تأمير مماليكه وتقدمتهم. فكان أول من أمر منهم أربعة، وهم سيف الدين بَتْخاص، وجعله أستاذ الدار، وسيف الدين أغرلو(٢) وبدر الدين بكتوت الأزرق(٣)، وسيف الدين قطلوبك. وركب هؤلاء [الأربعة](٤) بالإمرة في يوم واحد. وركب هو بشعار السلطنة على عادة الملوك في يوم الأربعاء، مستهل شهر ربيع الأول. وأقر نواب السلطنة على حالهم في الأيام الناصرية وفوَّض الوزارة بدمشق للصاحب تقي الدين توبة التكريتي على عادته، في الأيام المنصورية. وكان وصوله إلى دمشق، لمباشرة هذه الوظيفة، في سادس عشر صفر. وكتب السلطان له توقيعاً، برد ما أخذ منه، في الدولة الأشرفية.

ذكر تفويض الوزارة للصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي

وفي يوم الثلاثاء، خامش عشرين جمادى الأولى من هذه السنة، عزل السلطان(٥) الصاحب تاج الدين ابن حنّا من الوزارة [بالديار المصرية](٦)، وفوض الوزارة للصاحب فخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الخليلي [الداري](٧). وكان هذا الصاحب فخر الدين قد ولي نظر ديوان الملك الصالح علاء الدين علي ابن السلطان الملك المنصور، فلما مرض واشتد به الوجع، دخل الصاحب فخر الدين عليه وبكى، وأظهر الألم الشديد وقال: [يا خوند](٨) أخشى إن قدر الله تعالى أمراً محتوماً، والعياذ بالله، أن أوذي، ويتمكن مني الأمير علم الدين الشجاعي. وطلب الملك الصالح والده السلطان الملك المنصور وأوصاه أن لا يتعرض إليه. ولا إلى أحد من ديوانه بأذية، وأن لا يمكن الأمير علم الدين الشجاعي منهم. فلما مات الملك الصالح، أحسن السلطان [المنصور(٩) إليه(١٠)، وولاه نظر النظار بالديار المصرية، ونظر الصحبة، ثم عزل في

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.
(٢) يرسم أيضاً: اغرلوا.
(٣) سمي الأمير بكتوت بهذا الاسم لأنه كان أخيف العينين والأخيف هو الذي تكون إحدى مقلتيه سوداء، والأخرى زرقاء، محيط المحيط (خيف) وانظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٠٨، حاشية (٣).
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٥.
(٥) المقصود الملك العادل كتبغا. انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٦.
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٦.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٦.
(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٦.
(٩) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٦.
(١٠) الضمير الغائب يعود إلى الملك فخر الدين المذكور. انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٦.

الدولة الأشرفية[١]. وباشر نظر ديوان الملك العادل، في مدة نيابته عن السلطنة، وفوض إليه نظر الدواوين، ثم الوزارة.

وفي هذه السنة، قصر النيل ولم يوف، فحصل الغلاء واشتد البلاء بالديار المصرية، وتوقف الغيث بالشام، فاستسقى الناس مرة بعد أخرى، وأجدبت برقة وأعمالها، وبلاد المغرب ونواحيها. وعمَّ الغلاء أكثر البلاد والممالك، شرقاً وغرباً وحجازاً. واختصت مصر من ذلك البلاء العظيم. وبلغ سعر القمح عن كل إردب مائة درهم وخمسين درهماً، والشعير مائة درهم، واستمر إلى سنة خمس وتسعين وستمائة[٢].

وفيها، فوّض السلطان قضاء العساكر بالشام، للقاضي نجم الدين محمد بن صصري وكان بالديار المصرية. فعاد إلى دمشق متولياً هذه الوظيفة، وكان وصوله إليها في يوم الثلاثاء سادس عشرين[٣] شهر رمضان.

وفيها، فوض السلطان الملك العادل، الخطابة والإمامة، بالجامع الأموي بدمشق، لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، مضافاً إلى ما بيده من القضاء والتدريس، فصلّى بالناس صلاة الظهر، من يوم الخامس من شوال، وخطب يوم الجمعة السادس من الشهر، واجتمع له القضاء والخطابة، ولم يجتمع ذلك لقاضٍ قبله بدمشق، فيما عرفناه، ونقل إلينا.

ذكر القبض على الأمير عز الدين أيبك الخزندار نائب السلطنة بالفتوحات، وولاية الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري

وفي هذه السنة، رسم السلطان الملك العادل، بالقبض على خوشداشه، الأمير عز الدين أيبك الخزندار المنصوري، نائب السلطنة، بالفتوحات الطرابلسية. وندب لذلك أميرين، فتوجها إلى دمشق على خيل البريد، فوصلا إليها، في تاسع عشرين شوال. وجرد من دمشق الأمير عز الدين أيبك كرجي، والأمير سيف الدين استدمر كرجي بسبب ذلك. فلما توجهوا إليه، لم يمتنع عليهم، وقال: قد كنت عزمت على مفارقة هذه المملكة. والتوجه إلى باب السلطان، فقبض عليه. وكان وصوله إلى الأبواب السلطانية،

---

(١) أي في أيام الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور. تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٦.

(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨١٠.

(٣) «سادس عشرين رمضان» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٠٩.

في يوم الخميس حادي عشرين ذي القعدة من السنة، فاعتقل. واستمر في الاعتقال، إلى يوم الخميس رابع عشرين صفر سنة خمس وتسعين وستمائة. ولما قبض عليه(١)، فوضت نيابة السلطنة بالمملكة الطرابلسية والفتوحات، للأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري.

وفيها أيضاً، رسم بالحوطة على القاضي مجد الدين يوسف بن القباقبي ناظر المملكة الطرابلسية. وندب الأمير شمس الدين الأعسر لذلك. فتوجه إلى طرابلس، في العشر الأوسط، من شوال، وأوقع الحوطة على موجوده. فيقال: إنه وجد في جشاره(٢)، ما ينيف على سبعين رأس بغالاً وأكاديش جياد. وجهز إلى الديار المصرية، فتكمل حمله، فيما أدعاه ألف درهم. ثم أعيد بعد ذلك إلى نظر المملكة الطرابلسية، وكأنه لم يصادر. فبلغني أنه جلس ليلة، وهو يضحك مع أصحابه بطرابلس. فقال له بعضهم: أخذ منك ألف ألف درهم، وأنت تضحك فقال: والله أقدر أنفق في جيش مصر ـ وأرى أن هذا الكلام، إن كان قاله، فهو من التغالي في القول ـ والله أعلم.

ذكر وفاة الملك المظفر(٣) يوسف بن عمر صاحب اليمن

وفي هذه السنة، كانت وفاة الملك المظفر شمس الدين أبي المظفر يوسف ابن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي ابن رسول، صاحب اليمن، في شهر رمضان، بقلعة تعز [من بلاد اليمن](٤). وكان جواداً شهماً، عفيفاً، عن أموال الرعايا، قليل التطلع إلى ما بأيديهم، حسن السيرة فيهم، يمنع أصحابه من التطرق إلى ظلم أحد. وكانت مدة ملكه، بالبلاد اليمانية، نحو خمس وأربعين(٥) سنة.

وكان للملك المظفر من الأولاد خمسة، وهم: الملك الأشرف، ممهد الدين عمر،

---

(١) أي قبض الملك العادل على الأمير عز الدين أيبك.

(٢) «وشارة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٨، والجشار، جمعه جشارات، وجشير ويقال الدشار أيضاً. الخيل والأبقار التي تساق إلى المراعي وتبقى بها عادة من غير أن تعود ليلاً إلى حظائرها. Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٧؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٦٠ ـ ٦٢؛ وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٤٢٧، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٦١.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦١.

(٥) «وأقام الملك المظفر في الملك نحواً من ست وأربعين سنة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٦٢. و«استمر في الملك سبعاً وأربعين سنة» في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣، ص ٣٦١.

والملك المؤيد هزبر الدين داود، والواثق إبراهيم، والملك المسعود تاج الدين حسن، والملك المنصور زين الدين أيوب. وللملك المسعود هذا ولد اسمه أسد الإسلام محمد. وللملك المنصور ولد اسمه مأمون الدين عيسى. ولما مات الملك المظفر هذا، ملك بعده ولده الملك الأشرف ممهد الدين عمر. وهو ولي عهده. فلما ملك نازعه أخوه الملك هزبر الدين داود في الملك. وكان المؤيد يوم ذلك ببلاد الشحر، فجمع جمعاً من الجحافل، وتوجه إلى ثغر عدن، وحاصر الثغر ثلاثة عشر يوماً. وكان متوليه الأمير سيف الدين بن برطاس، فملك المؤيد الثغر، واستولى على ما به. فافترض أموال التجار وأموال الأيتام التي بمودع الحكم. وتوجه من ثغر عدن نحو تعز. فجرد الملك الأشرف لقتاله الشريف علي بن عبد الله، بجماعة من الجيش، وولده جلال الدين بن الأشرف، فتوجهوا والتقوا، فيما بين تعز وعدن، بمكان يسمى الدعيس. واقتتلوا فخذل الجحافل المؤيد، وتفرقوا عنه، وبقي في نفر يسير. فتقدم إليه جلال الدين ابن أخيه، وأشار عليه بالدخول في الطاعة، وحذر عاقبة المخالفة. وقال له: الملك الأشرف أخوك، ولا يقتلك، وأنت بينك وبين الأشرف حرب قبل هذا الوقت، فإن ظفروا بك قتلوك. وأشار عليه بعض أصحابه بمثل ذلك، فرجع إلى قولهم، ورجع إلى الطاعة، فأراد جلال الدين أن يتوجه به إلى والده، [الملك الأشرف][1] على حاله. فامتنع عليه الشريف علي بن عبد الله، وقال: إن أمر هذا الجيش إليّ. وقيّد المؤيد، وحمله إلى قلعة تعز، فاعتقله بها إلى أن مات الملك الأشرف. وكانت وفاته في سنة ست وتسعين وستمائة. فأخرج من الاعتقال ليلاً، قبل دفن أخيه، فأمر بدفنه، وأصبح الحراس بالقلعة، فدعوا للملك المؤيد وترحَّموا على الملك الأشرف وكان مُلْك المؤيد باتفاق عمته الشمسية، وقيامها في أمره. واستمر في الملك إلى أن مات، في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى، في موضعه.

وفيها، في يوم السبت، رابع شهر ربيع الأول، توفي الأمير بدر الدين[2] بكتوت الأقرعي بدمشق، ودفن بمقابر باب الصغير.

وفيها، كانت وفاة الصاحب عز الدين ابن الصاحب محيي الدين أحمد ابن الصاحب الوزير بهاء الدين علي بن محمد، رحمهم الله تعالى.

وفيها، في شهر رجب توفي بالقاهرة، الأمير بدر الدين بكتوت [بن عبد الله][3] الفارسي الأتابكي، رحمه الله تعالى.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٨.
(٢) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠١.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠١.

وفيها، في وقت السحر، من يوم السبت عاشر شعبان، توفيت ملكة خاتون[١]، ابنة الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب. وهي زوجة الملك المنصور ابن الملك الصالح إسماعيل وأم ولديه. وهي التي كان ناصر الدين بن المقدسي أثبت سفهها في الدولة المنصورية، واستعاد أملاكها من سيف الدين المسامري وغيره، كما تقدم ذكر ذلك، رحمهما الله تعالى.

واستهلت سنة خمس وتسعين وستمائة
[٦٩٥ هـ = ١٢٩٥/١٢٩٦ م]

في هذه السنة، اشتد الغلاء[٢] بالديار المصرية، وكثر الوباء وانتهى سعر القمح إلى مائة درهم وسبعة وستين درهماً، عن كل أردب، وقيل: إنه بلغ مائة وثمانين. وأعقب ذلك وباء عظيم. وغلت الأسعار في سائر الأصناف. وبلغ ثمن الفروج عشرين درهماً. وسمعت أن بعض الناس اشترى فراريج لمريض عنده، فوزن لحمها، فكان بوزن الدرهم التي اشتراها بها. فتقوَّم عليه لحم الفراريج، الدرهم بدرهم فضة. وبيعت البطيخة، الرطل بأربعة دراهم نقرة. وبيعت السفرجلة، بثلاثين درهماً، هذا بالقاهرة ومصر. وأما الصعيد الأعلى، وهو عمل قوص وما يجاوره، فإن القمح لم يزد ثمنه، على خمسة وتسعين درهماً الإردب. وأعقب هذا الغلاء بالقاهرة فناء عظيم. كان يُحصر من يخرج من باب المدينة من الأموات في اليوم الواحد، فيزيد على سبعمائة أو نحوها، هذا من داخل المدينة، من أحد الأبواب. والقاهرة بالنسبة إلى ظواهرها، كالشارع الأعظم، والحسينية والأحكار، جزء لطيف. وعجز الناس عن دفن الأموات أفراداً، فكانوا يحفرون الحفرة الكبيرة، ويرص فيها الأموات، من الرجال والنساء، ويُجْعل الأطفال بين أرجلهم، ويردم عليهم. وبعض الأموات لم يجدوا من يواريهم في قبورهم، فأكلتهم الكلاب، وأكل الأحياءُ الكلاب. وكان الفناء أيضاً بالأعمال البرانية عن القاهرة [ومصر][٣]، حتى خلت بعض القرى وأطراف المدينة، لفناء أهلها بالموت.

ثم انحطت الأسعار بالديار المصرية في شهر رجب، ونزل سعر القمح إلى خمسة وثلاثين درهماً الأردب، والشعير بخمسة وعشرين درهماً [الإردب][٤] وكان أكبر أسباب

---

(١) ترجمتها في البداية والنهاية ج ١٣، ص ٣٦٣.

(٢) قارن بما ورد في إغاثة الأمة للمقريزي ص ٦٧ ـ ٧٦، من أخبار الغلاء والمجاعة في سنوات ٦٩٤ ـ ٦٩٦ هـ.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٠.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

هذا الغلاء وتزايده بالديار المصرية، خلو الأهراء[1] السلطانية من الغلال، وذلك أن السلطان الملك الأشرف، كان قد فرّق الغلال، وأخلى الأهراء منها بالإطلاقات للأمراء وغيرهم، حتى نفد ما في الأهراء. وقصر النيل بعد ذلك، فاحتاج وزير الدولة إلى مشترى الغلال للمؤونة والعليق، فتزايدت الأسعار بسبب ذلك.

وفيها أيضاً، قلَّ المطر بدمشق وبلاد حوران، وجفَّ الماء حتى شق ذلك على المسافرين. فكان المسافر يسقي دابته بدرهم. ويشرب بربع درهم. فلما اشتد ذلك على الناس، أشار قاضي القضاة، بدر الدين محمد بن جماعة بقراءة صحيح البخاري بدمشق. وتقرر الاجتماع لسماعه بالجامع الأموي، تحت النسر في سابع[2] صفر. وطُلِب الشيخ شرف الدين الفزاري لقراءته. فأنزل الله تعالى الغيث في تلك الليلة قبل الشروع في القراءة. ثم قرىء الصحيح، ووقع المطر في آخر يوم من كانون الأول، واستمر يومين وبعض ليلة، فاستبشر الناس بذلك وترادف نحو جمعه. ثم جاء بعد ذلك ثلج كثير، في مستهل شهر ربيع الأول. ثم ارتفع السعر، وبلغ [سعر][3] القمح، عن كل غرارة مائة درهم، وخمسة وستين درهماً. [واشتد الغلاء بالحجاز][4] أيضاً فأبيعت غرارة الشعير بالمدينة، بسبعمائة درهم، وغرارة القمح بألف درهم ومائة درهم. ثم جاء المطر بدمشق في ثاني جمادى الآخرة.

ذكر حادثة عجيبة بالشام

وفي هذه السنة، في العَشر الأول من المحرم، استفاض بدمشق وشاع، وكثُر الحديث عن قاضي [جُبّة أعسال][5]، من قرى دمشق، أنه تكلم ثور بقرية من قرى جبة أعسال. وهو أن الثور خرج ليشرب من ماء هناك، ومعه صبي، فلما فرغ من شربه، حمد الله، فتعجب الصبي. وحكى ذلك لمالك الثور، فشك في قوله. وخرج في اليوم الثاني بنفسه، فلما شرب الثور، [حمد الله تعالى][6]، وحضر في اليوم الثالث جماعة وسمعوه

(١) الأهراء السلطانية: هي الأماكن التي تخزن بها الغلال، والأتبان الخاصة بالسلطان احتياطاً للطوارىء الاقتصادية، وكانت لا تفتح إلا عند الضرورة، وكان لخاص السلطان شون، وهذه يوضع بها ما يستهلك طول السنة من الغلال والأحطاب والأتبان، وما أشبه ذلك. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٥٢؛ وابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٢٢.

(٢) «تاسع» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١١.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١١.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨١٥.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

يحمد الله، بعد شربه. فكلَّمه بعضهم، فقال الثور: إن الله كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدباء ولكن بشفاعة النبي ﷺ، أبدلها الله بالخِصْب. وذكر أن النبي ﷺ، أمره بتبليغ ذلك، وأنه قال له: يا رسول الله، ما علامة صدقي عندهم، قال: «إنك تموت عقيب الإخبار»[١]. ـ قال الحاكي لذلك ـ ثم تقدم الثور إلى مكان مرتفع فسقط ميتاً. فأخذ أهل القرية من شعره للتَّبَرُّك، وكُفِّن ودفن. حكى هذه الحادثة، شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري في تاريخه حوادث الزمان[٢] والله أعلم.

وفيها، في العشر الأوسط، من شهر ربيع الآخر، قتل بدمشق جماعة بالليل في الدروب. ومعظم من قتل، من حراس الدروس، واستمر ذلك عدة ليال. وفي كل يوم يوجد قتيل واثنان. ولم يعدم لأحد شيء، مع ذلك، ولا سرق منزل. فاحترز متولي المدينة في ذلك. وبقي يركب طوال الليل، في جماعة كثيرة، ويطوف البلد والأمر يتزايد، فلما كان في العشر الأوسط، من جمادى الأولى، مُسِك فقير مولّه، فاعترف أنه هو الذي قتل الحراس، فسمر وبقي يومين، ثم خنق في اليوم الثالث.

ذكر وفود الأويراتية[٣] من بلاد التتار

في هذه السنة، وردت طائفة من التتار، تسمى الأويراتية، ومقدمهم طرغاي، ووصلوا إلى الشام. وكانوا على ما قيل، ثمانية عشر ألف بيت[٤]، وكان السبب في هربهم من بلادهم، أن طَرْغاي[٥]، هذا المذكور، كان متفقاً مع بَيْدو ابن طَرْغاي على قتل كيختو. فلما صار الملك إلى غازان، خافه طرغاي على نفسه، أن يقتله بعمه كيختو. وكان مقيماً بتمانة [بين بغداد والموصل][٦]. وكان أشتبغا مقيماً بتمانه بديار بكر. فأرسل غازان بولاي ومعه تمان إلى ديار بكر، عوضاً عن أشتبغا، وأوصاه بحفظ الطرقات على طرغاي، وأن يساعد من يندب لقتله، ثم جهز غازان أميراً يسمى قطغوا في ثمانين فارساً للقبض على طرغاي ومن معه، من أكابر قبيلة أويرات. فاتفق طرغاي، ومن معه من الأمراء، وهم: ألوص وكبكاي، وقتلوا قطغوا ومن معه. وعبروا الفرات إلى جهة الشام، فتبعهم بولاي بتمانه، فقاتلوه وهزموه، وقتلوا أكثر من معه.

---

(١) «إنك تموت عقب الإخبار» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٣.

(٢) تقدم في هذا الجزء.

(٣) الأويراتية: تقدم التعريف به.

(٤) «عشرة آلاف بيت» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٥١.

(٥) «هو زوج بنت هولاكو» ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٥١.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٤.

ولما وردت مطالعات نواب الشام إلى السلطان الملك العادل بوصولهم، اهتم بأمرهم. وكتب إلى نائب السلطنة [بدمشق][1]، أن يتوجه الأمير علم الدين سنجر الدواداري، بجماعة إلى الرحبة لتقلبهم. فتوجه من دمشق في غزة شهر ربيع الأول. ثم توجه بعده، الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، شاد الدواوين بالشام، ليلقاهم أيضاً، وجهَّز السلطان أيضاً، الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، من الديار المصرية إلى دمشق، بسبب ذلك، فوصل إليها في ثاني عشرين شهر ربيع الأول. ثم أردفه بالأمير سيف الدين بهادر الحاج الحلبي الحاجب، فأقاما بدمشق، إلى أن وصل أعيان الأويراتية إلى دمشق، صحبة الأمير شمس الدين الأعسر. وكان وصولهم في يوم الاثنين، ثالث عشرين شهر ربيع الأول، وعدتهم مائة وثلاثة عشر نفراً، والمقدم عليهم طرغاي، ومن أكابرهم ألوص وككباي، فتلقاهم نائب السلطنة والأمراء، واحتفل بقدومهم احتفالاً كبيراً، ثم توجه بهم الأمير شمس الدين قراسنقر، إلى الديار المصرية في يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول. وتوجه بعده الأمير سيف الدين الحاج بَهادُر الحاجب[2]، على خيل البريد إلى الأبواب السلطانية، في حادي عشر الشهر. ولما وصلوا إلى باب السلطان بالغ في إكرامهم، وأحسن إليهم، وخلع عليهم، وأمَّرهم بالطبلخاناه. وهم على دين الكفرة، ويأكلون في شهر رمضان، ولا يذبحون الخيل ذبيحة ولا نحراً، بل يربطون الفرس، ويضربونه على وجهه حتى يموت، فيأكلونه بعد ذلك. وكانوا يجلسون مع الأمراء بباب القلة، فأنفت نفوس الأمراء من ذلك وكرهوه، حتى أوجب ذلك خلع السلطان، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وأما بقية الأويراتية، فإن السلطان كتب إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري أن يتوجه بهم إلى الساحل فينزلهم به، فتوجه بهم، ولما مرّوا بدمشق، أنزلهم بالمرج، ولم يُمَكِّنْ أحداً منهم من دخول المدينة. ورسم بإخراج الأسواق إليهم البيع والشراء بالمرج، إلى الكسوة والصنمين[3]. وفعل ذلك في كل منزلة إلى أن وصل بهم إلى

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٤.

(٢) «حاجب الحجّاب» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٥٣، «كتبغا هو أول من أحدث وظيفة حاجب الحجاب وجعلها وظيفة كبيرة، ولم يكن قبل ذلك شيء يقال له حاجب الحجاب. معظم أمرها من يومئذٍ» ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٨٧. ووظيفة حاجب الحجاب في العصر المملوكي إن صاحبها ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب، وإليه تقديم من يعرض ومن يرد، وعرض الجند وما ناسب ذلك. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ٢٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٥٣، حاشية (١).

(٣) الصنمان: قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٨٩.

أراضي عتليت، وامتدوا في بلاد الساحل. ورسم السلطان بإقامة الأمير علم الدين [سنجر][١] الدواداري معهم، إلى أن يحضر السلطان إلى الشام، ومات منهم خلق كثير. وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة، وكانوا من أجمل الناس، وتزوج الجند وغيرهم من بناتهم. ثم انغمس من بقي منهم في العساكر، وتفرقوا في الممالك الإسلامية، ودخلوا في دين الإسلام. وبقاياهم في الخدمة إلى وقتنا هذا[٢].

ذكر وفاة قاضي القضاة تقي الدين[٣] عبد الرحمٰن ابن بنت الأعز وتفويض القضاء للشيخ ابن دقيق العيد

وفي هذه السنة، في يوم الخميس، سادس عشر جمادى الأولى، توفي قاضي القضاة، تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمٰن ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب ابن بنت الأعز، قاضي القضاة الشافعي بالديار المصرية، ودفن بالقرافة، في تربة والده، رحمهما الله. وفي يوم وفاته، توفي كاتبه نور الدين بن السوسي، وكان خصيصاً به، وحملت جنازتاهما معاً.

وقد قدمنا من ذكر أخبار قاضي القضاة تقي الدين هذا وولاياته القضاء والوزارة ونظر الخزائن، ما نستغني الآن عن إعادته، رحمه الله تعالى. ولما مات، فوّض السلطان قضاء القضاة بالديار المصرية، لشيخنا[٤] الإمام العلامة، تقي الدين بقية المجتهدين أبي الفتح محمد ابن شيخ الإسلام مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد[٥]، وكانت ولايته في يوم السبت ثامن عشر الشهر المذكور. ولما ولي القضاء كان كثير التطلع إلى أخبار نوابه بالأعمال[٦] البرانية. وكان يذكرهم بكتبه المشتملة على المواعظ والتحذيرات، من عواقب الغفلة والإهمال. فكان مما كتب به، إلى بعض نوابه، في سنة سبع وتسعين. وقيل: إنه كتب إلى جميع النواب مثل ذلك. وكان مضمون كتابه الذي نقلت نسخته هذه[٧]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الفقير إلى الله تعالى، محمد بن علي.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨١٣.
(٢) راجع تاريخ ابن الفرات ج ٨، ص ٢٠٥.
(٣) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٥.
(٤) «الشيخ الإمام» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٥.
(٥) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٦.
(٦) الأعمال البرانية: أي المناطق الخارجة عن مصر والقاهرة وضواحيها.
(٧) انظر هذه النسخة في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٦.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦] هذه المكاتبة إلى فلان، وفقه الله لقبول النصيحة، وأتاه لما يقربه قصداً صالحاً، ونية صحيحة. أصدرناها إليه، بعد حمد الله الذي ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر: ١٩]، ويمهل حتى يلتبس الإمهال بالإهمال على المغرور، تذكّره بأيام الله ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. وتحذره صفقة من باع الآخرة بالدنيا، فما أحد سواه مغبون. عسى أن يرشده بهذا التذكار وينفعه وتأخذ هذه النصائح بحجزته عن النار، فإني أخاف أن يتردى، فيجرّ من ولاه، والعياذ بالله معه.

والمقتضى لإصدارها ما لمحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب، ومن تقاعد الهمم عن القيام بما يُحبُّ الرب على المربوب، ومن أنسبهم بهذه الدار وهم يزعجون عنها، ومن علمهم بما بين أيديهم من عقبة كؤود، وهم لا يتحققون[1] منها، ولا سيما القضاة الذين يحملون عبء الأمانة، على كواهل ضعيفة، وظهروا بصور كبار، وهمم نحيفة. والله إن الأمر لعظيم، وإن الخطب لجسيم، ولا أرى مع ذلك أمناً، ولا قراراً، ولا راحة، اللهم إلا[2] رجلاً نبذ الآخرة وراءه، واتخذ إلٰهه هواه، وقصر همّه وهمته على حظ نفسه من دنياه. فغاية مطلبه الحياة والمنزلة في قلوب الناس وتحسين الزي والملبس، والركبة والمجلس، غير مستشعر خيبة[3] حاله، ولا ركاكة مقصده، فهذا لا كلام معه، فإنك لا تسمع الموتى، وما أنت بمسمع من في القبور. فاتق الله الذي يراك حين تقوم، وأقصر أملك عليه، فالمحروم من أمله غير مرحوم. وما أنا وأنتم أيها النفر، إلا كما قال حبيب العجمي، وقد قال له قائل: ليتنا لم نخلق فقال: فقد وقعتم فاحتالوا. وإن خفي عليك بعض هذا الخطر، وشغلتك الدنيا، أن تقضي من معرفته الوطر[4]. فنأمل [من][5] كلام النبوة القضاة ثلاثة، وقوله ﷺ لمن خاطبه مشفقاً عليه: لا تأمرن على اثنين، ولا تَلِينّ مال اليتيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وما أنا والسير في متلف يبرح بالذِّكرِ الضابط[6]

هيهات جف القلم، ونفذ أمر الله، ولا راد لما حكم. ومن هناك شَمَّ الناس في

---

(١) «يتخففون» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٧.
(٢) «رجل» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٧.
(٣) «خسة» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٧.
(٤) الوطر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همة فهي وطره. ابن منظور: لسان العرب (وطر).
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٧.
(٦) ورد هذا البيت في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٧.

الصِّديق رضي الله عنه، رائحة الكبد المشوي. وقال الفاروق: ليت أم عمر لم تلده. واستسلم عثمان وقال: من أغمد سيفه، فهو حر. وقال عليّ: والخزائن بين يديه مملوءة - من يشتري مني سيفي هذا، ولو وجدت ما أشتري به رداء ما بعته. وقطع الخوف نياط قلب عمر بن عبد العزيز، فمات من خشية العرض. وعلق بعض السلف في بيته سوطاً، يؤدب به نفسه إذا فتر، أفترى ذلك سدى؟ أو وضح إنا نحن المقربون وهم البعداء؟ وهذه أحوال لا توجد في كتاب السلم ولا الإجارة[١] ولا الجنايات. نعم إنما تنال بالخضوع والخشوع، وبأن[٢] تظمأ وتجوع، وتحمي عينك الهجوع[٣]. ومما يعينك على الأمر الذي دعوت إليه، ويزوّدك في سيرك إلى الغرض عليه، أن تجعل لك وقتاً تعمره بالفكر والتدبير، وأناة تجعلها معدة لجلاء قلبك. فإنه [إن][٤] استحكم صدأه، صعب تلافيه. واعرض عنه من هو أعلم بما فيه، واجعل أكثر همومك لاستعداد المعاد، والتأهب لجواب الملك الجواد. فإنه يقول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣].

ومهما وجدت من همتك قصوراً، واستشعرت من نفسك عما بدا إليها نفوراً، فاجأر إليه وقف ببابه واطلب منه، فإنه لا يعرض عمن صدق، ولا تغرب عن علمه[٥] خفايا الضمائر، ألا يعلم من خلق.

وهذه نصيحتي إليك، وحجتي بين يدي الله، إن فَرّطتَ، عليك، اسأل الله لي ولك، قلباً واعياً، ولساناً ذاكراً، ونفساً مطمئنة، بمنّه وكرمه.

وفي هذه السنة، عزل القاضي جمال الدين[٦] بن الشربشي نفسه من نيابة الحكم بدمشق، عن قاضي القضاة بدر الدين [بن جماعة][٧]، وذلك في [يوم][٨] الجمعة، رابع

---

(١) كتاب السلم والإجارة من موضوعات الفقه الإسلامي، فالسلم هو بيع شيء غير موجود بالذات بثمن مقبوض في الحال على أن يوجد الشيء ويسلم للمشتري في أجل معلوم. أما الإجارة فالمقصود بها ما يؤدي عن كراه الأرض من ثمر أو زرع أو مال متفق عليه. ابن حجر العسقلاني: كتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام ص ١٥٩؛ عبد الرزاق السنهوري: الوسيط في شرح القانون المدني، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٢) «وأن تظمأ» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٧.

(٣) الهجوع: النوم ليلاً، ابن منظور: لسان العرب (هجع).

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٧.

(٥) في الأصل عمله، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨.

(٦) «كمال الدين» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٢.

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٢.

(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٢.

عشرين شهر رجب. فوقع اختيار قاضي القضاة، بدر الدين [بن جماعة][(١)] في النيابة عنه، على القاضي جمال الدين سليمان بن عمر بن سالم الأذرعي، المعروف بالزرعي قاضي زرع[(٢)]. فأحضره منها واستنابه بدمشق، وذلك في يوم الاثنين تاسع عشر شوال من السنة.

وفيها، قدمت والدة الملك العادل بدر الدين سلامش ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي [النجمي][(٣)] من بلاد الأشكري ملك الفرنج[(٤)]، إلى دمشق. وكان وصولها في حادي عشر رمضان. ونزلت لدار الحديث الظاهرية بدمشق. وأرسل إليها نائب السلطنة [بدمشق][(٥)] الأمير عز الدين أيبك الحموي [الظاهري][(٦)]، التحف والهدايا والألطاف، وخدمها أتمّ خدمة، ثم توجهت من دمشق إلى القاهرة في عشية الجمعة، ثامن عشر رمضان.

ذكر توجه السلطان الملك العادل وعزل نائب السلطنة بدمشق الأمير عز الدين الحموي، وتولية الأمير سيف الدين أغرلوا[(٧)] العادلي وغير ذلك.

وفي هذه السنة، توجه السلطان الملك العادل إلى الشام بجميع العساكر. وكان استقلال ركابه من قلعة الجبل، في يوم السبت سابع عشر شوال، بعد الزوال. ووصل إلى دمشق في الساعة الخامسة من يوم السبت، خامس عشر ذي القعدة، والأمير بدر الدين بيسري حامل الجتر[(٨)] على رأسه، وحضر في خدمته نائب السلطنة، الأمير حسام الدين لاجين، والصاحب فخر الدين بن الخليلي ونزل الوزير بدار الملك الزاهر. وفي

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٢.

(٢) زرع: من بلاد حوران والغور جنوبي دمشق، وهي وحدة إدارية (عمل) مستقلة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١١٢.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٢.

(٤) تقدم التعريف بالأشكري وانظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٧١٤، حاشية (٧).

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٢.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٢.

(٧) ويرسم اغرلو.

(٨) الجتر: مظلة من حرير أصفر يزركش بالذهب على أعلاها طائر شبه حمامة، من فضة مذهبة تكون على رأس السلطان في المواكب يحملها أمير كبير أو الأتابك الذي يركب بجوار السلطان. د. عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ج ٢، ص ٩١ ـ ٩٢؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين ج ٢، ص ١٤١، حاشية (١).

يوم وصوله إلى دمشق، توجه إلى زيارة قبر والده، الشيخ مجد الدين بجبل الصالحية. فلقيه القاضي تقي الدين سليمان الحنبلي، وسلَّم عليه، فعرّف به، فأمر أن يركب بغلَته الجنيب، فركبها، وحضر معه إلى تربة والده. فلما فرغ من القراءة، ولاّه الصاحب قضاء القضاة على مذهبه، فقبل. وخلع عليه في بكرة النهار، وعلى بقية القضاة. وكان قاضي الحنابلة قبله، القاضي شرف الدين الحسن(١) ابن الشيخ شرف الدين عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي قد توفي، وكانت وفاته في أول ليلة الخميس، الثاني والعشرين من شوال، ودفن ضحى يوم الخميس، رحمه الله تعالى.

ولما استقر السلطان بدمشق، خلع على الأمراء والمقدمين، وعلى الصاحب تقي الدين توبة، والشيخ نجم الدين بن أبي الطيب، وولّاه وكالة بيت المال، وعلي شهاب الدين الحنفي.

ثم شرع الصاحب فخر الدين في مصادرات الولاة والمباشرين. ورسّم على الأمير شمس الدين الأعسر شاد الدواوين [بدمش](٢)، وعلى الأمير سيف الدين استدمر [كرجي](٣) والي البر، وعزله عن ولاية البر. وولّى الأمير علاء الدين بن الجاكي عوضه، وطلب منهما أموال، ورسّم على سائر المباشرين، وطلب من كل منهم جامكية سنة. واستخرج من شهاب الدين بن السلعوس ثمانين ألف درهم، وكان الأمير شمس الدين سنقر الأعسر باقياً على ولايته، وهو الذي تولّى المستخرج من المصادرين، استدمر وغيره. وهو مع ذلك يحمل ما تقرر عليه من الأموال.

وفي يوم الاثنين رابع عشر ذي القعدة، وصل الملك المظفر صاحب حماه إلى خدمة السلطان بدمشق، فتلقاه السلطان وأكرمه. ثم جرد السلطان جماعة من العسكر المصري، وعسكر دمشق إلى جهة حلب.

في يوم الجمعة، ثامن عشرين ذي القعدة، حضر السلطان إلى جامع بني أمية وصلى به الجمعة. وخلع على الخطيب قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وزار مصحف عثمان.

وفي يوم الاثنين مستهل ذي الحجة، حضر الأمير عز الدين الحموي الظاهري، نائب السلطنة بدمشق، إلى خدمة السلطان. فأنكر عليه سوء اعتماده، وطمع نفسه، وما بلغ عنه من بسط يده في أخذ المصانعات(٤). وأخذ السلطان خيوله المسوّمة وأمواله

---

(١) انظر تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٣.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٣.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٣.

(٤) المصانعات: أموال الرشوة والمداراة وفي محيط المحيط للفيروزأبادي. صانعه: رشاه وداراه وداهنه.

وأقمشته، ثم عزله عن النيابة، وفوضها لمملوكه الأمير سيف الدين أغرلوا العادلي، وباشر النيابة من يومه. ثم خلع بعد ذلك على الأمير عز الدين الحموي، وأنعم عليه بإقطاع أغرلوا بالديار المصرية. وانتقل الحموي عند عزله من دار السعادة، ونزل بداره المعروفة بالجيشي التي بالقصاعين.

وفيها، في ثامن من ذي الحجة، فوض السلطان وزارة الشام، لوكيله شهاب الدين الحنفي، عوضاً عن تقي الدين توبة، وكان قبل ذلك يلي الحسبة بدمشق. وخلع عليه خلعة الوزارة في يوم عيد الأضحى. ثم توجه السلطان في [ثامن عشر](١) ذي الحجة إلى جهة حمص، وتصيّد في تلك الجهة. ودخل حمص في تاسع عشر ذي الحجة، وحضر إليه نائب السلطنة بحلب، وبقية النواب. وانسلخت السنة، والسلطان بمخيمه على جُوْسِية(٢)، وهي قرية من قرى حمص، كان قد اشتراها.

وفي هذه السنة، توفي الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي، أمير جاندار. وكانت وفاته بمصر، في يوم الأربعاء، السادس والعشرين من صفر سنة خمس وتسعين وستمائة. ودفن بتربته بالرصد، وكان رحمه الله تعالى، كثير الخير والإحسان إلى خلق الله تعالى. وعمّر المدارس والمساجد والجوامع، وله بإسنا من عمل قوص، مدرسة موقوفة على طائفة الشافعية، وبقوص مدرسة على ساحل البحر كذلك، وبجوار المدرسة مسجد له، يجتمع فيه الفقراء الأعجام القرندلية(٣) في شهر رمضان من كل سنة، ويذبح لهم في كل يوم رأس غنم، وما يحتاجون إليه من التوابل والخبز. وله بمصر مدرسة، وبكرسي الجسر جامع، وبالرصد جامع، وغير ذلك من الأماكن الشريفة المبرورة. ووقف عليها الأوقاف المبرورة الوافرة، رحمه الله تعالى.

وتوفي أيضاً بالديار المصرية جماعة من الأمراء، منهم الأمير بدر الدين(٤) بيليك الحسني أبو شامة، وهو الذي كان يندب إلى الكشف بالوجه القبلي بالديار المصرية، في الدولة المنصورية، وما بعدها، رحمه الله تعالى.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٤، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨١٧. «ثاني عشر».

(٢) جوسية: من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٥، المقريزي: السلوك ج١، ص ٨١٧، حاشية (١).

(٣) القرندلية أو القلندرية.

(٤) ترجمته في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢١٦.

واستهلت سنة ست وتسعين وستمائة
[٦٩٦ هـ = ١٢٩٦/١٢٩٧ م]

والسلطان الملك العادل بمخيمه على جُوْسِيَة[(١)]. ثم رحل منها وعاد إلى دمشق، فدخلها في يوم الأربعاء ثاني المحرم. وفي يوم الجمعة، حضر السلطان إلى الجامع، وصلى بالمقصورة، وأخذ من الناس قصصهم. ورأى شخصاً بيده قصة، فتقدم إليه بنفسه خطوات، وأخذ القصة منه.

وفيها، أمّر السلطان الملك العادل، الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك السعيد ابن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر محمد بن أيوب، وجعله من أمراء الطبلخاناه بدمشق، وذلك في يوم الخميس سابع عشر المحرم.

وفيها، في يوم الاثنين، حادي عشرين المحرم، قبض على الأمير سيف الدين استدمر كرجي والي البر وولى عوضه علاء الدين [بن الجاكي][(٢)]، واعتقل بالقلعة، وعزل الأمير سيف الدين سنقر الأعسر، عن وظيفة الشد، وولى عوضه الأمير فتح الدين بن صبرة.

ذكر عود السلطان الملك العادل إلى الديار المصرية وخلعه من السلطنة ورجوعه إلى دمشق

وفي بكرة نهار الثلاثاء، الثاني والعشرين من المحرم، توجه السلطان بعساكره نحو الديار المصرية، وقد أجمع أكابر الأمراء على خلعه. فلما انتهوا إلى منزلة[(٣)] العوجا، جلس السلطان في الدهليز، وحضر الأمراء إلى الخدمة، وطلب الأمير بدر الدين بيسري الشمسي طلباً مزعجاً. وكان قد توجه إلى الزيارة، فلما حضر، لم يقم له على عادته. ويقال: إنه كلّمه بكلام غليظ ونسبه إلى أنه كاتب التتار، وحصل بينهما مفاوضة، ثم نهض السلطان من المجلس.

وقام الأمراء، واجتمعوا في خيمة الأمير حسام الدين لاجين، نائب السلطنة، وتكلموا فيما وقع. فسأل الأمير بدر الدين بيسري، الأمير حسام الدين عن موجب

---

(١) جوسية: تقدم التعريف بها قبل قليل.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨١٦.

(٣) يشير المقريزي: السلوك ج ١، ص ٨١٩. أن منزلة العوجا موضع قريب من الرملة.

إغلاظ السلطان له. فقال: إن مماليك قد كتبوا عنك كتباً إلى التتار، وأحضروها إليه، ونسبوك إلى أنك كتبتها، ونيته إذا وصل إلى قلعة الجبل، أن يقبض عليّ وعليك، وعلى أكابر الأمراء، ويقدم مماليكه. فأجمعوا عند ذلك على خلعه. وركب الأمير حسام الدين لاجين، والأمير بدر الدين بيسري، والأمير شمس الدين قراسنقر، والأمير سيف الدين قبجاق، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب ومن انضم إليهم. استصحبوا معهم حمْل نقّارات[1]، وساقوا إلى باب الدهليز. وحركت النقارات حربياً، وذلك في يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم، سنة ست وتسعين وستمائة. فلما مروا بخيمة بكتوت الأزرق العادلي قتلوه. وركب بتخاص العادلي، وتوجه إلى باب الدهليز فقتلوه أيضاً وجرحوا عدة من المماليك [العادلية][2]. ولما شاهد الملك العادل ذلك. خرج من ظهر الدهليز، وركب فرس النوبة ببغلطاق [صدر][3]، وعبر على القنطرة التي على ماء العوجا، وساق ركضاً [يريد دمشق][4]، وأدركه خمسة أو ستة[5] من مماليكه، واستقر به السير إلى دمشق. ودخل قلعتها، فكان أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) النقّارات: جمع نقارة، من الآلات الملكية المختصة بالمواكب العظيمة بمصر منذ أيام الفاطميين، وكانت تحمل على عشرين بغلاً على كل بغل ثلاث، وتسير في المواكب اثنين اثنين، وكانت النقارات تحمل في ركاب السلاطين إلى الحرب فتستخدم في إصدار الأوامر في الإيذان ببدء القتال. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٥٢.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي ج ١، ص ٨٢٠.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٢٠.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٢٠.

(٥) «ولم يدركه سوى خمسة من مماليكه» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٢٠.

ذكر سلطنة السلطان الملك المنصور حسام الدين[1] لاجين المنصوري

وهو السلطان الحادي عشر من ملوك الترك، بالديار المصرية. وهو من مماليك السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون. اشتراه في زمن إمرته مرتين. وكان من مماليك الملك المنصور نور الدين علي [ابن المعز أيبك][2]، فلما سُفِّر إلى بلاد الأشكري، تأخر بالقاهرة، فاشتراه السلطان الملك المنصور، في أيام إمرته بسبعمائة وخمسين درهماً [من غير مالك شرعي][3]. ثم تبيَّن له بعد ذلك أنه من مماليك الملك المنصور ابن الملك المعز، وقيل له إنه غائب ولا يصح بيعه إلا من حاكم [شرعي][4]، فاشتراه ثانياً من قاضي القضاة، تاج الدين ابن بنت الأعز، بما يزيد عن ألف درهم. وباعه على الغائب، بالغبطة له. وقد شاهدت أنا عهديته[5] في جملة عُهَد المماليك المنصورية السيفية، وشذَّ عني تحقيق الثمن الثاني، إلا أنه يزيد على ألف درهم. ولعل ذلك ألف وخمسون درهماً. وكان يوم ذاك يدعى شقير. كذا رأيت عهديته (لاجين المدعو شقير)، وكان في البيت المنصوري يعرف بلاجين الصغير. وتأمر وناب عن السلطنة بدمشق، وهو لا يعرف بين الناس إلا بلاجين الصغير. وسألت بعض أكابر الأمراء من المماليك المنصورية، الذين كانوا في خدمة السلطان، في زمن إمرته، عن لاجين الكبير، الذي مُيِّزَ هذا بالصغير بسببه، فما عرفوه. ولعل هذه الشهرة وقعت عليه وقوع القلب، والله أعلم.

وتنقل لاجين هذا من خدمة السلطان الملك المنصور، من وظيفة الأوشاقية إلى السلاح دارية. ولما قبض عليه السلطان الملك الأشرف، بعد عزله من نيابة الشام، ثم

---

(١) ترجمته وأخباره في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٢٠، وبدائع الزهور لابن إياس ج ١، ص ٣٩٤، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٢، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٣٢، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٤٤٠، والنجوم الزاهرة ج ٨، ص ٧٠.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي ج ١، ص ٨٢٠.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٢٢٢.

(٥) «عهدتيه» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٢.

أفرج عنه وجعله سلاح داراً كما كان، في خدمة أبيه السلطان الملك المنصور، قبل أن يستنيبه بدمشق. وقد تقدم من أخباره وتنقلاته، ما نستغني الآن عن إعادته.

مُلِّك بمنزلة العوجاء من بلاد الساحل. وذلك أنه لما هرب المالك العادل كتبغا من الدهليز، وتوجه إلى نحو دمشق، في الثامن والعشرين من المحرم، سنة ست وتسعين وستمائة، اجتمع الأمراء وتشاوروا فيمن ينصب في السلطنة. فاتفقوا على إقامته في السلطنة، وتلقب بالملك المنصور، وشرط الأمراء عليه شروطاً فقبلها والتزمها. منها أن يكون معهم كأحدهم، وأن لا ينفرد برأي دونهم، وأن لا يبسط أيدي مماليكه فيهم، ولا يقدمهم عليهم، وحلّفوه على ذلك فحلف عليه. فقال له الأمير سيف الدين قبجاق المنصوري: ـ وكان من جملة الأمراء المشار إليهم ـ نخشى أنك إذا جلست في المنصب، تنسى هذا الذي تقرر بيننا وبينك، وتقدم مماليكك، وتخوِّل منكوتمر. فكرر الحلف أنه لا يفعل [ذلك][1]، ولا يخرج عمَّا التزمه. فعند ذلك، حلفوا له وركب بشعار السلطنة، وتوجه بالعساكر نحو الديار المصرية.

ولما وصل إلى غزة، حمل الأمير بدر الدين بيسري الجتر على رأسه. ثم رحل منها، وكان وصوله إلى قلعة الجبل، وجلوسه على تخت السلطنة، في يوم الجمعة عاشر صفر، سنة ست وتسعين وستمائة. ثم ركب بشعار السلطنة، وشَقَّ المدينة[2] في يوم الخميس سادس عشر صفر.

ورتب في نيابة السلطنة [بالديار المصرية][3] مقر ملكه، الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، وجعل الأمير سيف الدين سلار أستاذ الدار، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار أمير جاندار، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي حاجباً. واستمر الصاحب فخر الدين بن الخليلي في الوزارة برهة، ثم عزله على ما نذكره إن شاء الله. وفوض نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير سيف الدين قبجاق المنصوري.

هذا ما كان بالديار المصرية، فلنذكر أخبار الملك العادل [كتبغا][4].

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٣.

(٢) «وقدامه التقليد الخليفتي» في تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٤. و«شقّ القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة وعليه الخلعة الخليفتية، وهي جبة سوداء» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٢٣.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٤.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

ذكر أخبار الملك العادل وما اعتمده بدمشق وما كان من أمره إلى أن انتقل إلى صرخد

لما فارق الملك العادل الدهليز والأمراء، توجه إلى دمشق. وقدم قبله أحد مماليكه ليعم مملوكه الأمير سيف الدين أغرلوا نائب السلطنة [بدمشق](١) ما تجدد، ويخبره بوصول السلطان. فوصل أمير شكار(٢) في بكرة نهار الأربعاء، سلخ المحرم. فجمع نائب السلطنة [بدمشق](٣) الأمراء، وركب جماعة من العسكر، وأمرهم بالوقوف خارج باب النصر.

ثم وصل الملك العادل إلى دمشق، في وقت العصر من اليوم المذكور، ومعه أربعة أو خمسة من مماليكه. ودخل إلى القلعة، واستقر بها، وحضر إلى خدمته الأمراء، وخلع على جماعة. وأمر بإيقاع الحوطة على حواصل الأمير حسام الدين لاجين ونوابه، ثم وصل الأمير زين الدين غلبك العادلي في يوم الخميس، مستهل صفر، بجماعة يسيرة من المماليك العادلة. وجلس شهاب الدين الحنفي وزير الملك العادل في الوزارة بالقلعة، ورتب أحوال السلطنة، وأمَّر العادل جماعة من دمشق، ووضع بعض المكوس(٤)، وقرىء بذلك توقيع في يوم الجمعة سادس عشر صفر.

وفي يوم السبت رابع عشرين الشهر، وصل الأمير سيف الدين كجكن وجماعة من الأمراء، كانوا معه بالرحبة مجردين، فلم يدخلوا دمشق، وتوجهوا إلى جهة ميدان

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٤.

(٢) أمير شكار: صاحب هذه الوظيفة يتحدث على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها، وعلى سائر أمور الصيد، وشكار لفظ فارسي معناه الصيد. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ٢٣.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٤.

(٤) المكوس: مفردها «مكس» ضريبة تفرض على الإنتاج وعلى السلع الواردة والصادرة الموجودة في المواني. وكانت المكوس في عهد المماليك مقرراً على البيوت والحوانيت والخانات والحمامات والأفران والطواحين والبساتين والمراعي ومصائد الأسماك والمعاصر والحجاج والمسافرين والمراكب والصيد والأغنام والجاموس والبقر والأفراح وغير ذلك. وكان الماكس ومعه المستوفون والكتاب والجنود، يتخذون ساحل مصر القديمة وبولاق لجبايتها كما كان يجبيها عرفاء الأسواق في الأسواق أو يتكفل بتحصيلها الضمان أو حتى الضمانات ضامنة الأفراح أو ضمان الحشيش، والواقع أن هذه الضريبة كانت جائرة وغير شرعية، لأنه لم يرد في كتب الشريعة نصوص بشأنها، ولذلك ألغاها بعض سلاطين المماليك وألغوا بعضاً منها. فالسلطان شيخ مثلاً أبطل مكس الفواكه. ونقش ذلك على خامة بالجامع الذي بناه في عام ٨٢٣ هـ، وكانت المكوس تدرّ دخلاً طائلاً للدولة. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٢٥.

الحصا. وأعلن باسم السلطان الملك المنصور حسام الدين [لاجين][١]، وخرج إليه الأمراء بدمشق، طائفة بعد طائفة. فلما علم الملك العادل بذلك، وتحقق انحلال أمره، وتخاذل الناس عنه، وثبات قدم الملك المنصور في السلطنة، وانضمام الناس إليه، أذعن إلى الطاعة، والدخول فيما دخل الناس فيه. وقال الأمراء: السلطان الملك المنصور، هو خوشداشي، وأنا في خدمته، وطاعته، وأنا أكون في بعض القاعات بالقلعة إلى أن يكاتب السلطان، ويرد جوابه، بما يقتضيه رأيه في أمري. فعند ذلك اجتمع الأمراء بباب الميدان، وحلفوا بأجمعهم للسلطان الملك المنصور، وكتبوا إليه بذلك.

وتوجه البريد إليه بالخبر، ودخل الأمير سيف الدين جاغان إلى القلعة ورتب من يحفظ الملك العادل بها، إلى أن يرد جواب السلطان [المنصور][٢] في أمره، وغلقت أبواب دمشق، في يوم السبت خلا باب النصر، وركب عسكر دمشق بالسلاح،وأحاطوا بالقلعة حفظاً لها، وخوفاً أن يخرج الملك العادل منها، ويقصد جهة أخرى قبل ورود جواب السلطان في أمره. ثم دقت البشائر في وقت العصر من يوم السبت المذكور، وأعلن باسم السلطان الملك المنصور، وقرأ المؤذنون في ليلة الأخذ الخامس والعشرين من الشهر بالمأذن ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] إلى آخر الآية. ودعوا للملك المنصور، ودعا له قارىء المصحف، بعد صلاة الصبح، وضربت البشائر على أبواب الأمراء، وأظهروا الفرح والسرورة بسلطنته، وفتحت أبواب البلد وزينت، وفتح الناس حوانيتهم.

وفي يوم الأحد المذكور، اجتمع القضاة بدار السعادة، وحضر الأمراء والعساكر، وحلفوا للملك المنصور. وتولى التحليف القاضي شمس الدين بن غانم، بحضور الأمير سيف الدين أغرلوا، نائب السلطنة، وحلف هو أيضاً، وأظهر السرور بسلطنة الملك المنصور. وقال: السلطان، أعز الله تعالى نصره، هو الذي عينني لنيابة السلطنة، وأستاذي كان قد استصغرني، فأشاد هو بي، فأنا نائب السلطان الملك المنصور، ثم توجه هو والأمير سيف الدين جاغان إلى الأبواب السلطانية[٣].

وخطب للملك المنصور حسام الدين لاجين، بجوامع دمشق، في يوم الجمعة، مستهل شهر ربيع الأول، سنة ست وتسعين وستمائة. وكان الأمير شمس الدين سنقر

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٦.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٦.

(٣) الأبواب السلطانية: هي مقام السلطان وتصدر عنها المراسيم والمكاتبات أو هيئة ديوان السلطان. وفيها كتاب الدست وكتاب الدرج وهم الذين يكتبون الولايات والمكاتبات ونحوها مما يكتب عن الأبواب الشريفة. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٣.

الأعسر، قد حضر من جهة السلطان الملك المنصور إلى ظاهر دمشق، في ليلة الأحد رابع صفر، وأرسل إلى الأمراء كتباً كانت معه، وحلف جماعة منهم. وتوجه إلى قارا[١] في ليلته، وكان بها جماعة من الأمراء المجردين، فاجتمع بهم، وقرَّر[٢] الأمر معهم، وكتب إلى السلطان بذلك. ثم رجع وأقام بِلِد بجماعته، حفظ للبلاد بتلك الجهة. فلما بلغه استقرار الأمور بدمشق، توجه إليها، ودخلها في يوم الخميس، سابع عشرين صفر. فتلقاه الناس، واشتعلت الشموع لمقدمه نهاراً، وحضر الأكابر والأعيان إلى خدمته. ونودي بدمشق، من له مظلمة، فليحضر إلى دار الأمير شمس الدين سنقر [الأعسر][٣].

ثم وصل الأمير حسام الدين أستاذ الدار إلى دمشق، بجماعة من العسكر، وجمع الأمراء بدار السعادة، بحضور القضاة. وقرىء عليهم كتاب السلطان، يتضمن استقراره في الملك، وجلوسه على تخت السلطنة، بقلعة الجبل، واجتماع الكلمة عليه، وركوبه بالخلع الخليفية، والتقليد من أمير المؤمنين، الحاكم بأمر الله، أبي العباس أحمد[٤].

ثم وصل الأمير سيف الدين جاغان الحسامي، من الأبواب السلطانية، في عشية يوم الاثنين، حادي عشر شهر ربيع الأول. ودخل في بكرة نهار الثلاثاء، إلى قلعة دمشق، هو والأمير حُسام الدين [الظاهري][٥] أستاذ الدار في الدولة المنصورية [والأشرفية][٦] كُجْكُن، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة [قاضي دمشق][٧]، واجتمعوا بالملك العادل فتكلم معهم كلاماً كثيراً بحيث إنه طال المجلس كالعاتب عليهم[٨]، فحلف للسلطان الملك المنصور يميناً مستوفاة مغلظة، أنه في طاعة السلطان الملك المنصور وموافقته، وإخلاص النية له، وأنه رضي بالمكان الذي عينه له، وهو قلعة صرخد، وأنه لا يُكَاتِب ولا يستفسد أحداً، إلى غير ذلك، مما اشترط عليه. ثم وصل الأمير سيف الدين قبجاق المنصوري، نائب السلطنة بالشام، إلى دمشق في يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول، ونزل بدار السعادة[٩]، على عادة النواب[١٠].

---

(١) قارا: هي قرية من أعمال دمشق جنوبي حمص تقع على قارعة الطريق بين حمص ودمشق. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤، ص ٣٣٤.

(٢) «فحلفهم وحلّف عدة من الناس» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٢٤.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٧.

(٤) راجع تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٧.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٥٦.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٥٦.

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٥٦.

(٨) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٥٦.

(٩) دار السعادة: تقدم التعريف بها.

(١٠) راجع السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٢، وتاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٨.

وخرج الملك العادل، من قلعة دمشق، وتوجه إلى صرخد، في ليلة الثلاثاء تاسع عشر، شهر ربيع الأول. وتوجه معه مماليكه. وجرد معه جماعة من العسكر الشامي، إلى أن وصل إلى قلعة صرخد.

فكانت مدة سلطنة الملك العادل، منذ جلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل، في يوم الأربعاء حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة، وإلى أن فارق الدهليز بمنزلة العوجا، وتوجه إلى دمشق، في يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم، سنة ست وتسعين وستمائة، سنتين وسبعة عشر يوماً، إلى أن خلع نفسه من السلطنة بدمشق، في يوم السبت رابع عشرين صفر، شهراً واحداً، وأحد عشر يوماً.

ولما وصل الأمير سيف الدين جاغان إلى دمشق، أحضر على يديه توقيعاً للصاحب تقي الدين توبة، بوزارة دمشق على عادته، وتوقيعاً للقاضي أمين الدين بن هلال بنظر الخزانة[١]، عوضاً عن تقي الدين توبة، وتوقيعاً للشيخ أمين الدين العجمي بنظر الحسبة بدمشق. فباشر كل منهم ما فوض إليه. ثم خلع على الأمراء والمقدمين، والقضاة، وأعيان الدولة بدمشق، في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الآخر. فيقال إن عدة التشاريف التي فرقت ستمائة تشريف.

ذكر الإفراج عن جماعة من الأمراء

وفي هذه السنة، أفرج السلطان الملك المنصور عن جماعة من الأمراء المعتقلين، وهم: الأمير ركن الدين بيبرس الجَاشَنْكِير[٢]، والأمير سيف الدين بن برلغي الأشرفي، والأمير شمس الدين الركن السلاح دار، وغيرهم من المماليك السلطانية، وأعطى الأمير ركن الدين بيبرس [الجاشنكير][٣] إمرة بالديار المصرية، والأمير سيف الدين برلغي إقطاعاً بدمشق، فتوجه إليها.

وفيها، أمَّر السلطان الملك المنصور جماعة من مماليكه، وهم: الأمير سيف الدين

---

(١) «خزانة شمايل» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٢٦. وهي من أشنع السجون في القاهرة وأقبحها منظراً وكان يحبس فيها من وجب عليه القتل من السراق وقطاع الطريق ومن يريد السلطان إهلاكه من المماليك. راجع السلوك للمقريزي ج ١، ص ٨٢٦.

(٢) الجاشنكير: وهو الذي يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يُدَسّ فيه سُمٌّ ونحوه، وهو مركّب من لفظين فارسيين: أحدهما جاشْنا بجيم التي تلفظ كالشين ومعناه الذوق. والثاني كِير وهو بمعنى التعاطي لذلك، ويكون المعنى الذي يذوق. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص ٤٣٢.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٩.

منكوتمر، والأمير علاء الدين أيدغدي شقير، والأمير سيف الدين بيدرا، والأمير سيف الدين جاغان، والأمير سيف الدين بهادر المعزي.

ذكر تجديد عمارة الجامع الطولوني وترتيب الدروس به، والوقف على ذلك

وفي هذه السنة، أمر السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بتجديد عمارة الجامع الطولوني [بظاهر القاهرة][١]. وندب لذلك الأمير علم الدين سنجر الدواداري. وأقر لعمارته من خالص ماله، عشرين ألف دينار عيناً. فاهتم الأمير علم الدين، المشار إليه، بعمارته وعمارة أوقافه. وابتاع السلطان من بيت المال منية أندونة[٢]، من الأعمال الجيزية[٣]، ووقفها على المدرسين والمشتغلين وأرباب الوظائف بالجامع. ورتب فيه درساً لتفسير كتاب الله العزيز، ودرساً لحديث رسول الله ﷺ، ودروساً للفقه على المذاهب الأربعة. وجعل لهذه الدروس مدرساً لكل طائفة، ومعيدين وطلبة. ورتّب دروساً للطب، وميعاداً[٤] للرقائق، وشيخاً للسبحة، ومكتب سبيل، وغير ذلك من أنواع البر. ورتب لهم الجامكيات[٥] المتوفرة، واستمر ذلك إلى الآن[٦].

وفي هذه السنة، نقل السلطان، الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد العباسي أمير المؤمنين، من البرج الذي كان يسكنه بقلعة الجبل إلى مناظر الكبش. وأجرى عليه

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٩.

(٢) أندونة: هي إحدى قرى الجيزة، عرفت بأندونة كاتب أحمد المدائني الذي كان يتقلد ضياع موسى بن بغا التي بمصر فقبض أحمد بن طولون على أندونة هذا، وكان نصرانياً، فأخذ منه خمسين ألف دينار. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٣٦.

(٣) الأعمال الجيزية: كان عمل الجيزية أول أعمال الصعيد بالديار المصرية، وهو أقربها إلى الفسطاط والقاهرة. وكان مقر الولاية مدينة الجيزة. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٤٣.

(٤) الميعاد: درس ديني للوعظ والإرشاد والحث على التقوى وفي Dozy. Supp. Dict, Ar, une lecture de devotion وune leçon religieuse ورقائق الحديث النبوي والآيات الوعظية من القرآن كانت أهم مواد تلك المواعيد. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٨٢٧، حاشية (٣) و ص ٥٥٧، حاشية (١).

(٥) الجامكيات: تقدم التعريف بها.

(٦) أشار ابن الفرات إلى السبب في اهتمامه بعمارته قائلاً: وكان سبب اهتمامه بعمارته أنه لما هرب بعد قتل الملك الأشرف اختفى في منارته، وكان الجامع إذ ذاك مهجوراً ليس يوقد فيه غير سراج واحد، وليس أحد يصعد إلى منارته في أوقات الأذان، وإنما يؤذن شخص واحد على باب الجامع. تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٣٠.

وعلى أولاده الأرزاق الواسعة، ووصله بالصلات الجزيلة، وصار يركب معه في الموكب. والتمس الخليفة من السلطان الإذن في الحج، فأذن له في سنة سبع وتسعين وستمائة، وجهزه بما يحتاج إليه.

ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية والشام لمن يذكر

وفي هذه السنة، حضر إلى الأبواب السلطانية جماعة من قضاة القضاة والأعيان بدمشق، منهم قاضي القضاة حسام الدين الحنفي الرومي، وقاضي القضاة جمال الدين المالكي، والقاضي إمام الدين القزويني، والرئيس عز الدين حمزة بن القلانسي وغيرهم. فلما وصلوا، أكرمهم السلطان، وأحسن إليهم، وخلع عليهم. وفوض إلى قاضي القضاة حسام الدين الحنفي قضاء القضاة بالديار المصرية، وعامله بما لم يُعامِل به أحداً من الإكرام، والتقريب والبر والتشاريف. وأقر ولده القاضي جلال الدين على قضاء الشام. وفوض إلى القاضي إما الدين القزويني الشافعي، قضاء القضاة بدمشق على مذهب الإمام الشافعي، وكُتِب تقليده في رابع جمادى الأولى، عوضاً عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة. واستقر بيد القاضي بدر الدين الخطابة بالجامع الأموي بدمشق، وتدريس المدرسة القيمرية، وأعيد القاضي جمال الدين الزواوي المالكي إلى دمشق على عادته، وخلع عليهما، فكان وصولهما إلى دمشق في ثامن شهر رجب. وجلس القاضي إمام الدين للحكم بالمدرسة العادلية، وامتدحه الشعراء، فكان ممن امتدحه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني[١] بقصيدته التي أولها:

تَبَدَّلت الأيام من عسرها يسراً ... فأضحت ثغور الشام تفتر بالبشرى

وأما الرئيس عز الدين حمزة بن القلانسي[٢]، فإنه تأخر بالديار المصرية مدة، ثم عاد إلى دمشق، فوصلها في الخامس والعشرين من شهر رمضان. وقد خلع عليه خلع الوزراء، تشريفاً كاملاً بطرحه ومنديل هنكري مزركش، وخلع على ولديه. واستعاد [له][٣] من ورثة السلطان الملك المنصور، ما كان قد صودر به، وأُخِذ منه في الأيام المنصورية. وأثبت ذلك في وجه وكيل الورثة المنصورية، وتعوض عنها أملاكاً، من الأملاك المنصورية، فذكر أن قيمتها أضعاف ما أخذ منه، منها حصة بقرية الرمثا وغير ذلك.

---

(١) هو محمد بن علي بن عبد الواحد قاضي القضاة ذو الفنون جمال الإسلام كمال الدين بن الزملكاني الأنصاري السماكي الدمشقي. ولد سنة ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨ م، توفي سنة ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦ م، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ج ٤، ص ٧ ـ ١١، ترجمة ٤٨٨.

(٢) راجع تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٣١.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٣١.

وفيها، ولي الأمير سيف الدين جاغان الحسامي شد الشام، وباشر ذلك في يوم الاثنين العشرين من شهر رجب، عوضاً عن الأمير فتح الدين بن صبرة.

ذكر تفويض الوزارة بالديار المصرية للأمير شمس الدين سنقر الأعسر

وفي هذه السنة، تقدم أمر السلطان بطلب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري، من دمشق على خيل البريد. فركب منها في سابع عشر جمادى الآخرة. ووصل إلى الأبواب السلطانية في الشهر المذكور، فأكرمه السلطان وأحسن إليه، وشرَّفه وأمَّره بالديار المصرية. ثم فوض إليه الوزارة، وتدبير الدولة، بالديار المصرية والممالك الشامية.

وكان جلوسه في دست الوزارة، في السادس والعشرين، من شهر رجب. وعزل الصاحب فخر الدين بن الخليلي. وسلِّم إليه، ليستخرج منه مالاً. واستمر في الوزارة إلى يوم السبت ثالث عشرين ذي الحجة، فقبض عليه لأمور أنكرها السلطان، وظهرت له منه.

ذكر القبض على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب السلطنة، وتفويض نيابة السلطنة للأمير سيف الدين منكوتمر

وفي هذه السنة، في يوم الثلاثاء منتصف ذي القعدة، قبض السلطان على نائبه وخوشداشه، الأمير شمس الدين قَرَاسُنْقُر المنصوريّ واعتقله. وأمر بإيقاع الحوطة على موجوده وحواصله، بالديار المصرية والبلاد الشامية. وفوَّض السلطان، بعد القبض عليه، نيابة السلطنة بمقر ملكه، لمملوكه الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي[١].

وفي هذه السنة، بعد القبض على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، ركب السلطان الملك المنصور إلى الميدان[٢]، للعب بالكرة، فتقنطر به فرسه، فسقط إلى الأرض، وانكسر أحد جانبي يديه وبعض أضلاعه. ووجد شِدّة عظيمة لذلك. واحتاج المجبرون إلى كسر عظم الجانب الآخر من يده، لأجل صحة الجبر، فإنه لا يجبر أحد

---

(١) هو منكوتمر بن عبد الله الحسامي المنصوري توفي سنة ٦٩٨ هـ ترجمته في الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٢، حاشية (٤)، الدليل الشافي لابن تغري بردي ج ٢، ص ٧٤٦، ترجمة ٢٥٤٦.

(٢) الميدان تقدم التعريف به.

الجانبين، وإن انجبر قصر عن الجانب الآخر، فتعذَّر الانتفاع باليد، واضطُرّ إلى ذلك، وتوقف عن الإجابة إليه. فدخل عليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ـ وكان ذلك قبل القبض عليه ـ وقال له: أنا حصل لي مثل هذا، فلما احتجت إلى كسر النصف الآخر، ضربته بدقماق حديد[1]، فانكسر ثم جبر. وكلَّمه في ذلك بكلام فيه غلظ واستخفاف. ولم يسلك ما جرت العادة به من الآداب الملوكية. فكان هذا من أسباب القبض عليه كما تقدم.

واستمر السلطان على الانقطاع لهذه الحادثة، إلى أن كملت صحته، وصح ما جبر من يده وجسده. ثم ركب في حادي عشر صفر، سنة سبع وتسعين وستمائة فاستبشر الناس بذلك، ودقّت له البشائر بمصر والشام.

وفي سنة ست وتسعين وستمائة، في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول كانت وفاة الشيخ الإمام، السيد الشريف ضياء الدين مفتي المسلمين، أبي الفضل جعفر ابن الشيخ العارف القطب اتفاقاً، عبد الرحيم بن أحمد بن مجنون الحسيني الشافعي، رحمه الله، وكان قد ولي وكالة بيت المال، في أول الدولة المنصورية، مدة لطيفة، ثم عزل نفسه.

وفيها، في ليلة الثلاثاء، سادس عشر ربيع الأول، توفي الشيخ الأمام الحافظ جمال الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ محمد بن عبد الله الظاهري، وولده محمد عتيق السلطان الملك الظاهر غازي. ودفن بتربته بمقبرة باب النصر، ظاهر القاهرة، رحمه الله تعالى.

وفيها، في يوم الاثنين ثامن عشر شعبان، توفي الصدر سيف الدين أحمد بن محمد بن جعفر الساوي بدمشق، ودفن بداره، جوار المدرسة الكروسية، داخل دمشق. وكان كبير المحل في النفوس، مشهور المكانة عند الخليفة المستعصم بالله وغيره. وقد تقدم ذكره في الدولة المنصورية. وكان حسن الشعر إلا أنه كان كثير الهجاء. وأهاجيه مشهورة، منها الأرجوزة التي عملها في مباشري الدولة المنصورية الناصرية بدمشق، وهي مشهورة.

وفيها، في ليلة الخميس الثالث والعشرين من ذي القعدة، كانت وفاة الأمير عز الدين أزدمر العلائي، أحد الأمراء بدمشق. وهو أخو الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري، رحمهما الله تعالى.

---

(١) في الأصل: جديد. والتصحيح من تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٣٢، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٠.

وفيها، كانت وفاة الصاحب محيي الدين أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس الأسدي. وكانت وفاته ببستانه بالمزة، في سلخ ذي الحجة ودفن في مستهل المحرم. ولي الوزارة بالشام مراراً. ولما توفي، كان مدرساً بالمدرسة الريحانية الظاهرية وناظر الخزانة، رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة سبع وتسعين وستمائة
[٦٩٧ هـ = ١٢٩٧/١٢٩٨ م]

ذكر وصول الملك المسعود نجم الدين خضر(١) ومن معه من القسطنطينية إلى الديار المصرية

كان السلطان قد كتب إلى الأشكري، صاحب القسطنطينية، في سنة ست وتسعين وستمائة، إن تُجهِّزوا أولاد الملك الظاهر إلى الديار المصرية مكرمين، هم ومن معهم. فجهز إليه الملك المسعود نجم الدين خضر ووالدته. وأحضر الملك العادل سلامش في تابوت مصبراً، وكان قد مات بالقسطنطينية. وكان وصولهم في هذه السنة، فأكرمهم السلطان، وأحسن إليهم. وكان قد تزوج إحدى بنات الملك الظاهر، فلذلك كتب بإحضارهم، ودفن الملك العادل بدر الدين سلامش. ثم استأذن الملك المسعود السلطان في الحج، فأذن له، فحج في هذه السنة. وجهزه السلطان بما يحتاج إليه. ولما عاد، سكن القاهرة المعزية.

وفي هذه السنة، كتب تقليد الأمير سيف الدين قبجاق(٢) المنصوري، بنيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس. وجهّز إليه إلى دمشق، فوصل إليه في يوم الأربعاء مستهل شهر ربيع الأول، يزينه التشريف السلطاني والسيف والحياصة والفرس، ويقال إنه تولى نيابة دمشق في هذه المدة الماضية بغير تقليد، فوصل إليه الآن، فجدّد الحلف للسلطان بحضور القضاة والأمراء. وركب بكرة نهار الخميس، وعليه التشريف، وقبَّل عتبة باب السر بقلعة دمشق على العادة.

---

(١) هو ابن الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي. ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥، ص ٨٧ ـ ٨٨، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١، ص ٢٤١.

(٢) قبجق أو قبجاق بن عبد الله المنصوري سيف الدين توفي سنة ٧١٠ هـ/ ١٣١٠ م ترجمته في تذكرة التنبيه لابن حبيب، ج ١، ص ٢١٠، الدليل الشافي لابن تغري بردي ج ٢، ص ٥٣٣، ترجمة ١٨٢٦، الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٤، حاشية (٢).

ذكر توجه الملك السلطان الناصر إلى الكرك وإقامته بها

وفي هذه السنة، جهز السلطانُ الملك المنصور حسام الدين الملكَ السلطان [الناصر][١] إلى الكرك، فتوجه إليها، وتوجه في خدمته الأمير سيف الدين سلار أستاذ الدار، فوصل إليها في رابع شهر ربيع الأول. فأخبرني قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي، عن خبر إرساله إلى الكرك. قال: طلبني الملك المنصور حسام الدين، وقال لي: «اعلم أن السلطان الملك الناصر ابن أستاذي، وأنا والله في السلطنة مقام النائب عنه. ولو علمت أنه الآن يستقل بأعباء السلطنة ولا تنخرم هذه القاعدة، ويضطرب الأمر، أقمته وقمت بين يديه يديه. وقد خشيت عليه في هذا الوقت، وترجح عندي إرساله إلى قلعة الكرك. فيكون بها إلى أن يشتد عضده، ويكون من الله الخير. والله ما أقصد بأرساله إليها إبعاده، ولكن حفظه، [وأما][٢] السلطنة فهي له». وأمثال هذا الكلام. قال: فشكرته على ذلك، ودعوت له. ولعل السلطان الملك المنصور، إنما قال هذا القول تطبيباً لقلب قاضي القضاة، لا حقيقة، وكان في طي الغيب كذلك.

ولما توجه السلطان لملك الناصر إلى الكرك[٣]، توجه في خدمته جماعة من مماليكه ومماليك أبيه السلطان الملك المنصور، منهم الأمير سيف الدين بهادر الحموي المنصوري وهو أكبرهم سناً، وهو القائم في خدمته مقام اللالا، والأمير سيف الدين أرغون المنصوري الناصري الدوادار، وكان قد تربى في خدمة السلطان من صغره، وسيف الدين طيدمر جوباش، رأس نوبة الجمدارية وغيرهم.

وكان النائب بالكرك يوم ذاك، الأمير جمال الدين أقش[٤] الأشرفي المنصوري وكان في خدمة السلطان الملك الناصر بالكرك، وهو باقٍ على نيابته بها.

ذكر القبض على الأمير بدر الدين بيسري الشمسي وغيره

وفي هذه السنة، في سادس شهر ربيع الآخر، قبض السلطان على الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي. واعتقله بالقاعة الصالحية، بقلعة الجبل. وكان مكرماً

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

(٣) راجع السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٢، وتذكرة التنبيه لابن حبيب ج ١، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٩١.

(٤) هو أقوش أو أقش بن عبد الله الأشرفي. توفي سنة ٧٣٦ هـ/ ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ج ٩، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٩ ترجمة ٤٢٦٧؛ الدليل الشافي لابن تغري بردي، ج ١، ص ١٤٦ ترجمة ٥١٧، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٣.

في اعتقاله، وأحضر إليه زوجته المنصورية، والدة أحمد ابن السلطان الملك المنصور. وكان سبب ذلك أن السلطان ندبه في هذه السنة لكشف جسور الجيزية وإتقانها. وهذه الوظيفة بالنسبة له إطراح كثير له ولعظامته، وإن كانت كثيرة في حق غيره. فتوجه إلى الجيزية بسائر مماليكه وألزامه. فاجتمع معه جمع كثير، يقال إنهم كانوا نحو سبعمائة. وكان يحضر إلى الخدمة في يومي الاثنين والخميس، ويعود إلى مخيمه. فلما تكامل إتقان الجسور، استأذن في عمل ضيافة للسلطان هناك. فأذن له واهتم لها اهتماماً كثيراً. وحصل بسببها جملة من الأغنام والأصناف وغير ذلك. وقرر مع السلطان أن يحضر هذه الضيافة. فأوهم نائبه الأمير سيف الدين منكوتمر، السلطان من خروجه وحذره منه. وأحضر بهاء الدين أرسلان، أستاذ دار الأمير بدر الدين بيسري، وهو ابن مملوكه بدر الدين بيليك، أمير مجلس. وكان قد ربى أرسلان هذا كالولد. فلما كبر قدَّمه على جماعة من أكابر مماليكه الذين كانوا في منزلة أبيه، وجعله أستاذ داره، وأحسن إليه إحساناً كثيراً، فخدمه الأمير سيف الدين منكوتمر ولاطفه ووعده بإمرة طبلخاناة، إن هو أنهى إلى السلطان، أن مخدومه الأمير بدر الدين بيسري يقصد اغتياله. فأطمعت أرسلان نفسه، بما وعده منكوتمر، ووافقه على ما قصده. وحضر إلى السلطان وأوهمه من أستاذه أنه حضر ضيافته قبض عليه وقتله. ثم عضَّد ذلك أن الأمير بدر الدين بيسري، أرسل إلى منكوتمر يطلب منه الدهليز السلطاني، ليُنْصَب في مكان المهم، ولم يشعر بما وقع. فرُسم بتسليم الدهليز لمماليك الأمير بدر الدين بيسري، وأن يتوجه مقدم الفراشين السلطانية ومن معه لنصبه، ولم يطلع السلطان على ذلك. فلما حُمل الدهليز السلطاني على الجمال، ومرَّ به المماليك والغلمان، تحت القلعة ليتوجهوا به إلى الجيزية، رآه السلطان من القلعة. فأرسل إلى الأمير سيف الدين منكوتمر، وسأله عن أمره، فأنكر أن يكون اطلع على شيء من حاله. وقال إن مماليك بيسري أخذوه من الفراش خاناه السلطانية من غير استئذان. ثم قال للسلطان، هذا مما تحقق صدق ما نقل عنه، وأغراه به. فأمر السلطان بإعادة الدهليز إلى الفراش خاناة[١].

وكان الحامل للأمير سيف الدين منكوتمر على ذلك أن أستاذه الملك المنصور حسام الدين، كان قد عزم على أن يجعله وليّ عهده بعده، كما فعل السلطان الملك

---

(١) الفراش خاناه: هي خزانة الفرش وهي التي بها الخيم والبسط والأسمطة والقناديل وما أشبه ذلك، وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك، وكان الخليفة يحضر إليها من غير جلوس ويطوف فيها، ويسأل عن أحوالها ويأمر بإدامة عمل الاحتياطات وحملها إليها ولها مهتار وعدة فراشين عملهم الكنس وفرش البسط والخدمة ومد الأسمطة. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٦١.

المنصور، والملك الظاهر بأولادهما، ويقرن اسمه مع اسمه في الخطبة، لأن لاجين لم يكن له ولد ذكر. فتحدث في ذلك مع الأمير بدر الدين بيسري، فأنكره غاية الإنكار، وأجاب عنه بأقبح جواب، وردَّه بأشنع ردّ. فكان مما حكي أنه قال للسلطان: اعلم أن مملوكك هذا الذي أشرت إليه، لا يصلح للجندية، وقد أمّرته وقدمته، فصبر الناس لك على هذا، وجعلته نائب السلطنة، ومشَّيْتَ الأمراء والجيوش في خدمته، فأجابوا إلى ذلك، طاعة لك، وطلباً لرضاك، مع ما تقدم من أيْمَانَك عند السلطنة، أنَّك لا تقدم مماليكك على الأمراء، ولا تمكنهم منهم، ثم لم تقنع له بما خوَّلته فيه، ومكنته منه، ورفعته من قدره، حتى تقصد أن تجعله سلطاناً مثلك، هذا لا يوافقك الناس عليه أبداً. وحذره من ذلك غاية التحذير، ونهاه عنه، وعن الحديث فيه مع غيره. ولعمري لقد بالغ في النصيحة[١] له. فأعلم السلطان منكوتمر، بما دار بينه وبين الأمير بدر الدين بيسري في أمره، وبما أجاب به في معناه. فرأى منكوتمر أنه منعه مُلْكاً عظيماً، وسلبه أمراً جسيماً. وعلم أنه لا يتم له هذا الأمر، الذي أشار به السلطان، ولا يتمكن منه، مع بقاء بيسري وأمثاله من الأمراء. فشرع في التدبير عليهم، وأغرى مخدومه بهم. وابتدأ بالتدبير على بيسري. وعلم أنه إن ينقل عنه أمراً، ربما أن السلطان لا يتلقاه بقبول، فأخذه من مأمنه. وتحيَّل على أستاذ داره وأرسلان، حتى أنهى عنه ما أنهاه. ثم عضد ذلك بواقعة الدهليز، فتحقق ما نقل عنه. ولما وقع ذلك، أطلع عليه بعض الأمراء الأكابر، فراسلوا الأمير بدر الدين بيسري، وأعلموه، بما اطلعوا عليه وكان ممن راسله في ذلك، الأمير سيف الدين طقجي الأشرفي وغيره من الأمراء، وحذروه من السلطان، وحلفوا له على الموافقة والمعاضدة. فلم يرجع إلى قولهم، ولا أصغى إليهم. ثم أرسل إليه سيف الدين أرغون، أحد مماليك الملك المنصور، وخاصكيته[٢] وأقر بهم عنده، يخبره أن السلطان قد عزم عى القبض عليه، ويحذره من الحضور إلى الخدمة، وإنه إن حضر يكون في أهبة واستعداد. وكان الحامل لأرغون على ذلك، أن أستاذه أمَّر غيره من مماليكه، ولم يؤمره بطبلخاناه[٣] مع اختصاصه به، وإنما أعطاه إمرة عشرة[٤] فوجِدَ في نفسه. ومن العجب أن كل واحد، من السلطان وبيسري، أُتِي في هذا الأمر من مأمنه، وأذاع سره أخص الناس به. فإن أرسلان كان من بيسري بالمكان الذي ذكرناه، كأعز أولاده عنده،

---

(١) قارن بما ورد في السلوك للمقريزي ج ١، ص ٨٣٣.

(٢) الخاصكية: تقدم التعريف به.

(٣) الطبلخاناه: تقدم التعريف به.

(٤) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٥، وإمرة عشرة: ممن لم يؤهل لحمل القُضب. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٣، ص ٥٥١.

وأرغون هذا كان من أخص المماليك المنصورية الحسامية، حتى لقد بلغني أنه أعطاه في يوم واحد، سبعين فرساً، وغير ذلك. فحمل أرسلان الطمع بالإمرة، وحمل أرغون الغيرة من تقديم أمثاله عليه. ففعلا ما فعلا، ونقلا ما نقلا.

وحضر الأمير بدر الدين بيسري إلى الخدمة، في يوم الاثنين السادس من شهر ربيع الآخر. فأخبرني ركن الدين بيبرس الجمدار، أحد [المماليك][1] البدرية، الذين كانوا معه، يوم القبض عليه، أنه لما غبر إلى الخدمة، تلقاه السلطان قائماً على عادته. وجلس إلى جانبه، وبالغ السلطان في إكرامه. ولما قدم السماط، امتنع الأمير بدر الدين من الأكل، واعتذر بالصوم. فأمر السلطان برفع مجمع من الطعام لفطوره، فرفع له. وبقي السلطان يحادثه سراً، ويؤانسه ويشغله عن القيام، إلى أن رفع السماط. وخرج الأمراء، وقام الأمير بدر الدين معهم على عادته. فلما انتهى إلى بعض الإيوان، استدعاه السلطان، فعاد إليه. فقام له أيضاً وجلس معه، وحدَّثه طويلاً، والحجاب والنقباء يستحثون الأمراء على الخروج. ثم قام [بيسري][2]، فاستدعاه [السلطان][3] أيضاً، فعاد إليه، وقام السلطان له، وجلس معه وتحدثا حتى علم أن المجلس والدهاليز لم يبق بها أحد سوى مماليك السلطان فقط فتركه[4].

قال الحاكي لي: ورأيت السلطان قد ناوله شيئاً من جيبه، ما أعلم ما هو، فتناوله الأمير بدر الدين، ووضعه في جيبه. وقبَّل يد السلطان وفارقه. وقد خلي المجلس والدهاليز إلا من المماليك السلطانية. فلما خرج أتاه الأمير سيف الدين طقجي، والأمير علاء الدين أيدغدي شقير الحسامي، وعدلا به إلى جهة أخرى. وقبض أيدغدي شقير على سيفه، وأخذه من وسطه، ونظر إليه طقجي وبكى عند القبض عليه. وتوجها به إلى المكان الذي جهز لاعتقاله به. ولم يزل الأمير بدر الدين معتقلاً إلى أن مات، في الدولة الناصرية على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وقبض السلطان أيضاً على الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، ونُقِل الأمير سيف الدين كرد أمير آخور[5] إلى الحجبة. وقُبِض على الأمير شمس الدين سنقر شاه

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح. كان أرسلان ابناً لبدر الدين بيليك أمير مجلس، وكان بدر الدين هذا مملوكاً للأمير بيسري، ثم قدمه على أكابر مماليكه وعمله استاذ داره. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٨٣٦.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٥.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٥.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٥.

(٥) أمير آخور: وظيفة يتحدث متوليها على اصطبل السلطان والأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل =

الظاهري. وقبض أيضاً في أواخر السنة على الأمير عز الدين أيبك الحموي الظاهري.

وفي جمادى الأولى، أمر السلطان بمصادرة القاضي بهاء الدين بن الحلي ناظر الجيوش المنصورة، وأخذ خطه بألف ألف درهم، وعزله عن الوظيفة. وأُحْضر عماد الدين بن المنذر، ناظر جيش الشام، فولّاه النظر. وكان قد جلس في نِظر الجيش، فيما بين عزل بهاء الدين وحضور ابن المنذر، القاضي أمين الدين المعروف بابن الرفاقي. فلما وصل ابن المنذر، فوض إليه النظر، ومرض أمين الدولة، وانقطع في داره لما حصل له من الألم.

وفي هذه السنة، أقيمت الخطبة وصلاة الجمعة بالمدرسة المعظمية بسفح قاسيون، ولم تكن قبل ذلك، وخطب بها مدرسها شمس الدين بن الشرف بن العز الحنفي، في يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر، باتفاق الملك الأوحد(١) ناظر المدرسة.

ذكر إعادة الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي إلى الوزارة

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، رسم السلطان بإعادة الصاحب الوزير فخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلي إلى الوزارة فعاد، وصادر ألزام الأمير شمس الدين [سنقر](٢) الأعسر.

ذكر تجريد العساكر إلى سيس وما فتح من قلاعها

وفي هذه السنة، جرَّد السلطان الأمير بدر الدين بكتاش الفخري الصالحي أمير سلاح، والأمير حسام الدين لاجين الرومي، أستاذ الدار، والأمير شمس الدين آقسنقر كرتاي، ومن معهم من مضافيهم. وأمرهم أن يتوجهوا إلى بلاد سيس. فتوجهوا من القاهرة، في جمادى الأولى، والمقدم على الجيش أجمع الأمير بدر الدين [بكتاش](٣) أمير سلاح.

= والإبل، وغيرهما مما هو داخل في حكم الاصطبلات. وأهم العاملين في الاصطبلات هو المسؤول عن الأعلاف المسمى «بالسلاخور». محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٤٧، وأحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، ص ١١.

(١) الملك الأوحد شادي بن الزاهر مجير الدين داود بن أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبي. وكان من جملة أمراء الطبلخاناه بدمشق. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٠٩.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٦.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٧.

وكان وصولهم إلى دمشق في يوم الخميس، خامس جمادى الآخرة، وتوجهوا منها في ثامن الشهر. وجرّد معهم من عسكر دمشق، الأمير ركن الدين بيبرس العجمي الجالق، والأمير سيف الدين كجكن، والأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصوري ومضافيهم. وجرد العسكر الصفدي، ومقدمه الأمير علم الدين أيدغدي الإلْدِكْزِيّ. وجرّد جماعة من العسكر الطرابلسي، والملك المظفر صاحب حماه بعسكرها.

ولما اتصل خبر تجريد العسكر بصاحب سيس، جهز رسله إلى الأبواب السلطانية، يستعطف السلطان، ويسأل مراحمه، فلم تُجْد رسالته نفعاً. ووصلت هذه العساكر إلى حلب. وأردف السلطان هذه العساكر بالأمير علم الدين سنجر الداوداري، أحد مقدمي العساكر بالديار المصرية، ومضى فيه، فخرج مسرعاً، وأدرك الجيش بحلب، وجرد من العسكر الحلبي الأمير علم الدين المعروف بالزغلي، والأمير علم الدين سنجر [الحلبي][1]، ومضافيهما. وتوجهت هذه الجيوش بجملتها إلى بلاد سيس. فلما نزلوا بالعمق، افترقت العساكر فرقتين. فتوجه الأمير بدر الدين بكتاش، أمير سلاح، والأمير حسام الدين أستاذ الدار، والأمير ركن الدين الجالق، والأمير بهاء الدين قرا أرسلان، والعسكر الصفدي من عقبة بغراس إلى باب إسكندرونة، ونازلوا تل حمدون. وتوجه الملك المظفر صاحب حماه، والأمير علم الدين سنجر الدواداري، والأمير شمس الدين آقسنقر كرتاي، وبقية الجيش من عقبة المريت. وصار نهر جهان[2] بين الفريقين وكان دخولهم إلى دربند سيس، في يوم الخميس، رابع شهر رجب.

ولما صاروا ببلاد سيس، اختلف الأمير بدر الدين أمير سلاح، والأمير علم الدين الدواداري، فأشار أمير سلاح بالحصار ومنازلة القلاع. وأشار الدواداري بالإغارة والاقتصار عليها. وقال: أنا المقدم على هذه الجيوش كلها، وأنا آخركم عهداً بالسلطان، وإنما رسم السلطان بالإغارة. فاضطر أمير سلاح ومن معه، لموافقة الدواداري، وقطعوا جهات من مخاضة العمودين، وتوجهوا للإغارة. فتوجه صاحب حماه الدواداري، ومن معهما إلى سيس نفسها. وتوجه أمير سلاح ومن معه إلى ناورزه[3]، وأقاموا عليها يوماً وليلة، ورحلوا إلى أذنة، واجتمعت الطائفتان بها، بعد أن قتلوا من ظفروا به من الأرمن، واستاقوا ما مرّوا به من الأبقار والجواميس. وعادوا من أذنة إلى المصيصة بعد الإغارة،

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٨ وفي الأصل: «الحلبي».

(٢) هو النهر المعروف بنهر جيحان الذي ينبع من مرتفعات أرمينية الصغرى، ويصب في البحر المتوسط في خليج أياس. لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٣) ناورزة: هي عين زربة من مدن أرمينية الصغرى جنوب مدينة سيس. لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦١.

وأقاموا بها ثلاثة أيام، حتى نصبوا جسراً مرت العساكر عليه، ورجعوا إلى بغراس، ثم إلى مرج أنطاكية. وأقاموا ثلاثة أيام. ورحلوا إلى جسر الحديد بأرض الروج(١)، عازمين على العود إلى الديار المصرية، بالعساكر المصرية إلى مستقرها.

وكان الأمير بدر الدين أمير سلاح، لما نازعه الدواداري في التقدمة، ومنعه من الحصار، وصمم على الاقتصار على الإغارة، قد كتب إلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخي، نائب السلطنة بالمملكة الحلبية، يعلمه بما وقع والتمس منه مطالعة السلطان بذلك. فطالع بصورة الحال، فورد الجواب من السلطان، والعساكر بالروج، يتضمن الإنكار على الأمير علم الدين الدواداري، كونه ادّعى التقدمة على الأمير بدر الدين أمير سلاح، واقتصر على الإغارة، وأن الدواداري إنما خرج مقدماً على مضافيه خاصة، وإن التقدمة على سائر الجيوش للأمير بدر الدين أمير سلاح. ورسم السلطان أن العساكر لا تعود، إلا بعد فتح تل حمدون. وإن عادت قبل فتحها، فلا انقطاع لهم بالديار المصرية؛ إلى غير ذلك من الحث على فتحها. فعند ذلك، عطفت العساكر من الروج إلى جهة حلب، ووصلوا إليها، وأقاموا بها ثمانية أيام، وتجهَّزوا منها بما يحتاجون إليه. ودخلوا إلى بلاد سيس بأثقالهم، وعبروا بجملتهم من عقبة بغراس. وجرَّد الأمير بدر الدين [بكتاش](٢) أمير سلاح، الأميرين سيف الدين كجكن، وبهاء الدين قرا أرسلان، إلى إياس، فأكمن لهم الأرمن في البساتين، فلم تتمكن العسكر من قتالهم، ورحلوا شبه المنهزمين، فأنكر أمير سلاح عليهم وسبَّهم، فاعتذروا بضيق المسلك والتفاف الأشجار، وعدم التمكن من العدو. ثم رحل بجميع الجيش، ونزل على تل حمدون(٣) فوجدها خالية، وقد انتقل من بها من الأرمن إلى قلعة نُجيمة، فتسلمها، في سابع شهر رمضان، وسلمها للأمير علم الدين الشيباني، النائب ببغراس.

ولما دخل الجيش إلى بلاد سيس، جرَّد الأمير سيف الدين الطباخي، نائب السلطنة بحلب، طائفة من عسكرها، ومن انضم إليهم من التركمان وغيرهم، ففتحوا قلعة مرعش، في عاشر شهر رمضان أيضاً. ثم جاء الخبر إلى العسكر أن وادياً تحت قلعة نجيمة وحمّوص(٤) قد امتلأ بالأرمن، وأن المقاتلة من قلعة نجيمة يحمونهم.

---

(١) الروج: قرية واقعة غربي حلب بينها وبين المعرة، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ظ، ص ٨٦.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٩.

(٣) قلعة حصينة من بلاد الأرمن لها سور جيد البناء حسنه. ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج ٢، ص ١٢٧، حاشية (١).

(٤) في الأصل: حميمصي. وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٤٠ حميص وهي قلعة تقع شرقي تل حمدون وردت باسم حمّوص، انظر Dozy. Supp. Dict, Ar. ووردت حمصيص في الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٧، حاشية (٢).

فندب إليه طائفة من العسكر، فرجعوا، ولم يبلغوا غرضاً. ثم سيَّر[١] طائفة ثانية، فرجعوا كذلك. فرحل الأمراء بجملتهم في نفر من أعيان الجيش وأقويائه، وقاتلوا أهل نجيمة، حتى ردوهم إلى القلعة.

ثم تقدم الجيش إلى الوادي، وقتلوا من به من الأرمن، وأسروا ونهبوا، ونازلوا قلعة نجيمة ليلة واحدة. ثم خرج العسكر إلى الوطاة[٢]، وبقي صاحب حماه وأمير سلاح، في مقابلة من بالقلعة، حتى خرج العسكر، خشية أن يخرج أهل نجيمة، فينالوا من أطراف العسكر. ثم خرجوا بجملتهم واجتمعوا بالوطاة. فوصل البريد بكتب السلطان، يتضمن أنه بلغه أن تل حمدون أخليت، وأنها أخذت بغير قتال ولا حصار، وانتقل من بها إلى قلعة نجيمة وحصارها، إلى أن تفتح، فعادت العساكر إليها وحاصروها. واختلف أمير سلاح والدراوردي أيضاً، فقال الدواداري: إن هذا الجيش بجملته إذا نازل هذه القلعة، لا يظهر من اجتهد وقاتل، ممن تخاذل وعجز. والقتال عليها إنما هو من وجه واحد. والرأي أن يتقدم في كل يوم مقدم ألف، ويزحف بجماعته ليظهر فعله، واستقل القلعة واستصغرها وحقَّر أمرها. وكان في جملة كلامه أن قال: أنا آخذ هذه القلعة في حجري. فاتفق الأمر على أن يتقدم الدواداري بألفه، للزحف في أول يوم. فزحف بمن معه حتى لاحف[٣] السور. فأصابه حجر منجنيق في مشط رجله، فقطعه وسقط إلى الأرض. فتبادر الأرمن بالنزول إليه، وكادوا يأسرونه. فحمل أمير سلاح بجماعته، حتى حجزهم عنه، وأخرج الدواداري على جنوية[٤]، وحمل إلى وطاقه[٥]. وعادوا إلى حلب، ثم توجه منها إلى الديار المصرية. وقد سكنت نفسه، ونقصت حرمته، عما كانت عليه، وكان قبل ذلك له حرمة وافرة. وقتل الأمير علم الدين سنجر طقصبا الناصري، على هذه القلعة وزحف الأمير شمس الدين آقسنقر كرتاي في اليوم الثاني، وانتهى إلى سورة القلعة ونقبه، وخلَّص منه ثلاثة أحجار. واستشهد من مماليكه وأجناده أحد عشر رجلاً، ونفران من الحجارين.

ثم زحف أمير سلاح[٦]، وصاحب حماه، وبقية الجيش.ورتَّبهم أمير سلاح

---

(١) من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٤٠.

(٢) الوطأة: السهل Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) لاحف السور: أي جانبه. بطرس البستاني: محيط المحيط (لحف).

(٤) تقدم التعريف به. (٥) الوطاق: تقدم التعريف به.

(٦) أمير سلاح: وظيفة عسكرية كبرى في دولة سلاطين المماليك لا يشغلها إلا أمير مائة مقدم ألف، وهو أمير السلحدارية، والمشرف على السلاح خاناه بما فيها من أدوات وأسلحة. ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج ٢، ص ١٢٧، حاشية (٦).

طوائف، طائفة تتلو أخرى. وقرر معهم، أن يردف بعضهم بعضاً. وتقدموا بالجنويات، حتى وصلوا إلى السور، وأخذوا مواضع النقوب[١]، وأقاموا الستائر[٢]. ولازموا الحصار عليها واحداً وأربعين يوماً. وقد اجتمع بها جمع كثير من الفلاحين والنساء والصبيان من أهل القرى المجاورة لها، فقلّت المياه بالقلعة. فاضطر الأرمن إلى إخراجهم منها، فأخرجوهم في ثلاث دفعات. فأخرجوا في المرة الأولى مائتي رجل، وثلاثمائة امرأة ومائة وخمسين صبياً. فقتل العسكر الرجال، وتفَرَّقوا النساء والصبيان. ثم أخرجوا في المرة الثانية مائة وخمسين رجلاً، ومائتي امرأة، وخمسة وسبعين صبياً، ففعلوا بهم كذلك. ثم أخرجوا جماعة أخرى في المرة الثالثة. ولم يتأخر بالقلعة إلا المقاتلة، وقلّت عندهم المياه، حتى اقتتلوا بالسيف على الماء، فسألوا الأمان فأعطوه، وسلموا القلعة في ذي القعدة من السنة. وخرجوا منها، وتوجهوا إلى مأمنهم[٣].

وفي أثناء هذا الحصار، وصلت إلى العسكر مفاتيح النقير وحجر شغلان وسرقند كار وزنجفرة وحموّص[٤]، وتتمة أحد عشر حصناً من حصون الأرمن. وسلم الأمير بدر الدين أمير سلاح هذه الفتوح إلى الأمير سيف الدين استدمر كرجي أحد الأمراء بدمشق، وجعله نائباً بها. فلم يزل [استدمر][٥] بهذه الحصون، إلى أن بلغه حركة التتار وقربهم، فأباع ما بها من الحواصل وتركها خالية، فاستولى الأرمن عليها.

ولما تكامل هذا الفتح، عادت العساكر إلى حلب، ونزلوا بها، ليريحوا خيولهم. ترادف عليهم الأمطار وتزايدت، حتى سكنوا الخانات والدور. ثم أردفهم السلطان بتجريدة أخرى، من الديار المصرية، صحبة الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، والأمير سيف الدين طقطاي، والأمير مبارز الدين أوليا بن قرمان، والأمير علاء الدين أيدغدي شقير الحسامي. فوصلوا إلى دمشق، في ذي القعدة، وتوجهوا إلى حلب، وأقاموا بها مع العسكر، وجهز صاحب سيس رُسَلاً إلى الأبواب السلطانية يسأل عواطف السلطان ومراحمه. واستمر العسكر بحلب ينتظرون ما يرد عليهم، من أبواب السلطان. فأقاموا عليها شهوراً، إلا أن الأمير حسام الدين أستاذ الدار، فإنه توجه إلى الأبواب السلطانية، على خيل البريد. وكان عود هذا العسكر إلى الديار المصرية،

---

(١) «وأخذوا في النقب» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٤٠.

(٢) الستائر: جمع ستارة، ستار من خشب يقف خلفه المقاتلون أثناء الهجوم والدفاع. Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) راجع السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٤١.

(٤) حموص: تقدم التعريف بها قبل قليل.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

ووصوله إلى القاهرة، في منتصف شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وتسعين وستمائة، بعد مقتل السلطان بثلاثة أيام على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر حادثة غريبة ظهر فيها آية من آيات الله عز وجل

وفي سنة سبع وتسعين وستمائة، في العشر الأول، من جمادى الأولى، ورد على السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين، مطالعة مضمونها: أن شخصاً بقرية جينين[١]، من الساحل الشامي، كانت له زوجة، فتوفيت إلى رحمة الله تعالى. فحملت بعد تغسيلها وتكفينها ودفنت. فلما عاد زوجها من المقبرة، تذكر أن منديله وقع في القبر، وفيه جملة من الدراهم. فأتى إلى فقيه في القرية، فاستفتاه في نبش القبر. فقال له في ذلك يجوز نبشه وأخذ المال منه. ثم تداخل الفقيه المفتي في ذلك شيء في نفسه. فقام وحضر معه إلى القبر، فنبش الزوج القبر ليأخذ المال، والفقيه على جانب القبر، فوجد الزوج زوجته مقعدة[٢] مكتوفة بشعرها، ورجليها مكتوفتين بشعرها، [فحاول حل كتافها][٣]، فلم ينحل له ذلك، فأمعن في ذلك، فخسف له وبزوجته. ولم يوجد أو لم يعلم للخسف منتهى. وأما الفقيه فإنه أقام مغشياً عليه يوماً وليلة أو ليلتين[٤]. ـ نسأل الله أن يسترنا ولا يفضحنا، وأن لا يؤاخذنا بسوء أفعالنا ـ. ولما وردت المطالعة على السلطان بهذه الحادثة، عرضها على شيخنا قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد، وغيره. وكتب يستعلم عن سيرة هذه المرأة والزوج المخسوف بهما، فما علمت ما ورد عليه من الجواب في ذلك[٥].

ذكر روك[٦] الإقطاعات بالديار المصرية وتحويل السنة

أمر حسام الدين لاجين، بروك الإقطاعات والمعاملات والنواحي والجهات

(١) جينين: قرية بين نابلس وبيسان في ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢، ص ٢٣٥، راجع أيضاً السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٧.

(٢) «جالسة» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٧.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٣٧.

(٤) «يوم وليلة» في السلوك ج ١، ص ٨٣٧.

(٥) أورد المقريزي هذا الحادث في السلوك ج ١، ص ٨٣٧.

(٦) الروك: في كتب المؤرخين، مصدر الفعل الثلاثي «راك» ومعناه في الأصل مسح أرض الزراعة من بلد من البلاد لتقدير الخراج المستحق عليها لبيت المال. وكان الخراج أي ضريبة الأرض في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية المصدر الرئيسي لدخل الدولة منذ صدر الإسلام، ومنه تصرف أعطيات الجند ورواتب الولاة وموظفي دواوين الدولة، فما زاد على ذلك من مال الخراج أودع بيت المال، ويسمى هذا النظام بنظام الأعطية، وكانت مصر الإسلامية تدفع خراجاً سنوياً كبقية البلاد الإسلامية =

بالديار المصرية. وندب لذلك من الأمراء الأمير بدر الدين بيليك الفارسي الحاجب، والأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري، المعروف بالبريدي.

وتوجه الكشاف إلى الأقاليم البرانية، بالوجهين القبلي والبحري، ومسحوا البلاد مساحة روك، وحرروا الجهات وعادوا. وانتصب لهذا جماعة من الكتاب، كان المشار إليه فيهم، تاج الدين عبد الرحمٰن المعروف بالطويل، وهو أحد مستوفيي[1] الدولة، من مسالمة[2] القبط، وممن يشار إليه في معرفة صناعة الكتابة، ويعتمد على قوله، ويرجع إليه فيها، فرتب ذلك على حسب ما اقتضاه رأي السلطان في تقريره.

واستقرَّ في الخاص[3] السلطاني الأعمال الجيزية[4] والأطفيحية[5] وثغر الإسكندرية وثغر دمياط ومنفلوط وكفورها، وهو، والكوم الأحمر[6] من الأعمال القوصية، وفي كل إقليم بلاد.

وتقرر إقطاع نيابة السلطنة من أعظم الإقطاعات وأكثرها متحصلاً. فكان من

= الخراجية، وكان خارجها مقسماً إلى أربعة وعشرين قيراطاً توزع أجزاؤها على القرى توزيعاً متناسباً مع طاقتها، وكانت جباية الخراج سواء في مجموعها الكلي أو في الأجزاء الموزعة على القرى عرضة للتعديل، فإذا زادت عمارة البلاد، وتوفر زيدت الجباية، وإن قلّ أهلها وأجدبت أرضها وخربت نقصت، ويظهر أن ذلك هو على الأقل أحد أسباب تكرار مسح أرض مصر. ولما حل النظام الإقطاعي بمصر ظلت النسبة الخراجية جارية على النظام الجديد وهي أربعة وعشرون قيراطاً للسلطان منها أربعة قراريط، وللأجناد عشرة قراريط وللأمراء عشرة. انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي ص ١٦٤، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٤١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٧٤ ـ ٧٥، حاشية (٢).

(١) مستوفي الدولة: تقدم التعريف به.

(٢) المسالمة: لفظ يطلق على كل رجل دخل في الإسلام حديثاً من النصارى وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى بالبلاد الإسلامية انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٤٣، حاشية (١)، وDozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) كان السلطان محمد بن قلاوون قد أحدث ديواناً خاصاً سُمّي ديوان الخاص وظيفته النظر في خاص أموال السلطان والتحدث في جهاته ومضافاته، وأعظم بلاده وأغناها كانت الإسكندرية. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٧٦، حاشية (٢).

(٤) الأعمال الجيزية: تقدم التعريف بها.

(٥) الاطفيحية: وهي بلاد القسم الواقع شرقي النيل من بلاد مديرية الجيزة. وكانت قاعدتها بلدة إطفيح. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٧٦، حاشية (٣).

(٦) الكوم الأحمر: توجد اثنتان تسمى كل منها باسم الكوم الأحمر بالوجه البحري، إحداها بالقليوبية والأخرى بالمنوفية. المقريزي: السلوك ج١، ص ٨٤٣، حاشية (٥).

جملته بالأعمال القوصية، مرج بني هميم وكفورها، وسَمْهُود[١] وكفورها، ودواليبها ومعاصرها، وَحَرَجَة[٢] مدينة قوص وأدفو. وهذه النواحي يزيد متحصلها من الغلال خاصة، على مائة ألف وعشرة آلاف إردب، خارجاً عن الأموال والقنود[٣] والأعسال والتمر والأحطاب وغير ذلك. وفي كل إقليم من الديار المصرية نواحي ومعاصر، فكان في خاصة سبع وعشرون معصرة، لاعتصار قصب السكر.

وكان نجاز الروك في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وستمائة. واستقبل به سنة ثمان وتسعين الهلالية[٤]. وحوّلت السنة الخراجية من سنة ست وتسعين إلى سنة سبع وتسعين. وهذا التحويل جرت به العادة، بعد انقضاء ثلاث وثلاثين سنة، تحوّل سنة، وهو التفاوت فيما بين السنة الشمسية والقمرية. فيجمع من ذلك في طول السنة، ما ينغمس به سنة. وهو حجة ديوان الجيش في اقتطاع التفاوت الجيشي. وقيل: إن قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ۝٢٥﴾ [الكهف: ٢٥]، إن التسعة هي هذا التفاوت، ما بين السنتين، والله تعالى أعلم. وهذا التحويل لا ينقص بسببه شيء من الأموال البتة، وإنما هو تحويل بالأقلام خاصة.

ولما نجز هذا الروك، أقطعت البلاد للأمراء والأجناد دربسته[٥]، لم يستثن منها غير الجوالي[٦] والمواريث الحشرية[٧]، فإن ذلك جعل في جملة الخاص السلطاني. واستثنيت الرزق الأحباسية[٨] المرصدة لمصالح الجوامع والمساجد، والربط والزوايا،

---

(١) سَمْهُود: بلدة قريبة من قرشوط بمركز نجع حمادي بمديرية قنا الحالية. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٨٤٤، حاشية (١).

(٢) حرجة: الموضع الذي يلتف شجره وهي كورة صغيرة في شرقي قوص بالصعيد الأعلى. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص ٢٧٧.

(٣) القند: لفظ فارسي معرب هو عصير قصب السكر. انظر المخصص لابن سيده، ج ٥، ص ٣.

(٤) يوافق العام الهجري ٦٩٨ أوله من التاريخ الميلادي ٩ أكتوبر ١٢٩٨. انظر كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية لمحمد مختار باشا، المجلد الأول، ص ٧٣١.

(٥) دربسته: في الأصل وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٤٤. دربستا ودربسته لفظ فارسي معناه كاملاً. Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٦) الجوالي: تقدم التعريف بها.

(٧) المواريث الحشرية: تقدم التعريف بها.

(٨) الرزق الأحباسية: «هو ما يخرج مرتباً عند نهاية اليوم أو الشهر وعبارة القلقشندي عند تعريفه وظيفة نظر الإحباس المبرورة فقال: «هي وظيفة عالية المقدر وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس». انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٥٨، وصبح الأعشى للقلقشندي ج ١١، ص ٢٢، حاشية (٢).

والخطباء والفقراء. واستقرت في سائر البلاد على ما يشهد به ديوان الأحباس. وما عدا ذلك من سائر الأموال وغيرها، دخل في الإقطاع.

وفي هذه السنة، كانت وفاة الأمير عز الدين الجناجي، نائب السلطنة ومقدم العسكر بغزة، وكان قبل وفاته قد أودع عند فخر الدين الإعزازي التاجر بقيسارية الشرب بدمشق صندوقاً، ولم يطلع على ذلك إلا خزنداره. وكان الصندوق المودع عنده قبل ذلك وديعة عند بعض أصحاب الأمير المذكور، فأخذ منه، ثم أودعه عند فخر الدين. واتفقت وفاة خزندار الأمير، وهو الذي اطلع على الوديعة قبل وفاة مخدومه بأيام، ثم مات الأمير، فلما اتصلت وفاته بفخر الدين الإعزازي، اجتمع بقاضي القضاة إمام الدين الشافعي بدمشق، وعرفه خبر الوديعة. فأمره بالتأني في أمرها؛ حتى تثبت وفاة المذكور، ويتحقق أمر ورثته، ففعل ذلك. وفي أثناء ذلك، طلب الأمير سيف الدين جاغان؛ شاد الدواوين[١] بالشام، الوديع الأول وطالبه بما عنده من الوديعة. فادعى أن الجناجي استعاد ذلك منه، فلم يصدقه، وقصد ضربه وعقوبته، بسبب ذلك. فأتاه فخر الدين المذكور واعترف أن الوديعة عنده، وأحضر الصندوق إلى الديوان السلطاني، وفُتِح واعتبر ما فيه، فكان فيه من الذهب اثنان وثلاثون ألف دينار، ومائتا دينار، وأربعة وثلاثون ديناراً، وحوائص ذهب، وطرز زركش بتتمة خمسين ألف دينار، هكذا نقل إليّ ثقة.

وفيها، توفي الأمير سيف الدين بلبان الفاخري، أمير نقباء[٢] العساكر المنصورة بالأبواب السلطانية، وكانت وفاته في رابع عشر ربيع الآخر. وأعطى إقطاعه سيف الدين بكتمر الحسامي الطرنطاي أمير آخور. وكان السلطان، قبل ذلك أمَّره بعشرة طواشية، فنقله الآن إلى إمرة الطبلخاناة. ثم تنقّل بعد ذلك في المناصب والنيابات عن السلطنة والوزارة وغير ذلك، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعه.

وفيها، في يوم الاثنين حادي عشر جمادى الأولى، كانت وفاة الأمير سعد الدين كوجا الناصري، وكان يتولى نيابة دار العدل، وتولى في ثغر الإسكندرية وكان بيده إمرة عشرة طواشية[٣].

---

(١) شاد الدواوين: تقدم التعريف به.

(٢) النقباء: جمع نقيب، وكان عمل صاحب تلك الوظيفة عند السلطان أو الأمير القيام بتأدية لخدمات الصغيرة لسيده. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٥٢.

(٣) طواشية: تقدم التعريف به.

وفيها، توفيت الخاتون الجليلة الكبرى، نسب خاتون، ابنة الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر أيوب، في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول. ودفنت عند والدها بقاسيون، رحمهما الله تعالى.

واستهلت ثمان وتسعين وستمائة

[٦٩٨ هـ = ١٢٩٨/١٢٩٩ م]

في هذه السنة، في أولها[١] جهز السلطان الأمير جمال الدين أقش الأفرم، والأمير سيف الدين حمدان بن صلغاي إلى الشام، وأمرهما أن يتوجها إلى دمشق، ويخرجا نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبجاق[٢] وبقية العسكر إلى البلاد الحلبية. فوصلا إلى دمشق على خيل البريد، في يوم الأربعاء سابع المحرم. فتجهز الأمير سيف الدين قبجاق نائب السلطنة، وخرج بسائر عساكر دمشق حتى بحرية القلعة، وجماعة الأمير علم الدين سنجر أرجواش نائب القلعة، وتأخر بدمشق الأمير سيف الدين جاغان.

وكان خروج نائب السلطنة من دمشق، في عشية الأربعاء، رابع عشر المحرم، وبات بالميدان الأخضر. وركب في بكرة النهار، وتوجه بالعساكر إلى جهة حمص. وكان سبب هذه الحركة ظاهراً، أن السلطان بلغه أن التتار قد عزموا على الدخول إلى البلاد الإسلامية بالشام. وعلم الأمير سيف الدين قبجاق، أن الأمر ليس كذلك. فإن القصاد قبل ذلك بيسير، حضروا إليه من بلاد الشرق، وأعلموه أن التتار كانوا قد تجهزوا وعزموا على الحضور إلى الشام. فلما كانوا بأثناء الطريق، وقعت عليهم صواعق كثيرة، وأهلكت منهم خلقاً كثيراً، فتفرقوا في مشاتيهم، ولم يرد خلاف ذلك. والقصاد لا تصل إلى الباب السلطاني بالديار المصرية، إلا بعد الاجتماع بنائب السلطنة بدمشق، فاستشعر الأمير سيف الدين قبجاق السوء، وعلم أن هذه الحركة إنما هي تدبير عليه، وعلى غيره من الأمراء. فأوجب ذلك توجههم إلى التتار.

---

(١) «في أول المحرم» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٥٢.

(٢) «قبجق» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٥٣.

ذكر مفارقة من نذكر من نواب السلطنة والأمراء الخدمة السلطانية، ولحاقهم بقازان[(١)] ملك التتار

وفي هذه السنة[(٢)]، في شهر ربيع الآخر، توجه الأمير سيف الدين قبجاق[(٣)] المنصوري، نائب السلطنة بالشام، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، أحد مقدمي الجيوش المنصورة المصرية، والأمير فارس البكي[(٤)] الساقي، نائب السلطنة بالمملكة الصفدية، والأمير سيف الدين بزلار، والأمير سيف الدين عزاز [الصالحي][(٥)]، إلى بلاد التتار، والتحقوا بملكها قازان محمود.

وسبب ذلك أن الأمير سيف الدين منكوتمر، نائب السلطنة، ثقلت عليه وطأة الأمراء الأكابر. وقصد القبض عليهم أولاً، وإقامة خوشداشيته ليصفو له الوقت، ويخلص له الأمر، ويتمكن السلطان بما قصده من تفويض ولاية العهد بعده له، فحسَّن للسلطان القبض على من تقدم ذكرهم، فقبض عليهم. ثم شرع في التدبير على من بالشام من الأمراء والنواب، والذين يعلم منهم الممالاة والمناوأة. فجهز الأمير علاء الدين أيدغدي شقير إلى حلب، كما تقدم، وأردفه بالأمير سيف الدين حمدان بن صلغاي، وعلى يده كتاب إلى نائب السلطنة بالمملكة الحلبية، بالقبض على الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، [وعلى][(٦)] الأمير فارس الدين البكي، والأمير سيف

---

(١) هو محمود بن أرغون المغلي الجنكزخاني، وقيل غازان وكلاهما يصح معناه، ولي الملك في سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م. وأسلم في سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤ م، وفشا الإسلام بإسلامه في ممالك التتار، وأظهر العدل، وتسمى محموداً. ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٩٧ ـ ٩٨. انظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٦٧، والعلاقات السياسية بين المماليك والمغول لجوزيف نسيم ص ١٣١ ـ ١٣٢، والحوادث الجامعة لابن الفوطي ص ٢٢٨ ـ ٢٣١، ودول الإسلام للذهبي، ص ٣٩٠، والدليل الشافي لابن تغري بردي ج ١، ص ٥١٧ ترجمة ١٧٨٣؛ والدرر الكامنة لابن العسقلاني ج ٣، ص ٢١٢ ـ ٢١٤ ترجمة ٥١٤.

(٢) «في يوم الخميس عاشر ربيع الآخر في الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٤.

(٣) هو قبجق بن عبد الله المنصوري سيف الدين، توفي سنة ٧١٠ هـ/ ١٣١٠ م ترجمته في تذكرة التنبيه لابن حبيب، ج ١، ص ٢١٠، والدرر الكامنة لابن العسقلاني، ج ٣، ص ٢٤١ ـ ٢٤٣، ترجمة ٦١٦، والدليل الشافي لابن تغري بردي ج ٢، ص ٥٣٣، ترجمة ١٨٢٦.

(٤) هو فارس الدين التركي الظاهري، توفي سنة ٧٠٢ هـ، ترجمته في الوافي بالوفيات ج ٩، ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ ترجمة ٢٨٠، والدرر الكامنة لابن العسقلاني ج ١، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ترجمة ١٠٤٠، والدليل الشافي لابن تغري بردي، ج ١، ص ١٤٧ ـ ١٤٨، ترجمة ٥٢٣.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٥٢.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

الدين طقطاي، والأمير سيف الدين بزلار، والأمير سيف الدين عزار، ومن يَعْذُر عليه القبض عليه، يتحيَّل في سقيه. فسقى الأمير سيف الدين طقطاي فمات بحلب، في أول شهر ربيع الأول. واتصل الخبر ببقية الأمراء، فاحتاطوا لأنفسهم، واحترزوا في مأكلهم ومشربهم وملبسهم، وأعمل الأمير سيف الدين الطباخي الحيلة للقبض عليهم، وذلك بعد خروجهم من سيس، فجهز سماطاً، واحتفل به، وتحدث مع الأمراء أن يتوجهوا معه، ويحضروا السماط، فامتنعوا من ذلك، واعتذروا له، وتوجهوا إلى خيامهم، فلم تجمع[١] هذه المكيدة. وكان السلطان قد كتب إلى الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، أن يجهز طُلْبَه وأثقاله إلى المملكة الطرابلسية، ويكون نائباً عن السلطنة بها، وذلك بعد وفاة الأمير عز الدين أيبك الموصلي. وأن يحضر هو بنفسه إلى الأبواب السلطانية، على خيل البريد، ليوصيه السلطان مشافهة. فأظهر البشر لذلك، وعلم أنه خديعة.

ولما كان مساء النهار، الذي عمل الطباخي فيه السماط، اجتمع الأمير سيف الدين الطباخي النائب بحلب، والأمير سيف الدين كجكن، والأمير علاء الدين أيدغدي شقير، وأرسلوا إلى الأمير بكتمر السلاح دار والبكي ومن معهما، يطلبونهم للحضور لمشورة. وأن سبب هذه الاجتماع، أن بطاقة وردت في البيرة أواخر النهار، تتضمن أن التتار أغاروا على ما حول البيرة، فأجابوا بالامتثال، وأنهم يحضرون إلى الخدمة في إثره. فعاد وركبوا في الوقت على حَمِّيَة.

فأما بزلار فإنه ساق هو وخمسة نفر، وعبر الفرات إلى رأس العين وانتهى إلى سنجار فتوفي بها. وأما الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، والأمير فارس الدين البكي، والأمير سيف الدين عزار، فإنهم توجهوا إلى حمص، واجتمعوا بالأمير سيف الدين قبجاق، وأطلعوه على جلية الحال، وحلفوه لأنفسهم، وحلفوا له. وكتب إلى السلطان يعلمه بما وقع من الاختلاف، وبوصول الأمراء إليه، ويسأل لهم الأمان وأن يطيب السلطان خواطرهم. وسيَّر بذلك الأمير سيف الدين بلغاق[٢] ابن الأمير سيف الدين كونجك الخوارزمي على خيل البريد. فوصل إلى دمشق، في يوم السبت خامس شهر ربيع الآخر، وتوجه منها إلى باب السلطان.

وكتب الأمير سيف الدين قبجاق إلى الأمير سيف الدين جاغان، وهو بدمشق، يطلب منه أن يرسل إليه مالاً وخلعاً من الخزانة، لينفق المال على الأمراء، ويخلع عليهم، ويطيب خواطرهم. فلم يجب إلى ذلك. وكتب إليه يلومه على إغفاله أمر

(١) فلم تجمع: أي لم تنجح.
(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٥٥.

الأمراء، الذين وصلوا إليه، وهم طلبة السلطان، وكونه تمكن من القبض عليهم، ولم يفعل، وكتب إليه الأميران سيف الدين كجكن، وعلاء الدين أيدغدي شقير، وهما يلومانه وينكران عليه كونه أقر هؤلاء الأمراء عنده، مع تمكنه من القبض عليهم، وقد علم خروجهم على الطاعة وأغلظا له القول، وتواعداه، أنه متى لم يقبض عليهم، حضروا إليه، وقبضوا عليه وعليهم. وكاشفاه في القول مكاشفة ظاهرة. فتسَلَّل عن الأمير سيف الدين قبجاق من معه من العسكر الشامي، وعادوا إلى دمشق، أولاً فأولاً. فكتب إلى جاغان في ذلك، وأن يردّهم إليه، فلم يفعل. وشكر [جاغان][١] من حضر.

فرأى الأمير سيف الدين قبجاق أن أمره قد انتقص، وبلغه أن العسكر المجرد بحلب قد توجه نحوه. فركب في ليلة الثلاثاء، ثامن شهر ربيع الآخر من حمص، هو والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، والأمير فارس الدين البكي، والأمير سيف الدين عزار، وقبضوا على الأمير علاء الدين أقطوان النائب بحمص، واستصحبوه معهم إلى القريتين، ثم أخذوا فرسه وأطلقوه. وتوجهوا في جماعة، يقال إن عدة من صحبهم من ألزامهم ومماليكهم خمسمائة فارس. وتوجهوا لا يلوون على شيء، وتعقبهم الأمير سيف الدين كجكن والأمير علاء الدين أيدغدي شقير، في طائفة من العسكر إلى الفرات، فما أدركوهم، ووجدوا بعض أثقالهم فأخذوها[٢].

ثم ورد عليهم الخبر بقتل السلطان، فانحلت عزائمهم، وتَفَلَّلت أراؤهم. وساق سيف الدين بلبان القصاص البريدي إلى رأس عين، ولحق الأمير سيف الدين قبجاق بها، وأعلمه بمقتل السلطان، وسأله الرجوع بمن معه. وحلف له على صحة ما أخبره به، فظن أن ذلك مكيدة. ثم تحقق الحال بعد ذلك وقد تورط، وصار في بلاد العدو، فلم يمكنه الرجوع.

ولما وصل الأمراء إلى رأس عين، بلغ مقدم التتار بتلك الجهة خبر وصولهم، فخافهم. ثم تحقق أنهم حضروا إلى خدمة الملك قازان، فحضر إليهم وأكرمهم، وخدمهم صاحب ماردين، وقدّم لهم أشياء كثيرة. وقصد بولاي مقدم التتار، بتلك الناحية، أن الأمراء يتوجهون إلى جهة قازان على خيل البريد. ويتأخر من معهم من أتباعهم وألزامهم عن الوصول إلى البلاد، حتى يرد المرسوم. فامتنع قبجاق من ذلك، وأبى إلا الدخول بالطُّلْب[٣] والجماعة الذين معه، فامتنع التتار عليه. فيقال إنه أخرج

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٥٥.

(٣) الطلب: تقدم التعريف به.

إليهم كتاب الملك قازان إليه، وهو في بالشت[١] ذهب. فعند ذلك خضعوا له. ومكّنوه مما أراد. من الدخول بالطُّلْب. وتوجهوا كذلك، ودخلوا إلى الموصل بِطُلْبين، والتقاهم أهل البلد، وتوجهوا من الموصل، وانتهوا إلى بغداد. فخرج إليهم عسكر المغل والخواتين والتقوهم. ثم توجهوا إلى قازان، وهو يومئذٍ بأرض السيب[٢] من أعمال واسط. فأكرمهم وأحسن إليهم، وأوجب ذلك وصول قازان بجيوشه إلى الشام على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر مقتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري ونائبه منكوتمر[٣]

كان مقتلهما في ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة، الحادي عشر من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وتسعين وستمائة. وسبب ذلك، أن السلطان كان قد فوَّض الأمور إلى مملوكه نائبه الأمير سيف الدين منكوتَمُر، وقصد التخلي والراحة والدعة، وعزم على أنه خلى وجهه من الأمراء، وقبض على من يخشى غائلته منهم، فوَّض إليه أمر السلطنة، واحتجب هو، على قاعدة الخلفاء. وإنما كان يمنعه من ذلك، وجود أكابر الأمراء، الذين لا يوافقونه على الرأي هذا. فلما قبض على من ذكرنا من أكابر الأمراء، وأبعد من بقي منهم بالتجريد، وآخر ذلك، أن السلطان رسم له أنه إذا كُتِب مرسوم سلطاني بإنعام أو غيره، بغير إشارته، يقطعه بعد العلامة السلطانية. فثقلت وطأته[٤] على الناس، وأنفت نفوس الأمراء من ذلك، وكرهوا بقاء الدولة، وأحبوا زوالها بسببه، مع إحسان السلطان إلى كثير منهم، وكان الأمير سيف الدين كرجي[٥]، أحد الأمراء المماليك السلطانية، قد

---

(١) بالشت: لفظ فارسي، معناه الوسادة ولعل المقصود هنا حقيبة تحفظ بها الرسائل المهمة .Dozy Supp. Dict, Ar. أورد المقريزي أن قبجاق أو قبجق كان يكاتب غازان مدة نيابته لدمشق، وعندما عزم على اللحاق به استدعى منه طمغا البريد التي يركب بها الأمراء عندهم، فبعثها غازان إليه وصارت عنده، حتى ركب من ماردين فحملها إليه، وهذه الرواية قريبة من رواية النويري. فالطمغا علامة متفق عليها، مصنوعة من الذهب أو الفضة، وكان أمراء المغول يحملون «الطمغا» في أسفارهم الخاصة بشؤون المملكة، انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٢.

(٢) السيب: كورة في إقليم واسط. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣، ص ٣٣٣.

(٣) ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٥٨.

(٤) وردت هذه الرواية في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨٠ مع شيء من التعديل: «وانتهى حال أستاذه الملك المنصور معه إلى أن صار إذا رسم الملك المنصور لاجين مرسوماً أو كتب لأحد توقيعاً وليس هو بإشارة منكوتمُر يأخذه مرسوماً من يد المُعطى له ويمزّقه في الملأ ويردّه ويمنع أستاذه منه، فعند ذلك استثقل الأمراء وطأة منكوتمر».

(٥) هو كرجي بن عبد الله سيف الدين، توفي سنة ٦٩٨، ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٨؛ =

اختص بخدمة السلطان، وتقدم عنده، وجعله مقدماً على المماليك السلطانية، على ما كان عليه الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، في الدولة الأشرفية، فبقي كرجي هو الساعي في مصالح المماليك السلطانية والمتلقي لمصالحهم، فانضموا إليه ودخلوا تحت طاعته، وقويت شوكته بهم، وشوكتهم به. فثقل ذلك على منكوتمر، وعمل على إبعاده. وحسَّن إلى السلطان أن يبعثه إلى نيابة السلطنة بالفتوحات ببلاد سيس.

وكان قد تقدم من الأمراء، قبل كرجي، الأمير سيف الدين تمربغا، فعمل عليه منكوتمر وأبعده وأخرجه إلى الكرك. ثم نقله من الكرك إلى طرابلس، في جملة الأمراء، فمات بها، فلما اتصل الخبر بكرجي، حضر إلى بين يدي السلطان، وتضرر واستعفى من هذه الولاية فأعفاه السلطان، وشرع في العمل على منكوتمر. واتفق أن الأمير سيف الدين طقطاي، أحد الأمراء الخاصكية، وهو نسيب الأمير سيف الذين طقجي، خاطب منكوتمر في أمر فأغلظه في القول، وسبَّه، فشكا ذلك إلى الأمير سيف الدين طقجي، فأسرَّها في نفسه. واجتمع هؤلاء الأمراء، وتشاركوا فيما بينهم، وذكروا سوء سيرة منكوتمر فيهم، وقبح فعله واستخفافه بهم. وعلموا أنهم لا يتمكنون منه، مع بقاء السلطان مخدومه، فاجتمع رأيهم على اغتيال السلطان.

فلما كان في هذه الليلة المذكورة، جلس السلطان يلعب الشطرنج مع إمامه [نجم الدين](١) بن العسال، وكان قد تقدم عنده، وعنده قاضي القضاة حسام الدين(٢) الحنفي، وكانت له عادة بالمبيت عند السلطان في بعض الليالي. فدخل عليه كرجي على عادته، فسأله السلطان عما فعل، فقال: قد أغلقت على الصبيان في أماكن مبيتهم، وكان قد رتب بعضهم في أماكن من الدهاليز. فشكره السلطان، وأثنى عليه. وذكر للقاضي حسام الدين خدمته للسلطان، وملازمته الخدمة، فقبَّل كرجي الأرض، ثم تقدم لإصلاح الشمعة التي بين يدي السلطان، فأصلحها وألقى فوطة خدمة كانت بيده على نمجاه(٣) السلطان. وكان سلاح دار التوبة قد وافقه وباطنه على قتل السلطان. قال كرجي للسلطان: ما يصلي مولانا السلطان العشاء، فقال: نعم، وقام للصلاة. فأخذ السلاح دار النمجاه من تحت الفوطة. فعند ذلك، جرد كرجي سيفه، وضرب السلطان به على كتفه،

= والدليل الشافي لابن تغري بردي ج ٢، ص ٥٥٦، ترجمة ١٩٠٥.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٥٦.

(٢) هو حسام الدين الرازي، ولي قضاء دمشق مدة، توفي سنة ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩ م. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٥٢.

(٣) النمجاة: والنمها، والنمجا، والنمشا، تسمية فارسية معربة تطلق على خنجر مقوس يشبه السيف القصير. ابن دقماق: الجوهر الثمين ج ٢، ص ١٢٥، حاشية (٣).

فأراد السلطان أخذ النمجاه فلم يجدها. فقبض على كرجي، ورماه تحته، فضربه السلاح دار بالنمجاه على رجله، فقطعها. فانقلب [السلطان][١] على ظهره، وأخذته السيوف، حتى قتل. وهرب ابن العسال الإمام إلى خزانة، وصرخ قاضي القضاة حسام الدين عند ضرب السلطان، [لا يحل هذا لكم][٢]، فهمّ كرجي بقتله. ثم تركه، وأغلق كرجي الباب عليه، وعلى السلطان.

ثم خرج [كرجي][٣] إلى الأمير سيف الدين طقجي، وقد استعد هو أيضاً، وهو ينتظر ما يفعله كرجي، فأعلمه بقتل السلطان. ثم توجهوا إلى دار النيابة، وقد أغلقت. فطرق كرجي الباب، واستدعى الأمير سيف الدين منكوتمر برسالة السلطان، فأنكر حاله، واستشعر السوء، وامتنع من الإجابة. ثم قال له: كأنكم قتلتم السلطان، فقال: نعم قتلناه وسبّه. فعند ذلك ذلَّ منكوتمر، وضعفت نفسه، واستجار بالأمير سيف الدين طقجي. فأجاره وحلف له أنه لا يؤذيه، ولا يمكن من أذاه، فاطمأن ليمينه وخرج إليهم. فأرسلوه إلى الجب، وأنزلوه إليه، فلما رآه الأمراء، قاموا إليه، وظنوا أن السلطان نقم عليه، وسألوه عن الخبر. فأخبرهم بقتل السلطان، فسبوه، وذكّروه بسوء فعله، وقصدوا قتله، ثم تركوه.

ثم رجع كرجي بعد اعتقال منكوتمر إلى مجلسه. وقال لطقجي: نحن ما قتلنا السلطان لإساءة صدرت منه إلينا، وإنما قتلناه بسبب منكوتمر، ولا يمكن إبقاءه، ثم قام، وتوجه إلى الجب، وأخرجه وذبحه من قفاه على باب الجب.

فكانت مدة سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين، منذ فارق الملك العادل الدهليز، وحلف الأمراء له بمَنزلة العوجا، في يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وتسعين وستمائة، وإلى أن قتل في هذه الليلة، سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوماً[٤]، ومنذ خلع الملك العادل نفسه بدمشق، وحلف له، واجتمعت الكلمة عليه بمصر والشام، في يوم السبت رابع عشرين صفر من السنة المذكورة إلى هذا التاريخ الذي قتل فيه، سنتين وشهرين إلا ثلاثة عشر يوماً، ودفن برتبته بالقرافة، ودفن نائبه منكوتمر بالتربة أيضاً.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٥٧.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٤) «وكانت دولته سنتين وثلاثة أشهر، وقيل ثلاث سنين وشهرين، والأول أصح» في الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٦. «وسنتين وشهرين وعشرين يوماً» في كنز الدرر لابن أيبك الدواداري ج ٨، ص ٢١٢. و«سنتين وثلاثة أشهر» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨٨.

وكان رحمه الله تعالى ملكاً عادلاً، يحب العدل ويعتمده، ويرجع إلى الخير ويميل إليه، ويقرب أهله، وكان حسن العشرة، يجتمع بجماعة من المتعممين والعوام، ويأكل طعامهم. وكان أكولاً، ولم يكن في دولته وأيامه ما يعاب وينكر، إلا انقياده إلى مملوكه نائبه منكوتمر، والرجوع إلى رأيه، وموافقته على مقاصده حتى كان عاقبة ذلك قتلهما. وأثرت موافقته له، من الفساد على العباد والبلاد وسفك دماء المسلمين، ما لم يستدرك. وذلك أن الأمراء الذين فارقوا الشام، وتوجهوا إلى التتار خوفاً منه، أوجب توجههم إلى قازان، وصوله إلى الشام وخرب البلاد، وسفك الدماء، على ما نذكره بعد في موضعه إن شاء الله تعالى.

وبلغني أن الملك المنصور هذا ما زال يستشعر القتل، منذ قتل السلطان الملك الأشرف، وأنه في يوم الخميس بعد العصر، العاشر من شهر ربيع الآخر، وهو اليوم الذي قتل فيه عشيته، أحضر إليه ندب نشاب[1] ميداني، من السلاح خاناة السلطانية. فجعل يقلبه فردة فردة، ويقتل كل فردة منها، ويقول عند قتلها، من قتل قتل، وكرر هذا القول مراراً. فقتل بعد أربع ساعات من كلامه أو نحوها. وأجرى الله هذه الكلام على لسانه، والنفوس حساسة في بعض الأحيان.

وحكى لي بعض من أثق به، عن الأمير بدر الدين بكتوت العلائي حكاية عجيبة تتعلق به، وبالسلطان الملك الأشرف، أحببت ذكرها في هذا الموضع، فالشيء بالشيء يذكر.

قال بكتوت العلائي: كنت في خدمة السلطان الملك الأشرف في الصيد، وأنا يومئذٍ والأمير حسام الدين لاجين سلاح دارية، نحمل السلاح خلف السلطان. فاجتمعنا بحلقة صيد، وكانت النوبة في حمل السلاح[2] خلف السلطان للأمير حسام الدين. وقد تقدمت إليه أنا، في مكان من الحلقة، وإذ أنا بلاجين قد أدركني، وأعطاني سلاح السلطان. وقال: خذ السلاح، وتوجه إلى السلطان، فإنه قد رسم بذلك. فأخذت السلاح، وتوجهت إلى خدمة السلطان. وساق لاجين في مكاني الذي كنت به من الحلقة. فلما انتهيت إلى السلطان، وجدته وهو على فرسه، وقد جعل طرف عصا المقرعة على رأس النمازين، والطرف بجهته، وكأنه في غيبة من حسه. فلما جئت قال لي: يا بكتوت والله، التفت إلى ورائي، فرأيت لاجين خلفي، وهو حامل سلاحي، والسيف في يده، فخيّل

(١) الندب: الحزمة من النشاب Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٢) ورد في السلوك ج ١، ص ٨٦٠. هذه العبارة «وكانت النوبة في حمل السلاح» (في الأصل السلطان).

إليّ أنه يريد أن يضربني به، فنظرت إليه، وقلت له: يا أشقر[1]، أعط السلاح لبكتوت يحمله، وتوجه أنت مكانه، قال بكتوت العلائي: فقلت للسلطان، أعيذ مولانا السلطان بالله، أن يخطر هذا بباله، ولاجين أقل من هذا، وأضعف نفساً أن يخطر هذا بباله، فضلاً، [عن][2] أن يُقْدِم عليه، وهو مملوك السلطان، ومملوك السلطان الشهيد، وتربية بيته الشريف. هذا معنى كلامه.

قال: شرعت أصرفه عن هذا. فقال لي: والله ما عرفتك إلا ما خطر لي وتصورته. قال بكتوت العلائي: فخشيت على لاجين، كون هذا السلطان يتخيل هذا الأمر فيه، وينكفه عنه. وأردت أن أنصحه، فاجتمعت به في تلك الليلة في خلوة. وقلت له: بالله عليك، تجنب هذا السلطان، ولا تكثر من حمل السلاح، ولا تنفرد معه، فسألني عن موجب هذا الكلام. فأخبرته بما ذكره السلطان لي، وبما أجبته. فشرع يضحك ضحكاً كثيراً ويتعجب. فقال: ما ضحكي إلا من إحساسه، والله لما نظر إليّ، وقال لي: يا أشقر كنت قد عزمت على تجريد سيفه وقتله به. قال بكتوت العلائي: فعجبت من ذلك غاية العجب. ولنرجع إلى سياقة الأخبار بعد مقتلهما، إن شاء الله تعالى.

ذكر ما اتفق بعد مقتل الملك المنصور ونائبه منكوتمر، من الحوادث والوقائع المتعلقة بأحوال السلطنة بمصر والشام، إلى أن عاد السلطان الملك الناصر

لما قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين، ونائبه الأمير سيف الدين منكوتمر، كان بالقلعة من الأمراء، غير طقجي وكرجي، الأمير عز الدين أيبك الخزندار، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سلال [الأستادار][3]، والأمير حسام الدين لاجين الرومي استاذ الدار، وكان قد وصل على خيل البريد من حلب، بعد خروجه من بلاد سيس، والأمير جمال الدين آقش الأفرم، وكان قد عاد من دمشق، بعد إخراج نائبها والعسكر منها إلى حمص، كما تقدم، والأمير بدر الدين عبد الله السلاح دار، والأمير سيف الدين كرد[4] الحاجب، هؤلاء الأمراء المشار إليهم. فاجتمعوا، واتفقت آراؤهم على مكاتبة السلطان الملك الناصر وإحضاره من الكرك، وإعادة السلطنة إليه، وأن

(١) «يا شقير» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٠.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٠.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٠.

(٤) «كرت» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٠، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨١.

يكون الأمير سيف الدين طقجي الأشرفي نائب السلطنة، وانفصل الحال على ذلك.

ثم سمت بالأمير سيف الدين طقجي نفسه، إلى طلب السلطنة لنفسه، وتقرير النيابة لكرجي. وتأخر الإرسال إلى السلطان الملك الناصر. وركب الأمير سيف الدين طقجي في يوم السبت حادي[١] عشر، شهر ربيع الآخر، في موكب النيابة والأمراء في خدمته، وعاد إلى القلعة، وجلس. ومدّ السلطان السماط، وقد تفوه الناس له بالسلطنة، ولكرجي بالنيابة[٢].

حكى تاج الدين عبد الرحمٰن الطويل، مستوفي الدّولة، قال: طلبني الأمير سيف الدين طقجي، وسألني عن إقطاع نيابة السلطنة، فذكرت له بلاده وعبرها ومتحصلاتها، وما انعقدت عليه جملة ذلك، فاستكثره، وقال هذا كثير، وأنا لا أعطيه لنائب، ورسم أن يوفّر منه جملة، تستقر في الخاص. ولم يبرز المرسوم بذلك. ثم خرجت من عنده، فطلبني كرجي، وسألني عن إقطاع النيابة. كما سألني طقجي، فأخبرته بذلك، فاستقلّه، وقال: أنا ما يكفيني هذا، ولا أرضى به. وشرع يسأل عن بلاد يطلبها زيادة على إقطاع منكوتمر.

قال: فعجبت من ذلك، كونهما جعلا فكرتهما وحديثهما في هذا الأمر، قبل وقوع سلطنة هذا، ونيابة هذا[٣].

ذكر مقتل سيف الدين طقجي[٤] وسيف الدين كرجي

كان مقتلهما في يوم الاثنين، رابع عشر شهر ربيع الآخر، من السنة المذكورة. وذلك أن الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، أمير سلاح وصل من غزاة سيس، في هذا

---

(١) ورد في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: «أنه في يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر من سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة وصل الأمير بدر الدين بكتاش» وهذا يدل على أن يوم السبت يوافق ثاني عشر ربيع الآخر.

(٢) ورد في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٦، وصف مفصل لما دار من الحديث بين الأمراء على السماط حول السلطنة. واستدعاء الملك الناصر قال كرجي: «يا أمراء! أنا الذي قتلت السلطان لاجين، وأخذت ثأر أستاذي، والملك الناصر صغير، ما يصلح ولا يكون السلطان إلا هذا»، وأشار لطقجي: «وأنا أكون نائبه، ومن خالف فدونه» فسكت الأمراء كلهم إلا كرت الحاجب، فإنه قال: «يا خوند! الذي فعلته أنت قد علمه الأمراء».

(٣) هذه الرواية أتت مختصرة في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٦.

(٤) ورد برسم «طغجي» وهو طغجي بن عبد الله الأشرفي. ترجمته في الدليل الشافي لابن تغري بردي ج ١، ص ٣٦٥، ترجمته ١٢٥١؛ والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٦، والجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٤٥.

اليوم، هو ومن معه. وقد اتصل به خبر مقتل السلطان فاتفق الأمراء الأكابر على الخروج لتلقيه، وعرضوا ذلك على الأمير سيف الدين طقجي، وأشاروا أن يركب معهم. فامتنع من ذلك، وأظهر عظمة وكِبراً. فقالوا له: إن عادة الملوك تتلقَّى أكابر الأمراء، إذا قدموا من الغزاة، سيّما مثل هذا الأمير الكبير، الذي هو بقية الأمراء الصالحية. وقد طالت غيبته، وفتح هذه الفتوح. ولاطفوه، إلى أن ركب معهم، وخرج للقائه، فلما التقوا، سلّموا عليه، وسلّم عليهم[١]. ثم قال الأمير بدر الدين [بكتاش][٢]، أمير سلاح، للأمراء: «أنا عادتي إذا قدمت من الغزاة، يتلقاني السلطان. وكيف ما أجراني على عادتي». وكان قد علم بمقتل السلطان. وإنما أراد بذلك فتح باب للحديث. فقال له طقجي: ـ وهو إلى جانبه ـ «السلطان قتل». فقال: «ومن قتله»؟. قال بعض الأمراء: «قتله كركي، وهذا» ـ وأشار إلى طقجي ـ فقال: «لا بد من قتل قاتله»، ونفر في طقجي، وقال له: «لا تسوق إلى جانبي». فرفس طقجي فرسه، وبرز عنه. فحمل عليه أحد المماليك السلطانية، فضربه بسيفه، فقتل. واتصل خبر مقتله بكرجي، وكان قد تأخر في طائفة من المماليك السلطانية، تحت القلعة، فهرب وقصد جهة القرافة فأدركوه عند قبور أهل الذمة، ببساتين الوزير، فقتل هناك، ولقي عاقبة بغيه[٣].

قضى الله أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

ولما قُتل الأمير سيف الدين طقجي، توجه الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح إلى داره بالقاهرة، واستقر بها. وكانت غيبته في غزوة سيس هذه، أحد عشر شهراً وأياماً. وحضر إليه بعض الأمراء والأكابر، واستشاره في أمر السلطنة. فأشار بإعادة السلطان الناصر، ووافق رأيه رأيهم واتفقت الأراء على أن ترجع الحقوق إلى نصابها، وتقرّ السلطنة الشريفة بيد من هو أحق وأولى بها، وتعود السلطة إلى من نشأ في حجرها وليداً، وتخول من منصبها الشريف طارفاً وتليداً وندبوا الأمير سيف الدين آل[٤] ملك الجوكندار، والأمير علم الدين سنجر الجلولي، فتوجها إلى خدمة السلطان الملك الناصر بالكرك، على خيل البريد، لإحضاره. وطالعه الأمراء بما وقع، وما اجتمعت الأراء عليه.

وبقي الأمر بالديار المصرية مشتركاً[٥]، بعد مقتل طقجي، بين الأمراء، إلى أن

---

(١) «وتعانقا وتكارشا» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨٥.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٣) وردت هذه الرواية مع بعض التعديل في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨٥.

(٤) في الأصل: «الملك» والتصحيح من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٦٩.

(٥) «واتفق الأمراء على تدبير الأمور» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٦٩.

وصل السلطان الملك الناصر من الكرك، وكانت الكتب تصدر، وعليها خط ستة من الأمراء وهم: الأمير سيف الدين سلار، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والأمير عز الدين أيبك الخزندار، والأمير جمال الدين آقش الأفرم، والأمير صفي الدين بكتمر أمير جاندار، والأمير سيف الدين كرد[١] الحاجب، وصدرت الكتب في بعض الأوقات، وعليها خط ثمانية، خط هؤلاء الستة والأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار، والأمير بدر[٢] الدين عبد الله السلاح دار، وجميعهم منصورية قلاوونية، وغالبهم قد أخرج من السجن [بعد قتل لاجين][٣].

وجلس الأمير عز الدين أيبك الخزندار، في ابتداء الأمر في مرتبة النيابة. فإن الأمراء دعوا له حق التقدمة في خدمة البيت المنصوري، وكان له رأي فاسد في مملوك، كان عند الأمير سيف الدين طقجي اسمه تستاي، فطلبه وهو في المجلس بالدركاه[٤]، بباب القلعة، وألحَّ في طلبه فأحضر إليه. فلما رآه، لم يتمالك عند رؤيته، أن لفَّ شعره على يده، وقام من الدركاه، وخدم الأمراء، وتوجه بالصبي إلى داره، وكان غرضه من المناصب والتقدم في الدولة، تحصيل هذا المملوك، فاشتغل به عما سواه، وفارق المجلس، وقد ظفر بما تمناه. فعلم الأمراء عند ذلك، سوء تدبيره، فله دينه، وأنه لا يعتمد عليه في شيء، ولا يصلح للتقدم، وأنه لم يكن فيه من الصبر، عن غرضه الفاسد، التأني بعض ساهة، حتى ينقضي ذلك المجلس. ويتفرق ذلك الجمع الكثير، وشاهدوا فعله بحضرتهم، وعدم تحاشيه منهم. فتقدم الأمير سيف الدين سلار عند ذلك وصار يجلس في مرتبة النيابة[٥]، إلى أن حضر السلطان الناصر من الكرك.

هذا ملخص ما كان بالديار المصرية.

وأما دمشق وما اتفق بها، بعد توجه الأمير سيف قبجاق، نائب السلطنة بها، منها:

فإن الأمير سيف الدين بلغاق الخوارزمي، لما توجه إلى الديار المصرية، من جهة

---

(١) «كرت» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٩، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨٥.

(٢) «جمال الدين» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨٦، وفي السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٦٩.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٨٦.

(٤) الدركاه: لفظ فارسي معناه الساحة، أو الفناء أو الحوش المؤدي إلى بناء كبير مثل قصر السلطان أو قلعة الجبل، ويجمع على دركاوات. انظر صبح الأعشى: للقلقشندي ج ٣، ص ٤٢٤، حاشية (١).

(٥) ورد في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٦٩، ما يأتي: «فأعرضوا عنه إلى سلار ورتّبوه يجلس في رتبة النيابة، فأقام التخت بقلعة الجبل خالياً من سلطان مدة خمسة وعشرين يوماً».

الأمير سيف الدين قبجاق ـ كما قدمنا ذكر ذلك ـ وصل إلى القاهرة، وفي يوم السبت ثاني عشر، شهر ربيع الآخر، بعد مقتل الملك المنصور [لاجين][١]، فاجتمع بالأمير سيف الدين طقجي، وهو صاحب الأمر يومئذٍ، وأوصله ما كان على يده من المطالعات من جهة الأمير سيف الدين قبجاق، فقرأت عليه. وقال نكتب بإطابة قلبه، وقلوب الأمراء. ثم كان من قتل طقجي ما قدمناه. فكتب الأمراء الثمانية على يده إلى الأمراء بدمشق، بما وقع من قتل السلطان ونائبه منكوتمر، وطقجي وكرجي. وأن الحال قد استقر على عود الدولة الناصرية. وإطابة قلوب الأمراء. فوصل إلى دمشق في يوم السبت، تاسع عشر الشهر، وكان المتحدث بها يومئذٍ الأمير سيف الدين جاغان الحسامي. فقبض الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصوري السيفي على جاغان وحسام الدين لاجين الحسامي، وكان قد ولّي برّ دمشق، في أوائل سنة ثمان وتسعين وستمائة، واعتقلهما بقلعة دمشق، وأوقع الحوطة على نواب الأمراء الأربعة المقتولين، وحواصلهم بدمشق. وجمع الأمراء بدمشق، وحلّفهم للسلطان الملك الناصر، وتحدّث بدمشق حديث نواب السلطنة. ولم تطل مدته، فإنه مات في ثاني جمادى الأولى، فيقال إنه سقي.

ثم وردت كتب الأمراء، مدبري الدولة بالديار المصرية إلى دمشق، في يوم السبت، رابع جمادى الأولى، وهي مؤرخة بالسادس والعشرين من شهر ربيع الآخر، أن يستقر الأمير سيف الدين قطلبك[٢] المنصوري السيفي، في وظيفة الشد بالشام، عوضاً عن جاغان، فباشر في يوم الاثنين[٣] بعد العصر، وكان الملك المنصور لاجين قد جهَّز إلى حلب، يتحدث في الأموال والحصون، ويشارك الأمير سيف الدين الطباخي في الأمر، فوصل إلى دمشق، ونزل بالقصر الأبلق. واتفق قتل السلطان وهو بدمشق، فلم يمكنه التوجه إلى حلب وأقام بالميدان. فلما ورد هذا الكتاب، وانتقل من القصر، وسكن دار الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، وتحدث في الأموال وغيرها. وبقي هو المشار إليه، إلى أن وصل إلى نائب السلطنة بدمشق.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٢) رُسم «قطلوبك» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٠.

(٣) «فباشر يوم الأحد خامس جمادى الأولى، عن، قدوم البريد إلى دمشق» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٠.

ذكر عود السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون إلى السلطنة ثانياً

قد ذكرنا أن الأمراء أرسلوا إلى خدمة السلطان الأميرين سيف الدين آل[(١)] ملك الجوكندار[(٢)]، وعلم الدين سنجر الجاولي، فتوجها إلى السلطان، فوجداه يتصيد بجهة بحور الكرك، فلما شاهداه، ترجلا، وقبّلا الأرض بين يديه، وقدّما إليه مطالعات[(٣)] الأمراء، وأعلماه بهذه الحوادث. فركب من وقته وعاد إلى الكرك، وتجهز منها، وركب إلى الديار المصرية.

وكان وصوله إلى قلعة الجبل، في يوم السبت الرابع من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستمائة. وجلس على تخت[(٤)] السلطنة، في يوم الاثنين سادس الشهر [المذكور][(٥)] وهو ابن أربع عشرة سنة، فكأنه المغْنيّ بقول القائل:

قد رجع الحق إلى نصابه ... وأنت من دون الورى أولى به

ما كنت إلا السيف سلته يد ... ثم أعادته إلى قرابه

وركب في ثاني عشر الشهر بشعار السلطنة. ولما جلس، استشار الأمراء الأكابر، فيمن يرتبه في النيابة والوظائف. فوقع الاتفاق على أن يكون الأمير سيف الدين سلار[(٦)] المنصوري الصالحي نائب السلطنة بالأبواب الشريفة، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار العالية، والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصوري أمير

---

(١) آل ملك: تقدم التعريف به.

(٢) الجوكندار: تقدم التعريف به.

(٣) مطالعات: تقدم التعريف به.

(٤) التخت: تقدم التعريف به.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من الجوهر الثمين لابن دقماق، ج ٢، ص ١٢٩.

(٦) هو سيف الدين سلار بن عبد الله المنصوري، مات جوعاً في الاعتقال بقلعة الجبل سنة ٧١٠ هـ/ ١٣١٠ م. ترجمته في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٣، الدليل الشافي لابن تغري بردي ج ١، ص ٣١٤ ـ ٣١٥، ترجمة ١٠٧٠، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٩، ص ٢٠ ـ ٢١.

جاندار، والأمير جمال الدين أقش الدواداري الأفرم الحاجب، نائب السلطنة بالشام، والأمير سيف الدين[١] كرد الحاجب، نائب السلطنة بالمملكة الطرابلسية وما معها، عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري، وكان قد توفي إلى رحمه الله تعالى، في صفر من هذه السنة. وأحضر الأمير سيف الدين قطلبك المنصوري من الشام، ورتّب أمير حاجب بالأبواب السلطانية. وأقرّ السلطان الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلي على وزارته. وخلع السلطان على الأمراء والأعيان، على جاري العادة.

وتوجه الأمير جمال الدين آقش الأفرم إلى دمشق، على خيل البريد، فكان وصوله إليها، في يوم الأربعاء ثاني عشرين جمادى الأولى. وأفرج عن الأمير سيف الدين جاغان الحسامي، في يوم الأربعاء، تاسع عشرين الشهر، حسبما رسم به من الأبواب السلطانية. فتوجه إلى الديار المصرية، فوجد البريد وهو في أثناء الطريق، بإعادته إلى الأمرة بدمشق، فعاد واستقر.

وفي يوم الخميس حادي عشر جمادى الآخرة، خلع على الأمراء والأعيان بدمشق، ولبسوا تشاريف السلطان، ووصل طلب نائب السلطنة، الأمير جمال الدين في هذا اليوم. فتلقاه الأمراء في خدمته، وعليه التشاريف،ودخل دخولاً حسناً.

وفيها، في شهر رجب، توجه الأمير سيف الدين كرد الحاجب، لنيابة السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية.

وفيها، رسم السلطان بالقبض على الأمير سيف الدين كجكن، أحد الأمراء الأكابر المقدمين بدمشق، فقبض عليه في يوم الجمعة، ثاني عشرين شهر رجب، واعتقل بقلعة دمشق، ثم جُهِّز إلى الأبواب السلطانية مقيداً، ثاني شهر رمضان، هو وحمدان وأخوه، ولدا صلغاي. وجرد معهم مائة فارس من عسكر الشام. فوصلوا بهم إلى الأبواب السلطانية.

ذكر الإفراج عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وتفويض الوزارة إليه

وفي هذه السنة، في شهر رمضان، أفرج عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر العزّي المنصوري، وفوض إليه وزارة المملكة الشريفة، وتدبير الدولة بالديار المصرية، وعزل الصاحب فخر الدين الخليلي[٢].

---

(١) تقدمت ترجمته قبل قليل.

(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٨.

ذكر وفود سلامش بن أفال بن بيجو[١] وأخوه قطقطوا ومن معهما، وعود سلامش وقتله

كان سلامش هذا، قد جهزه قازان ملك التتار إلى بلاد الروم، مقدماً على تمان[٢]، وقيل: بل كان معه خمسة وعشرون ألف[٣] فارس. وأمره قازان أن يأخذ عساكر الروم، ويتوجه إلى الشام من جهة سيس، وأن قازان حضر بنفسه، ببقية جيوشه من جهة الفرات، وأن يكون اجتماعهم على حلب، ثم يعبرون بجملتهم إلى الشام. فلما وصل سلامش إلى بلاد الروم، وخلع طاعة قازان، وحدثته نفسه بالملك، وكاتب ابن قرمان أمير التركمان، فأطاعه وانظم إليه في عشرة آلاف فارس. وكتب إلى السلطان المنصور [لاجين][٤]، يستنجده على قازان. ووصل برسالته وكتبه إلى الأبواب السلطانية، مخلص الدين الرومي، فكتب السلطان إلى دمشق بتجهيز العساكر لنصرته وإنجاده.

ولما اتصل بقازان خبر خروجه عن الطاعة، انثنى عزمه عن قصد الشام، في هذه السنة. وجرد العساكر إلى سلامش في أوائل جمادى الآخرة، وكانوا خمسة وثلاثين ألفاً، مع ثلاثة مقدمين، ومرجعهم إلى بولاي. فتوجهوا إلى سلامش، وكان قد جمع نحو ستين ألف فارس، وهو يحاصر سيواس، فإنها كانت قد عصت عليه. فأتته العساكر في شهر رجب، والتقوا، ففارقه من كان معه من عسكر التتار، والتحقوا ببولاي، وكذلك عسكر الروم، ولحق التركمان بالجبال. وبقي سلامش في دون خمسمائة فارس، ففر من سيواس إلى بلاد سيس، ووصل إلى بهسنا في أواخر شهر رجب، ثم وصل إلى دمشق في يوم الخميس، ثاني عشر شعبان، وصحبته الأمير بدر الدين الدردكاش نائب بهسنا[٥]، فتلقته عساكر دمشق بأحسن زي صحبة نائب السلطنة بدمشق.

ثم توجه سلامش إلى الأبواب السلطانية، في يوم الأحد خامس عشر شعبان، على خيل البريد، فوصل إلى الأبواب السلطانية، وهو وأخوه قطقطوا، فأكرمهما السلطان والأمراء، وأحسنوا إليهما. وخيّر [سلامش][٦] بين المقام بالديار المصرية أو

---

(١) «سلامش بن أباجو» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٩٥.

(٢) التمان والتومان وتكتب أيضاً الطومان: فرقة من الجيش يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل. انظر صبح الأعشى: القلقشندي ج ٤، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٧٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٩٥.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٦.

(٥) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٩٦، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٧.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

العود. فسأل أن يجرد السلطان معه جيشاً، ليتوجه إلى بلاد التتار، ويأخذ عياله؛ ويرجع إلى خدمة السلطان. فجهزه السلطان إلى حلب. ورسم أن يجرد معه الأمير سيف الدين بكتمر الجلمي، وأعانه. فوصل إلى دمشق في الحادي والعشرين من شهر رمضان. وتوجه في الثالث والعشرين من الشهر، صحبة الأمير بدر الدين الدردكاش. ولما وصل إلى حلب، جرد معه الأمير سيف الدين بكتمر الجلمي حسب المرسوم. فساروا في بلاد سيس، فشعر بهم صاحبها والتتار الذين بتلك الأعمال، فأخذوا عليهم الطرق والمضايق، والتقوا واقتتلوا، فقتل الجلمي، ولجأ[١] سلامش إلى بعض القلاع. فأرسل قازان في طلبه، واستنزله فحمل إليه فقتله.

واستقر قطقطوا ومخلص الدين الرومي في الخدمة الشريفة السلطانية بالديار المصرية. فأنعم السلطان على قطقطوا بإقطاع، وعلى مخلص الدين براتب.

وفي هذه السنة، في شهر رمضان، وصل رسول صاحب سيس ورسول صاحب القسطنطينية بتحف وهدايا وتقادم للسلطان. فوصلوا إلى دمشق في رابع الشهر، وتوجهوا منها إلى الأبواب السلطانية، في سادسه[٢]. ويقال إن مضمون رسالة صاحب القسطنطينية، الشفاعة في صاحب سيس، والله أعلم.

ذكر وصول مراكب الفرنج إلى ساحل الشام وتكسير بعضها، ورجوع ما سلم منها

وفي هذه السنة، في العشر الأخر من شعبان، وصل إلى بيروت مراكب كثيرة. وبطش[٣] للفرنج فيها جماعة كثيرة من المقاتلة، ويقال: إن البطش كانت ثلاثين بطشة، في كل بطشة منها، نحو سبعمائة. وقصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر، وتحصل إغارتهم على بلاد الساحل، فلما قربوا من البر، أرسل الله عز وجل عليهم ريحاً مختلفة. فغرقت بعض هذه المراكب، وتكسر بعضها. ورجع من سلم منهم على أسوأ حال، وكفى الله تعالى شرهم. وحكي عن الرّيس ببيروت، أنه قال: والله لي خمسون سنة، ألازم هذا البحر، فما رأيت مثل هذه الريح التي خرجت على هذه المراكب، وليست من الرياح المعروفة عندنا[٤].

---

(١) «وفر» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٧.

(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٨.

(٣) البطشة والبطسة: السفينة الكبيرة Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٤) انظر ما ورد في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٧٥.

وفي هذه السنة، عزل قاضي القضاة حسام الدين الرومي الحنفي عن القضاء بالديار المصرية، وأعيد إلى القضاء بدمشق عوضاً عن ولده القاضي جلال الدين. وكان وصوله إلى دمشق في يوم الخميس، سادس ذي الحجة، ولما عزل فوض القضاء بالديار المصرية، على مذهب الإمام أبي حنيفة، للقاضي شمس الدين أحمد السروجي الحنفي، على عادته.

وفيها، كانت وفاة الأمير الزاهد بدر الدين الصوابي[١] فجأة في ليلة الخميس، تاسع جمادى الأولى، ودفن بسفح قاسيون بكرة النهار. وكان أميراً ديناً صالحاً، خيراً كثير البر والصدقة. وروى الحديث النبوي، وكان له في الإمرة نحو أربعين سنة. وكان من مقدمي الألوف وأمراء المائة بالشام، رحمه الله تعالى. وفيها، كانت وفاة بدر الدين بيسري[٢] الشمسي الصالحي النجمي، الأمير الكبير المشهور في معتقله، بالقاعة الصالحية، بقلعة الجبل المحروسة، وأخرج ودفن بتربته، وكان الملك الناصر، لما عاد إلى المُلْك، رسم بالإفراج عنه. فوقف الأمراء في ذلك، وحسّنوا للسلطان إبقاءه على ما هو عليه. فرجع إلى رأيهم وأبقاه، فمات بعد ذلك بمدة يسيرة. وكان رحمه الله تعالى، كريم النفس، عالي الهمة، يعطي الكثير ويستقلّه، وكان عليه في أيام إمرته لجماعة كثيرة من مماليكه وأولادهم، وخدامه، الرواتب الوافرة من اللحم والتوابل والجرايات والعليق. فرتب لبعضهم في كل يوم سبعين رطلاً من اللحم بالمصري، وما يحتاج إليه من التوابل والخضراوات والحطب، وسبعين عليقة، ولأقلهم خمسة أرطال، وخمس علائق، ولبعضهم عشرين رطلاً وعشرين عليقة، هذا زيادة من جهته على ما لهم من الإقطاعات السلطانية. وبلغ ما يحتاج إليه في كل يوم بسماطه ودوره المرتب عليه فيما بلغني، ثلاثة آلاف رطل لحم، وثلاثة آلاف عليقة. وكان ينعم بألف دينار عيناً. وبألف إردب غلة، وبألف قنطار من العسل. ويتصدق على الفقراء بألف درهم وخمسمائة درهم. ولا يعطى أقل من ذلك إلا في النادر عند التعذر. ولا يفعل ذلك عن امتلاء ولا سعة. ما زال عليه لأرباب الديوان أربعمائة ألف درهم، وأكثر من ذلك. وإذا وفى ديناً، اقترض خلافه، يتكرم بذلك، ولا يتجاسر أحد من مماليكه، وألزامه أن يعدله عن ذلك، ولا يشافهه في الإمساك عنه، والاختصار منه، وإن كلمه أحد منهم، أنكر عليه، وربما ضربه وأهانه عن وظيفته، وإن كان أستاذ دار أو مباشراً عنده. وكانت مكارمه كثيرة مشهورة وعطاياه وصلاته وافرة مذكورة، ما رأى أهل عصره من أمثاله في المكارم والعطايا والإنفاق والهبات والصلات مثله، رحمه الله تعالى، ومات وعليه من الديون، ما

---

(١) هو أحد أمراء الألوف بدمشق. ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٤٥.

(٢) تقدمت ترجمته.

يزيد على أربعمائة ألف درهم، ورتب بعده من موجوده وأملاكه، رحمه الله تعالى.

ذكر وفاة الملك المظفر[١] صاحب حماه

وفي يوم الخميس، الحادي والعشرين من ذي القعدة، كانت وفاة الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه بها، ودفن ليلة الجمعة، آخر الليل عنده أبيه رحمهما الله تعالى. ومولده في الساعة العاشرة من ليلة الأحد، خامس عشر المحرم، سنة سبع وخمسين وستمائة. وأمه عائشة خاتون بنت الملك العزيز غياث الدين محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. فيكون عمره، رحمه الله تعالى، إحدى وأربعين سنة وعشر أشهر وسبعة أيام، ومدة ملكه بحماه خمس عشرة سنة وشهراً واحداً ويوماً واحداً، رحمه الله تعالى. وانقطع ملك حماه بعده من البيت الأيوبي سنين، إلى أن أعاده السلطان الملك الناصر في سلطته الثالثة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في موضعه. ولما مات، فوضت نيابة السلطة بحماه إلى الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، كما تقدم، وتداولها جماعة من النواب يأتي ذكرهم، إن شاء الله تعالى، في مواضعه.

وفيها، توفي الملك الأوحد نجم الدين[٢] يوسف ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، رحمهم الله تعالى في ليلة الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي الحجة بالقدس الشريف، ودفن من الغد برباطه عند باب خطّه شمالي الحرم، وكان من المشهورين بالجلالة والتقدم في المجالس، وعند الملوك، وكان كثير الإحسان إلى الضعفاء، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي نجم الدين أيوب ابن الملك الأفضل علي ابن الملك الناصر داود بدمشق، وصلي عليه يوم الجمعة، رابع عشر ذي الحجة، رحمه الله تعالى.

وفيها، كانت وفاة الشيخ الإمام حجة العرب بهاء الدين[٣] أبي عبد الله محمد بن

---

(١) ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٤٧. والمنهل الصافي لابن تغري بردي، ج ٣، ترجمة ٧٤١.

(٢) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٥٠، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٤، ص ٦.

(٣) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٥٠، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٢٤٣، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٤، ص ٦.

إبراهيم بن محمد بن نصر بن النحاس الحلبي النحوي بالقاهرة، في يوم الثلاثاء سابع جمادى الأولى، في الثالثة من النهار. وأخرج من الغد، ودفن بالقرافة، ومولده بحلب، في يوم الأربعاء، سلخ جمادى الآخرة، سنة سبع وعشرين وستمائة، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر التكريتي[١]، في ليلة الخميس، ثاني جمادى الآخرة بدمشق، ودفن بتربته بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

وفيها، كانت وفاة الأمير جمال آقش المغيثي، متولي البيرة، وكان له بها نحو أربعين سنة.

ذكر توجه السلطان إلى الشام

وفي هذه السنة، تواترت الأخبار بحركة التتار، فندب السلطان الجيوش المصرية وجردها. وكان قد جرد في جمادى الآخرة، الأمير سيف الدين بلبان الحبيشي ومضافيه، والأمير بدر الدين عبد الله السلاح دار ومضافيه، والأمير جمال الدين آقش الموصلي المعروف قتال السبع، والأمير مبارز الدين الرومي أمير شكار ومضافيه، فوصلوا إلى دمشق، في سابع شهر رجب. فلما قويت الأجناد الآن، جرّد الأمير سيف الدين قطلبك الحاجب ومضافيه، والأمير سيف الدين نوكيه التتاري ومضافيه، فوصلوا إلى دمشق في يوم الاثنين رابع عشرين ذي الحجة، ثم توجه السلطان بعد ذلك، بالعساكر المنصورة، فاستقل ركابه الشريف من قلعة الجبل في الرابع والعشرين من ذي الحجة. واستناب في غيبته بقلعة الجبل المحروسة، الأمير ركن الدين بيبرس الدواداري المنصوري.

واستهلت سنة تسع وتسعين وستمائة
[٦٩٩ هـ = ١٢٩٩/ ١٣٠٠ م]

والسلطان الملك الناصر متوجه بالجيوش إلى الشام، فوصل إلى غزة في المحرم، ونزل بتل العجول.

ذكر الفتنة التي أثارها الأويراتية[٢] بهذه المدينة

لما حل ركاب السلطان بمنزلة تل العجول، اتفق جماعة من الأويراتية، الذين وفدوا إلى الديار المصرية، في الأيام العادلية الزينية، مع الأمير سيف الدين برلطاي،

(١) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٥٠، والسلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٨١.
(٢) الأويراتية: تقدم التعريف بهم.

أحد الأمراء المماليك السلطانية الذين كانوا بدار الوزارة، على إثارة فتنة. فبينما الأمراء في الموكب، لم يشعروا إلا وقد شهر برلطاي سيفه، وحمل نفسه، وكرَّ صواب الدهليز المنصور السلطاني، فأمْسِك. وسيره السلطان إلى الأمراء، فقتل لوقته. وقبض على جماعة من المماليك السلطانية، وسيروا إلى قلعة الكرك، واعتقلوا بها. وقبض على جماعة من الأويراتية، فشنقوا بظاهر غزة. وكان من أتهم بمباطنتهم قطلوبرس[١] العادلي، فَطُلِبَ فلم يوجد. واختفى مدة، ثم حصل الظفر به، بعد ذلك، فشنق بسوق الخيل تحت القلعة.

وأقام السلطان [الناصر][٢] بهذه المنزلة مدة، ثم رحل منها، وتوجه نحو دمشق، فوصل إليها في يوم الجمعة، ثامن شهر ربيع الأول، ونزل بقلعتها. وهذه السفرة، هي أول وصول السلطان الملك الناصر إلى دمشق، وحال وصوله، أمر بخروج العسكر الشامي، فخرج من دمشق، وتلته العساكر المصرية، ثم توجه السلطان في أعقابهم، إلى جهة حمص، لقتال التتار، ودفعهم عن الشام، وكان رحيله من دمشق في وقت الزوال، من يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الأول.

ذكر وقعة غازان[٣] ملك التتار بمجمع المروج ببلاد حمص

كانت هذه الوقعة في يوم الأربعاء الثامن والعشرين، من شهر ربيع الأول، سنة تسع وتسعين وستمائة. وذلك أن السلطان الملك الناصر، لما رحل من دمشق، إلى جهة حمص، تواترت الأخبار بوصول التتار إلى وادي الخزندار. فسار السلطان إليهم، وحثّ السير، فقطع ثلاث مراحل، في مرحلة واحدة، فأشرف على مجمع المروج، وقد تعبت خيول العساكر الإسلامية، وركب غازان في جيوش التتار، ومن انضم إليها من الكرج والأرمن وغيرهم، ومعه الأمير سيف الدين قبجاق، والأمير سيف بكتمر السلاح دار، والأمير فارس الدين البكي، والأمير سيف الدين عزاز. والتقى الجمعان في الخامسة من النهار المذكور. فحملت الميسرة الإسلامية على ميمنة التتار، فهزمتها أقبح هزيمة، وقتل من التتار خلق كثير. فلما عاين غازان انهزام ميمنته، اعتزل في نحو ثلاثين فارساً، وعزم على الفرار. فمنعه الأمير سيف الدين قبجاق، وثبته ومناه بالظفر[٤]. وكان قصده بذلك، فيما قال بعد عوده، القبض على غازان عند استمرار الهزيمة بجيوشه.

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٨.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.
(٣) انظر أحداث هذه الوقعة في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٩٦ ـ ٩٩.
(٤) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٨٧.

ثم ركبت فرقة من التتار، كانت لم تشهد الحرب، واجتمعوا كراديس(١)، وحملوا حملة منكرة. وقصدوا قلب العساكر الإسلامية، وضعفت الميمنة الإسلامية، عن لقاء ميسرتهم. فكان من الهزيمة ما كان، وذلك بعد العصر من اليوم المذكور.

ذكر تسمية من استشهد وفقد، في هذه الوقعة من المشهورين

كان من استشهد وفقد من الأمراء المشهورين، في هذه الوقعة، الأمير سيف الدين كرد، نائب السلطنة بالمملكة الطرابلسية، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير عز الدين أيدمر الحلبي، أحد الأمراء بالديار المصرية، والأمير سيف الدين بلبان التقوي، من أمراء طرابلس، والأمير ركن الدين بيبرس الغتمي، النائب بحصن المرقب، والأمير صارم الدين أزبك، النائب بقلعة بلاطنس، والأمير بدر الدين بيليك المنصوري المعروف بالطيار، من أمراء دمشق، قتل في عوده بعد الوقعة، والأمير سيف الدين توكيه(٢) التتاري، والأمير جمال الدين أقش كرجي الحاجب، والأمير جمال الدين أقش المطروحي، حاجب الشام، فقدوا نحو ألف فارس من الحلقة والمماليك السلطانية وأجناد الأمراء ومماليكهم. وهؤلاء الأمراء، منهم من استشهد في المعركة، ومنهم من أصابته جراحة، فمات بعد انفصال الوقعة فيعد شهيداً، ومنهم من عدم ولم تتحقق وفاته. وعدم قاضي القضاة حسام الدين الحنفي الرومي، والقاضي عماد الدين إسماعيل بن أحمد [بن سعيد](٣) ابن الأثير الموقع(٤). وقتل من التتار فيما قبل نحو أربعة عشر ألف ألفاً.

ولما تمت الهزيمة، وشاهد غازان من قتل من أصحابه وكثرتهم، وقلة من قتل من العساكر الإسلامية، بالنسبة إلى من قتل من التتار، ظن أن هذه الهزيمة مكيدة، واستجرار لعساكره، فتوقف عن اتباع العساكر الإسلامية، حتى تبين له صحة الهزيمة. ثم سار من مكان الوقعة إلى حمص، وبها الخزائن السلطانية، فسلمها متوليها محمد بن الصارم، من غير ممانعة، ولا مدافعة. ثم رحل عنها إلى جهة دمشق ونزل بالغوطة(٥).

---

(١) كراديس: جمع كردوس أو كردوسة، وهي الفرقة الحربية الراكبة والقطعة العظيمة من الخيل. محيط المحيط Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٢) «نوكاي» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٨٨.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٨٨.

(٤) الموقع: هو الذي يكتب المكاتبات والولايات في ديوان الإنشاء السلطاني، وكان يعرف من قبل باسم كاتب الدرج. القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص ٤٣٧. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٨٨٨، حاشية (٣). محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٣٥.

(٥) الغوطة: الكورة التي فيها دمشق. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤، ص ٢٤٨.

ذكر ما اتفق بدمشق بعد الوقعة ومفارقة العساكر الإسلامية في مدة استيلاء التتار عليها، إلى أن فارقوا البلاد، وعادوا إلى الشرق

كانت الأخبار وصلت إليهم بانهزام الجيوش الإسلامية، وتحققوها في يوم السبت، مستهل شهر ربيع الآخر، فتوجه من أمكنه السفر إلى الديار المصرية في هذا اليوم. فكان ممن توجه قاضي القضاة إمام الدين الشافعي، وقاضي القضاة جمال الدين الزواوي المالكي، وابن الشيرازي، ومتولي مدينة دمشق، ومتولي برّها، ومحتسب المدينة، وجماعة كبيرة من أهل البلد، ممن قدر على الانتزاح. وفي ليلة الأحد، أحرق المعتقلون بسجن باب الصغير بابه، وخرجوا منه، وكانوا نحو مائة وخمسين، وتوجهوا إلى باب الجابية، وكسروا الأقفال وخرجوا منه. وبقي البلد لا حامي له، ولا ممانع عنه. فاجتمع أكابر دمشق، في يوم الأحد الثاني من الشهر، بمشهد عليّ بالجامع الأموي، واتفقوا على أن يتوجهوا إلى الملك غازان، ويسألوا الأمان لأهل البلد، فتوجه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وهو الخطيب يومئذٍ، والشيخ تقي الدين بن تيمية، والشيخ زين الدين الفارقي، والقاضي نجم الدين بن صصري، والقاضي شمس الدين الحريري، والقاضي جلال الدين ابن القاضي حسام الدين، وفخر الدين بن الشيرجي، وعز الدين بن الزكي، ووجيه الدين بن منجا، والرئيس عز الدين حمزة بن القلانسي، وابن عمه الصدر شرف الدين، وأمين الدين بن شقير الحراني، والشريف زين الدين بن عدنان، ونجم الدين بن أبي الطيب، وناصر الدين بن عبد السلام، وشريف الدين بن الشيرجي، وشهاب الدين الحنفي، والشيخ محمد بن قوام البالسي، وجلال الدين أخو القاضي إمام الدين، وجماعة كبيرة من القراء والفقهاء والعدل. وتوجهوا بعد صلاة الظهر، من يوم الاثنين، ثالث الشهر، واجتمعوا بالملك غازان، وهو عند النبك[١] وهو سائر. ونزلوا عن مراكيبهم، وقبّل بعضهم الأرض، فوقف غازان بفرسه لهم. وترجل جماعة من التتار عن خيولهم. وتكلم الترجمان بينهم وبين الملك غازان، وسألوا الأمان لأهل دمشق، وكان المخاطب له عن أهل دمشق، فخر الدين بن الشيرجي. فقال غازان: الذي حضرتم بسببه من الأمان قد أرسلناه قبل وصولكم. وقدّموا ما كان معهم من المأكول، فلم يكن له وقع عندهم. وأذن لهم في الرجوع إلى دمشق، فرجعوا. وكان وصولهم بعد صلاة العصر، من يوم الجمعة، سابع الشهر. ولم يُخْطب في هذه الجمعة لسلطان[٢].

---

(١) النبك: قرية بين حمص ودمشق، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥، ص ٣٠٠.
(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٨٩.

وكان قد وصل إلى دمشق في يوم الخميس، سادس الشهر أربعة من التتار، من جهة غازان، ومعهم الشريف القمّي، وكان قد توجه قبل توجه الجماعة، هو وثلاثة من أهل دمشق إلى غازان. فعاد وبيده أمان لأهل دمشق.

ثم وصل بعد صلاة الجمعة، الأمير إسماعيل وجماعة من التتار، فنزلوا بالبستان الظاهري، بطريق القابون. ثم ركب الأمير إسماعيل في يوم السبت، ودخل إلى دمشق، وجاء إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموي، لقراءة الفرمان[1] وقرأه[2] أحد العجم الواصلين صحبة الأمير إسماعيل، وبلّغ عنه المجاهد المؤذن، ومضمونه[3]:

بقوة الله تعالى، ليعلم أمراء التومان[4]، والألوف والمائة، وعموم عساكرنا المتصورة، من المغول والتازيك[5] والكرج[6] وغيرهم، ممن هو داخل تحت ربقة طاعتنا. إن الله لما نوَّر قلوبنا بنور الإسلام، وهدانا إلى ملة النبي عليه أفضل السلام والسلام ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

ولما أن سمعنا أنّ حكام مصر والشام خارجون عن طريق الدين، غير متمسكين بأحكام الإسلام، ناقضون لعهودهم، حالفون بالأيمان الفاجرة، ليس لديهم وفاء ولا ذمام، ولا لأمورهم التئام ولا انتظام، وكان أحدهم إذا تولى، سعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، وشاع من شعارهم الحيف على الرعية، ومدُّ الأيدي العارية، إلى حرمهم[7] وأموالهم، والتخطّي عن جادة العدل

---

(١) الفرمان: في اللغة ما يصدره السلطان أو الملك من الكتب للولاة والوكلاء والقصاد يعلن فيها تنصيبهم ومأموريتهم، والجمع فرمانات وفرامين وفرامنة. انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٢٦١، وبطرس البستاني: محيط المحيط.

(٢) «قرىء بالمدرسة البادرائية» (بدمشق داخل باب الفراديس) في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٠١.

(٣) انظر نص الفرمان في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠١١ ملحق رقم (١٢)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٢٣٠ ملحق رقم (٢).

(٤) التومان: تقدم التعريف به.

(٥) التازيك: كان هذا اللفظ يطلق على العرب والمسلمين عامة ثم استعمله المغول للدلالة على أهل فارس فقط. انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠١١، حاشية (٣)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٢٣٠، حاشية (٢).

(٦) الكُرج: بالضم ثم السكون وآخره جيم: وهو جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ط، ص ٥٠٦.

(٧) «حريمهم» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠١١.

والإنصاف وارتكابهم الجور والإعساف، حملتنا الحميّة الدينية، والحفيظة الإسلامية، على أن توجهنا إلى تلك البلاد، لإزالة هذا العدوان، وإماطة هذا الطغيان، مستصحبين الجمّ الغفير من العساكر.

ونذرنا على أنفسنا، إن وفقنا الله تعالى بفتح تلك البلاد، أزَلْنا العدوان والفساد، وبسطنا العدل والإحسان في كافة العباد، ممتثلاً للأمر الإلٰهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]. وإجابةً لما ندب إليه الرسول ﷺ، «أن المُقْسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمٰن، وكلتا يديه يمين الدين، يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» وحيث كانت طويّتنا مشتملة على هذه المقاصد الحميدة والنذور الأكيدة. منَّ الله علينا، بتبليج تباشير النصر المبين، والفتح المستبين. وأتمَّ علينا نعمته، وأنزل علينا سكينته، فقهرنا العدوَّ الطاغية، والجيوش الباغية وفرّقناهم أيدي سبا، ومزّقناهم كل ممزق حتى جاء الحق وزهق الباطل، وإن الباطل كان زهوقاً، فازدادت صدورنا انشراحاً للإسلام، وقويت نفوسنا بحقيقة الأحكام، منخرطين في زمرة من حبّبَ إليهم الإيمان، وزيّنَه في قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون، فضلاً من الله ونعمة.

فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثّقة، والنذور المؤكدة، فصدرت مراسيمنا العالية، أن لا يتعرَّض أحد من العساكر على اختلاف طباقاتها لدمشق وأعمالها، وسائر البلاد الإسلاميّة الشامية، أن يكفوا أظفار التعدّي عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم، ولا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه، حتى يشتغلوا بصدور مشروحة، وآمال مفسوحة، بعمارة البلاد، وبما هو كل واحد بصدده من تجارة وزراعة، وغير ذلك. وكان هذا الهرج العظيم، وكثرة العساكر، فتعرّض بعض نفر يسير من السلاحية وغيرهم، إلى نهب بعض الرعايا وأسرهم، فقتلناهم ليعتبر الباقون، ويقطعوا أطماعهم عن النهب والأسر، وغير ذلك من الفساد. وليعلموا أنّا لا نسامح بعد هذا الأمر البتّة، وأن لا يتعرّضوا لأحد من أهل الأديان، على اختلاف أديانهم، من اليهود والنصارى والصابئة. فإنهم إنما يبذلون الجزية عنهم، من الوظائف الشرعية، لقول عليّ عليه السلام: «إنما يبذلون الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودمائهم كدمائنا» والسلاطين مُوصون على أهل الذمة الطيعين، كما هم مُوَصَّون على المسلمين فإنهم من جملة الرعايا. قال ﷺ: «الإمام الذي على الناس، راعٍ عليهم، وكلُّ راعٍ مسؤول عن رعيته».

فسبيل القضاة والخطباء والمشايخ والعلماء والشرفاء والأكابر والمشاهير وعامة الرعايا، الاستبشار بهذا النصر الهني والفتح السني، أَخَذُ لحظ الوافر من السرور،

والنصيب الأكبر من البهجة والحبور، مقبلين على الدُّعاء لهذه الدولة القاهرة، والمملكة الظاهرة، أناء[(١)] الليل وأطراف النهار.

وكتب في خامس ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة.

ولما قُرىء هذا الفرمان، حصل للناس بعد الطمأنينة، وجلس التتار بالمقصورة إلى أن صلوا العصر، وعادوا إلى منزلهم بالبستان الظاهري. وأغلق الأمير علم الدين سنجر أرجواش أبواب قلعة دمشق، وامتنع بها في أول هذه الحادثة.

واجتمع أهل دمشق في يوم الأحد تاسع الشهر بالقيمرية، واهتموا في تحصيل الخيل والبغال والأموال، ليرضوا بها التتار، ونزل غازان ملك التتار بالغوطة، في يوم الاثنين العاشر من الشهر، وأحدقت الجيوش بالغوطة، وقتلوا طائفة من أهل القرى.

ووصل الأمير سيف الدين قبجاق، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، وغيرهما في هذا اليوم، ونزلوا بالميدان. ولما مروا بالقلعة، وخاطبوا الأمير علم الدين سنجر أرجواش[(٢)]، نائب القلعة، وأشاروا عليه بتسليمها، فسبهم أقبح سب.

وفي بكرة نهار الثلاثاء، حادي عشر الشهر، ورد مثال الأمير إسماعيل نائب التتار، يأمر العلماء والمشايخ والرؤساء، أن يتوجهوا إلى القلعة، ويتحدثوا مع نائبها في تسليمها، وأنه متى امتنع من ذلك، دخل الجيش البلد ونهبها، وسفكت الدماء. فاجتمع جماعة كثيرة إلى باب القلعة، وسألوا الأمير علم الدين سنجر [أرجواش][(٣)]، أن يرسل إليهم رسولاً، فامتنع وسبَّهم أقبح سب. وقال: قد وردت عليّ بطاقة من السلطان، أنه جمع الجيوش بغزة، وكسر الطائفة التي اتبعتهم من التتار، والسلطان يصل عن قريب بعساكره[(٤)].

ثم دخل قبجاق دمشق في يوم الأربعاء، ثاني عشر الشهر، وجلس بالمدرسة العزيزية، وأمر العلماء والأكابر بمراجعة أرجواش في تسليم القلعة، فتوجهوا إليه، فلم يسمع كلامهم، وكُتِبَ في هذا اليوم بالعزيزية فرامانات من شيخ الشيوخ نظام الدين محمود بن علي [الشهباني][(٥)]، ومقدم من مقدمي التتار، ذكر أنه رضيع الملك غازان، ومن قبجاق، فلم تُجدِ نفعاً.

---

(١) «آناء» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ١٠١٢.

(٢) توفي سنة ٧٠١ هـ/ ١٣٠١ م، ترجمته في الدرر الكامنة لابن العسقلاني ج ١، ص ٣٤٩، ترجمة ٨٦٥، المنهل الصافي لابن تغري بردي، ج ٢، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦، ترجمة ٨٦٥.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٤) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٩٠.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٩١.

وفي يوم الجمعة رابع عشر الشهر ربيع [الآخر][١] خطب الغازان على منبر دمشق، بما رسم لهم به من الألقاب والنعوت وهي «مولانا السلطان، الملك الأعظم، سلطان الإسلام والمسلمين، مظفر الدنيا والدين، محمود غازان». وصلى بالمقصورة جماعة من المغل. وحضر إلى المقصورة، عقيب الصلاة الأمير سيف الدين قبجاق، وصعد هو والأمير إسماعيل، إلى سدّة المؤذنين. واجتمع جمع كثير من عامة الناس تحت النسر. وقرىء عليهم تقليد بتولية الأمير سيف الدين قبجاق الشام أجمع، وعيّن فيه مدينة دمشق وحلب وحماه وحمص وغير ذلك، من الأعمال والجهات. وجعل إليه، أن يولي القضاة، والحكماء، والخطباء وغيرهم. ونثر على الناس الذهب والدراهم، فاستبشر الناس بولاية قبجاق، ظناً منهم أنه يرفق بهم. وحضر في هذا اليوم شيخ الشيوخ نظام الدين محمود بن علي الشيباني، إلى المدرسة العادلية. وأحضرت إليه ضيافة، وأظهر العتب على أهل البلد، كونهم لم يترددوا به. وذكر أنه يصلح أمرهم، ويتفق معهم، على ما يفعل، في أمر القلعة. فقال بعض من حضر إن الأمير سيف الدين قبجاق يَخْبِرُ أمر متولي القلعة، فقال [شيخ الشيوخ][٢]: «خمسمائة من قبجاق ما يكونون في خاتمي» وعظّم نفسه تعظيماً كثيراً.

وفي يوم السبت خامس عشر الشهر. ابتدىء بنهب جبل الصالحية، وما به من الترب والمدارس، وغيرها. فتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية، إلى شيخ الشيوخ، فركب إليهم في يوم الثلاثاء. فلما وصل إلى جبل الصالحية، هرب من به من التتار، ودخل أهل الجبل إلى دمشق عرايا في أسوأ حال[٣].

وتوجه التتار إلى قرية المزّة[٤]، فنهبوها وسبوا أهلها، وتوجهوا إلى داريا[٥]، وفعلوا كذلك، وقتلوا جماعة من أهلها، وقتل أهلها جماعة من التتار، فتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية، يوم الخميس إلى الملك غازان، وهو بتل راهط[٦]، فدخل عليه ليشكو له ما جرى من التتار بعد أمانه، فلم يُمَكَّن من ذلك. وقيل له: إن شكوت إليه أمراً، يقتل

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.
(٣) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٩٢.
(٤) المِزّة: قرية كبيرة في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥، ص ١٤٤.
(٥) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩١.
(٦) مرج راهط: وهو المقصود هنا. بنواحي دمشق، وهو أشهر المروج. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥، ص ١١٨.

بعض المغل، فيكون ذلك سبب الاختلاف، وتدور الدائرة على أهل دمشق، فعدل الشيخ عن الشكوى إلى الدعاء، وفارقه واجتمع بالوزيرين سعد الدين، ورشيد الدين، وتحدث معهما. فذكرا أن جماعة من المقدمين الأكابر، لم يصل إليهم من مال دمشق شيء، ولا بد من إرضائهم، وأمر الوزير بإطلاق الأسرى.

ثم اشتد الأمر على أهل دمشق، في طلب الأموال وحصار القلعة، وجاء منجنيقي، فالتزم بأخذ القلعة. وقرر أن يكون نصيب المجانيق عليها بالجامع الأموي. فأجمع أرجواش رأيه، أنه متى نصب المجانيق بالجامع، رمى عليها بمجانيق القلعة، وكان ذلك يؤدي إلى هدم الجامع. فانتدِب رجال من أهل القلعة، بعد أن تهيأت أعواد المجانيق، ولم يبق إلا نصبها، وخرجوا بالحمية الإيمانية، وهجموا الجامع، ومعهم المناشير، فأفسدوا ما تهيأ من أعواد المجانيق. ثم جددوا غيرها، واحترزوا عليها. وحضر جماعة من المغل يبيتون بالجامع. فيقال إنهم انتهكوا حرمته، وارتكبوا فيه المحارم، من شرب الخمور والزنا، وطرح القاذورات، وقلَّ حضور الناس فيه، حتى أنه لم تقم فيه صلاة العشاء الآخرة، في بعض الليل. ونهب التتار سوق باب البريد.

وتحول الناس من حول الجامع، وزهدوا في قربه لمجاورة التتار. فانتُدِب رجل من أهل القلعة. وبذل نفسه، والتزم بقتل المنجنيقي. وخرج إلى الجامع، والمنجنيقي بين المغل، وهو ترتيب العمل، فتقدم إليه، وضربه بسكِّين فقتله. وهجم رجال القلعة، فتفرق المغل عن القاتل، وحماه أصحابه، فلجأ إلى القلعة، وبطل على التتار ما دبروه من عمل المجانيق، واضطر أرجواش إلى هدم ما حول القلعة، من المساكن والمدارس والأبنية ودار السعادة، وطواحين باب الفرج، وغيرك ذلك. كل ذلك احترازاً على حفظ القلعة، وأن يتطرق العدوّ إليها. وحصل من إفساد التتار والأرمن وإخرابهم الأماكن، بإفسادهم الصالحية، وحرق جامع التوبة بالعُقيبة وغير ذلك، ما بقيت آثاره، بعد ذهاب العدو زمناً طويلاً، ثم أعاد المسلمون ذلك، والحمد لله تعالى، إلى أحسن ما كان.

واشتد الأمر على أهل دمشق في طلب الأموال، في أواخر شهر ربيع الآخر؛ وأوائل جمادى الأول، وطلب من البلد ما لا يتحمله أهله. وتولى استخراج الأموال، والمطالبة بها من أهل دمشق، صفي الدين السنجاري، وولد الشيخ محمد ابن الشيخ علي الحريري. وغلت الأسعار بدمشق هذه المدة.

ثم رجع غازان إلى بلاد الشرق، في يوم الجمعة، ثاني عشر جمادى الأولى ونزل قطلوشاه[١] نائبه بدمشق وجماعة كثيرة من التتار معه، وجعل نيابة الشام إلى الأمير

---

(١) في الأصل: «قطلوشا» والتصحيح من السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٩٣.

سيف الدين قبجاق، ونيابة حلب وحمص إلى الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، ونيابة صفد وطرابلس والسواحل إلى الأمير فارس الدين البكي، ولما توجه غازان استصحب الوزير معه، من أكابر دمشق بدر الدين ابن فضل الله، وعلاء الدين علي ابن الصدر شرف الدين محمد بن القلانسي، وشرف الدين بن الأثير.

وفي يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى، رسم التتار بإخلاء المدرسة العادلية، ووقف جماعة منهم على بابها يفتشون من يخرج منها، ويأخذون ما أحبوا من أمتعتهم، وعجز أهلها عن نقل أكثر أثاثتهم. ودخل التتار إليها، عقيب خروجهم منها، وكسروا أبواب البيوت، ونهبوا ما بها، وأخلى التتار ما حول القلعة، وطلعوا إلى الأسطحة، ورموا منها النشاب على القلعة، فعند ذلك، أمر أرجواش بإحراق ذلك كما تقدم، وكان إحراق المدرسة العادلية في الحادي والعشرين من جمادى الأولى.

وفي يوم الجمعة تاسع عشر الشهر، قرىء على سدة الجامع كتابان: أحدهما يتضمن تولية الأمير سيف الدين قبجاق النيابة[1] بالشام، والثاني: يتضمن تولية الأمير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين شد الشام. وتضمن أحد الكتابين أن يصرف ما كان الخزائن السلاح، من مال الجامع في مصالح السبيل إلى الحجاز الشريف. ويتضمن أيضاً أن غازان يعود إلى الشام في فصل الخريف[2]، ويتوجه إلى الديار المصرية، وأنه توجه [إلى البلاد][3] ونزل نائبه قطلوشاه في ستين ألف فارس الحماية الشام، إلى غير ذلك مما تضمنه.

واستمر قطلوشاه بعد توجه غازان أياماً يحاصر القلعة، فلم يتهيأ منها ما يريد، فجمع له قبجاق مالاً من أهل البلد، فأخذه وعاد إلى بلاد الشرق. وكان رحيله في يوم الثلاثاء[4] الثالث والعشرين من جمادى الأولى. وتوجه الأمير سيف الدين قبجاق لوداعه. وعاد في يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر، ودخل إلى دمشق، من باب شرقي، وشق البلد، وخرج من باب الجابية، وكانا مغلقين في مدة مقام التتار، ففتحا له الآن، ونزل بالقصر الأبلق.

---

(١) انظر نص المرسوم الذي أصدره غازان بتقليد الأمير قبجق بلاد الشام كلها في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ٢٣٢، ملحق رقم (٣).

(٢) هذه العبارة وردت في الكتاب الثاني: «أننا توجهنا إلى البلاد، وتركنا بالشام ستين ألفاً من جيشنا لحفظه، وأننا في فصل الخريف نرجع إلى البلاد، قاصدين الديار المصرية»، انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٩٥، حاشية (٣).

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٤) «يوم الاثنين ثاني عشرة جمادى الأولى» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٩٦.

وعاد الأمير يحيى بن جلال الدين والصفي السنجاري بجماعة من التتار، وشقوا البلد، وتوجهوا إلى القصر أيضاً. ثم نودي في البلد في يوم الجمعة، أن يتوجه الناس إلى ضياعهم وقراهم. وكان قد نودي في أول هذا النهار. أن لا يخرج أحد إلى الجبل والغوطة، وأن لا يخاطر بنفسه، ولا يغرر بنفسه.

وفي تاسع عشر جمادى الأولى، دخل الأمير سيف الدين قبجاق، ومن معه إلى المدينة، ونزلوا بدار الأمير سيف الدين بهادر آص، وما يجاورها من الأدر، بقرب مأذنة فيروز.

وفي يوم الثلاثاء، مستهل جمادى الآخرة، وثانيه، نودي في دمشق بأمر الأمير سيف الدين قبجاق أن يخرج الناس إلى أماكنهم، وانظم إلى قبجاق جماعة من الجند في أول هذا الشهر، يركبون في خدمته، ويترجلون في ركابه، وفتحت أبواب البلد، إلا ما بجوار القلعة منها.

وفي يوم الجمعة رابع الشهر، ضربت البشائر بالقلعة. وفي يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة، أمَّر الأمير سيف الدين قبجاق، أستاذ داره علاء الدين، وطاجار، وكربا بالشرابيش[1] والطبلخاناه[2]. ثم أمَّر ثلاثة في العشر الأوسط من الشهر، وركبوا بالشرابيش والطبلخاناه. وأمر بإدارة الخمارة بدار ابن جرادة، فأظهرت الخمور والفواحش، وضمنت في كل يوم ألف درهم[3]، واستمر الحال على على ذلك بقية جمادى الآخرة وبعض شهر رجب.

وكان غازان قد جرد عسكره عشرين ألف فارس، صحبه بولاي، وأشبقا وحجك وهولاجو، فنزلوا بالأغوار. وشنوا الغارات ونهبوا، ووصلت غاراتهم إلى بلد القدس والخليل، ودخلوا إلى غزة، وقتلوا بجامعها خمسة عشر نفراً من المسلمين، ثم رجعت هذه العساكر إلى دمشق، وعادت إلى بلاد الشرق، في ثاني شهر رجب، واستصحبوا معهم أمين الدين شقير الحرَّاني.

وعاد التتار بجملتهم في ثامن شهر رجب، لما بلغهم اهتمام السلطان، وخروج العساكر. ولم يفتح غازان شيئاً من القلاع الشامية، بل امتنعت بجملتها. اقتداء بقلعة

---

(١) الشرابيش: جمع شربوش: قلنسوة طويلة أعجمية وتلبس بدل العمامة، وكانت شارة للأمراء، فلا يلبسها رجال العلم كالقضاة والكتاب وغيرهم. وكان الشربوش يلبس عادة مع الخلع السلطانية. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٩٧.

(٢) الطبلخاناه: تقدم التريف به.

(٣) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٩٦.

دمشق، وتمسك نواب القلاع، من تسليمها، واعتذروا أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بعد تسليم قلعة دمشق، فسلمت القلاع بجملتها. ثم توجه الأمير سيف الدين قبجاق والأمراء إلى خدمة السلطان الملك الناصر على ما نذكره.

ولما توجه قبجاق من دمشق، دبّر أمر البلد الأمير علم الدين أرجواش. وأعيدت الخطبة بدمشق، باسم السلطان في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب. وكانت انقطعت من سابع شهر ربيع الآخر، فانقطعت مائة يوم. وفي هذا اليوم أبطل ما كان جدّد من المنكرات، وأغلقت الخمارات، وأريق ما فيها، وكسرت المواعين، وشقت الظروف[١]. وتولى ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية وأصحابه.

هذا ما كان بدمشق، فلنذكر ما اعتمده السلطان عند عوده.

ذكر ما اعتمده السلطان الملك الناصر عند عوده إلى الديار المصرية من الاهتمام بأمر الجيوش والعساكر

لما كان من أمر هذه الحادثة ما قدمناه، رجع السلطان من مكان الوقعة إلى الديار المصرية، وتفرقت العساكر، فأخذت كل فرقة طريقاً. وكان وصول السلطان إلى قلعة الجبل، في يوم الأربعاء، ثاني عشر شهر ربيع الآخر، ولم يصحبه في هذه السفر إلا بعض خواصه، والأمير سيف الدين بكتمر الحسامي أمير آخور، والأمير زين الدين قراجا، في نفر يسير. وخدم الأمير سيف الدين بكتمر، المشار إليه، السلطان في هذه السفرة أتم خدمة. فكان يركبه وينزله، ويُشدّ خيله، ويشتري لها العليق، ويسقيها إلى غير ذلك من أنواع الخدمة.

ثم ترادفت الجيوش إلى الديار المصرية متفرقة. ووصل النواب بالممالك الشامية، وكان فيمن وصل الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري، فمشى في خدمة نائب السلطنة الأمير سيف الدين سلار، وجلس بين يديه، وكان يُرَسِّل علامته إذا كتب، ووصلت العساكر، وعدلت خيولهم وأقمشتهم وأموالهم، وأثقالهم وأسلحتهم، فجرد السلطان الاهتمام، وأخرج الأموال الكثيرة، وأنفق في الجيوش، ووسع عليهم، وسلّم إلى كل نائب من نواب الشام نفقة عسكره، فسلم إلى الأمير جمال الدين أقش الأفرم نفقة عسكر الشام، وإلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخي نفقة عسكر حلب، وإلى الأمير سيف الدين كراي المنصوري نفقة عسكر صفد. وسلّم نفقة عسكر طرابلس[٢]

---

(١) الظروف: جمع ظرف وهو الوعاء، الفيروزأبادي: القاموس المحيط (ظرف).

(٢) في الأصل: الطرابلس.

إلى الأمير شرف الدين قيران الدواداري، ثم إلى الأمير سيف الدين قطلبك. وكانت النفقة في الجيوش ذهباً. ورخص سعر الذهب بالديار المصرية، حتى بلغ صرف الدينار سبعة عشر درهماً، وارتفعت أسعار العدد والسلاح والأقمشة والدواب. ومع ذلك فلم تمض الأيام القلائل على العسكر، حتى كملت عدتهم وخيولهم، وجميع ما يحتاجون إليه من الأسلحة والأقمشة[١].

وجهَّز السلطان إلى نواب الحصون بالشام أجمع القصاد بالملطفات يعلمهم ما هو عليه، من الاهتمام وسرعة حركة ركابه، ويحثهم على حفظ الحصون. فوصلت القُصَّاد إليهم، فامتثلوا ذلك، وحفظوا الحصون، فحفظت وسلمت، ولله الحمد والمنة، وأحسن السلطان إلى نواب الحصون، وكافأهم على اهتمامهم بها وحفظها، ولما تكامل ما تحتاجه العساكر، توجه السلطان بهم، لقصد الشام.

ذكر توجه السلطان بالعساكر إلى جهة الشام، ووصوله إلى منزلة الصالحية وإرسال الجيوش إلى دمشق والممالك الشامية، وعود الأمراء إلى الخدمة السلطانية ورجوع السلطان إلى قلعة الجبل، وما تقرر من أمر النواب

وفي تاسع شهر رجب، من هذه السنة، توجه السلطان بجميع العساكر والنواب إلى الشام، لدفع التتار، فاتصل به عود التتار ومفارقتهم الشام، فأقام بالصالحية. وتوجه نائبه الأمير سيف الدين سلار، وأستاذ داره الأمير ركن الدين بيبرس إلى الشام، وصحبتهما سائر النواب والأمراء. ورحلوا من الصالحية في الثاني والعشرين من هذا الشهر. وكانت الملطفات[٢] قد سيرت إلى الأمراء سيف الدين قبجاق، وسيف الدين بكتمر، وفارس الدين البكي، بالحضور إلى الخدمة السلطانية، ومراجعة الطاعة، واستدراك ما فرط، فأجابوا بالسمع والطاعة. وبادروا بالحضور إلى الخدمة الشريفة السلطانية، واجتمعوا بالأمراء بمنزلة سكرير[٣]. وتوجهوا إلى خدمة السلطان، وهو مقيم بمنزلة الصالحية، وذلك في العاشر من شعبان، فركب السلطان وتلقاهم وأكرمهم وأحسن إليهم، وعاد وهم في خدمته إلى قلعة الجبل. وكان وصوله إليها في رابع عشر

---

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٨٩٦.

(٢) الملطفات: معناها الرسائل، وكانت تكتب عادة إلى الأمراء للترضية والمدح أو التأمين تمهيداً لما يزعمه لهم السلطان في عقوبة أو قتل، وكانت الملطفات تكتب بقلم الغبار. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٢٧، المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٨٥٢، حاشية (٣).

(٣) لعل المقصود السكرية هي على مسافة مرحلة من الرملة Dozy. Supp. Dict, Ar.

شعبان، وأسكن الأمراء المذكورين بالقلعة، وأجرى عليهم الإقامات، وشملهم بالإنعام.

وأما الأمير سيف الدين سلار والعساكر، فإنهم توجهوا إلى دمشق، وكان وصول الأمير جمال الدين أقش الأفرم نائب السلطنة بدمشق إليها بالعسكر الشامي، في يوم السبت عاشر شعبان.

وفي يوم الأحد وصل الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب السلطنة بحلب بعساكرها، وكان قد فوض إليه نيابتها، والأمير سيف الدين قطلبك نائب الفتوحات الطرابلسية جميعاً[١].

وفي يوم الاثنين، ثاني عشر الشهر، وصلت ميسرة الجيوش المصرية، ومقدمها الأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار. في يوم الأربعاء، رابع عشر الشهر، وصل قلب الجيش، وفيه الأمير سيف الدين سلار، نائب السلطنة الشريفة. والمماليك السلطانية، والعادل زين الدين كتبغا المنصوري في خدمته، ونزلت العساكر بالمرج.

وقرر الأمير سيف الدين سلار النواب بالممالك على ما رسم به السطان له عند سفره. فأقر الأمير جمال الدين أقش الأفرم على عادته بدمشق. وفوض إلى الأمير زين الدين كتبغا الملقب ـ كان ـ بالملك العادل، نيابة السلطنة بالمملكة الحموية[٢]، عوضاً عن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري المذكور، وذلك بحكم أن الأمير سيف الدين بلبان الطباخي استعفى من النيابة بحلب واستقر في جملة الأمراء المقدمين بالديار المصرية، على إقطاع الأمير شمس الدين آقسنقر كرتيه[٣]، بحكم وفاته. وفوض نيابة السلطنة بالمملكة الطرابلسية والفتوحات إلى الأمير سيف الدين قطلوبك[٤] المنصوري. وأعاد الأمير سيف الدين كراي المنصوري إلى نيابة السلطنة بالمملكة الصفدية على عادته.

وفوَّض قضاء القضاة الشافعية بدمشق لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الحموي، في خامس شهر شعبان، بحكم وفاة القاضي إمام الدين عمر ابن القاضي سعد الدين بن الكرجي القزويني القونوي. وكانت وفاته بالقاهرة، في يوم الثلاثاء خامس عشرين، شهور ربيع الآخر، ودفن بالقرافة. وفوَّض قضاء القضاة الحنفية، لقاضي القضاة شمس الدين محمد ابن الشيخ صفي الدين الحريري، في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من الشهر.

---

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٠٠.
(٢) انظر ما ورد في المختصر من أخبار البشر لأبي الفدا ج ٤، ص ٤٤.
(٣) «كرتاي» في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٠١.
(٤) يرسم أيضاً قطلبك انظر ما سبق.

وفوّض شاد[١] الدواوين بالشام، إلى الأمير سيف الدين أقجبا المنصوري. وولى بر دمشق للأمير عز الدين أيبك التجيبي. وفوَّض حسبة دمشق لأمين الدين الرومي، ابن المنصور لاجين[٢].

وأقام الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة، والأمير ركن الدين بيبرس بدمشق، إلى أن استقرت أحوالها، وترتبت وظائفها. ثم رجعا إلى الديار المصرية. وكان رحيلهما من دمشق بالجيوش المصرية، في يوم السبت ثامن شهر رمضان. ووصلا إلى خدمة السلطان بقلعة الجبل[٣]، في يوم الثلاثاء، ثالث شوال. ولما وصلا، فوّض إلى الأمير سيف الدين قبجاق نيابة السلطنة بالشوبك. وأعطى الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار إمرة مائة فارس وتقدمة ألف بالديار المصرية، والأمير فارس الدين البكي الساقي، إمرة بدمشق. واستقرت الحال على ذلك.

ذكر ما اعتمده الأمير جمال الدين [أقش][٤] نائب السلطنة بدمشق، بعد عود العساكر المصرية

لما عاد الأمير سيف الدين سلار والعساكر المصرية من دمشق وخلا وجه الأمير جمال الدين أقش الأفرم، نائب السلطنة بالشام، تتبع مَنْ أذى المسلمين عند التتار، وتجاهر بذلك. فعامل كلا منهم بما نذكره، مما أدى إلى اجتهاده، واقتضاه رأيه البرد دار، وابن خطلبشا المزي، وحملهم على الجمال، ثم أطلق ابن العوني، بعد ثلاثة أيام. وشنق كاتب مسطبة الولاية بدمشق، وإبراهيم مؤذن بيت لهْيا[٥]، ورجلاً من اليهود. وقطع لسان ابن طاعن، وقطع يد ورجل أحد من أمّرهم قبجاق، فمات بعد ثلاثة أيام. وكحَّل الشجاع همام، فمات بعد ليلة.

ثم توجه في العشرين من شوال إلى جبال الكسروان والدرزية[٦]، وقصد

(١) شاد الدواوين: تقدم التعريف به.

(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٠١.

(٣) قلعة الجبل: تقدم التعريف بها.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٥) بيت لهيا: بالفتح ثم السكون وياء مثناة من تحتها خفيفة: موضع على باب دمشق. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥، ص ٣٣.

(٦) الدرزية أو الدروز: من فئات سكان لبنان، سكنوا جبل كسروان المتصل بجبال لبنان، ونزل الدروز أيضاً حول دمشق، وفي جبال حوران. والاسم مشتق من درزي أحد دعاة الباطنية الذين يعتقدون بألوهية الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ودرزي هذا كان من أصل فارسي وهو محمد بن إسماعيل، قدم إلى مصر سنة ٤٠٨ هـ/ ١٠١٧ م وخدم الحاكم بأمر الله. ودعا إلى ألوهيته، وصنف في ذلك =

استئصال شأفتهم، لما عاملوا به العساكر الإسلامية، عند هزيمتها، من السلب والأذى. فالتزموا برد ما أخذوه من أقمشة العسكر، وحمل ما ترد عليهم، وعاد إلى دمشق، في يوم الأحد ثالث ذي القعدة من السنة.

وألزم أهل دمشق أرباب الحوانيت بتعليق الأسلحة في حوانيتهم، وأمروا برماية النشاب، ونودي بذلك. وحضرت رسالة قاضي القضاة بذلك إلى فقهاء المدارس. وعرض عوام البلد في الحادي والعشرين من القعدة، فحضروا بالسلاح، وقدم على أهل كل سوق رجلاً منهم. ثم عرض السادة الأشراف، في يوم الخميس رابع عشرين الشهر، بالعدّة الكاملة، مع نقيبهم نظام الملك.

وفي هذه السنة، كانت وفاة الأمير الطواشي حسام الدين جلال المغيثي الجلالي، نسبه إلى الملك المغيث ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب. وكانت وفاته في تاسع شهر ربيع الآخر، بمنزلة السوادة[١]، وحمل إلى قطيا[٢]، ودفن بها. وكان قد مرض بدمشق، فأعيد، ولم يشهد الوقعة. وكان رحمه الله تعالى ديناً خيراً.

وفيها، توفي القاضي علاء الدين أحمد ابن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن خلف بن بدر العلائي[٣]. وكانت وفاته..........

وصليت عليه فيمن صلى، وكانت جنازته مشهودة، ودفن بتربتهم بالقرافة رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير سيف الدين جاغان الحسامي بأرض البلقاء من الشام.

وفيها، توفي الأمير علم الدين سنجر الدواداري بحصن الأكراد، في ثالث شهر رجب وكان قد انصرف من الوقعة، والتحق بحصن الأكراد، فمات به، رحمه الله تعالى.

وفيها. توفي والدي، رحمه الله تعالى، تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبي عبد الله، محمد بن عبد الدائم بن منجا بن علي البكري، التيمي القرشي المعروف بالنويري. وقد تقدم ذكر باقي نسبه، عند ذكر مولدي في سنة سبع وسبعين وستمائة.

= كتاباً قرأه بالجامع الأزهر بالقاهرة، فضجّ الناس وخرج من مصر فلجأ إلى جبال لبنان، وهناك نشر مذهبه. توفي سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٢٠ م. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٩٠٢، حاشية (٣).

(١) السوادة: هي من بلاد إقليم الشرقية، ابن مماتي: قوانين الدواوين ص ٨٦.

(٢) قطيا: قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤، ص ٤٢٩.

(٣) ورد اسمه كاملاً في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٠٤، وهو «علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلائي المعروف بابن بنت الأعز الشافعي»، ترجمته في المنهل الصافي لابن تغري بردي ج ١، ص ٣٧٨، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٥، ص ٤٤٤.

وكانت وفاته رحمه الله، قبل أذان المغرب، في يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وستمائة، بالمدرسة الصالحية النجمية، بقاعة التدريس المالكية. وكان ابتداء مرضه، في يوم الأربعاء، الرابع عشر من الشهر. ومولده بمصر بالمدرسة المعروفة بمنازل الغر سنة ثمان عشرة وستمائة. ومات رحمه الله تعالى، ولم تفته صلاة. ولقد توضأ لصلاة العصر، من يوم وفاته أربع مرات، وكان به ذرب، ثم صلى صلاة العصر جالساً. ومات قبل أذان المغرب من يومه. وكان آخر كلامه، بعد أن دعا الله تعالى لي بخير، التلفظ بالشهادتين، ثم قبض رحمه الله تعالى، ودفن من الغد، في يوم الجمعة الثالثة من النهار، بتربة قاضي القضاة زين الدين المالكي، بالقرافة، رحمه الله تعالى وإيانا.

واستهلت سنة سبعمائة يوم الجمعة
[٧٠٠ هـ = ١٣٠٠/١٣٠١ م]

والسلطان الملك الناصر بقلعة الجبل، ومدبرو الدولة، ونواب المملكة من ذكرناهم.

ذكر جباية المقرر على أرباب الأملاك والأموال بالديار المصرية والشام

وفي هذه السنة، في أولها قرر ناصر الدين محمد بن الشيخي، أحد الأمراء بالديار المصرية، ومتولي القاهرة، أن يستخرج من أرباب العقارات والأموال مالاً سماه مقرر الخيالة، وانتصب لاستخراج ذلك بدار العدل، تحت قلعة الجبل. وأحضر أرباب الأموال والأملاك، وقرر على كل منهم بحسب قدرته، واستخرج من ذلك تقدير مائة ألف دينار. وتعدّى ضرره إلى سائر الناس، حتى أراد أن يستخرج من العدول[١] الجالسين بسوق الوراقين، من كل عدل عشرين ديناراً، ومن كل عاقد[٢] أربعين ديناراً.

(١) العدول: جمع عدل وهو الرجل الصحيح الرواية. وهم جماعة الشهود الذين يختارهم القاضي لمعاونته في أعماله فيجلسون حوله يمنة ويسرة بمجلس الحكم على ترتيب الأقدمية في تعديله لهم، ومنهم من تولى الوظائف الكبرى كالحسبة، ووكالة بيت المال والنيابة أيام الدولة الفاطمية، وكانوا يتزينون بزي خاص بطبقتهم كالمناديل تحت الحلوق. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٤٢.

(٢) العاقد: هو الذي يتولى تحرير العقود وكتابتها كعقود البيع والزواج، وهو دون القاضي في الرتبة. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٥٠١، حاشية (٣)، محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٤٨.

فنهض قاضي القضاة زين الدين المالكي في ذلك، وتحدث مع الأمراء في ذلك. وذكر ضرورة العدل ووفاقتهم واحتياجاتهم، وأن جلوسهم في سوق الورّاقين، لتحصيل أقواتهم، ولو قدروا على القوت ما جلسوا، وقام في ذلك أتمَّ قيام، حتى اندفعت عنهم هذه المظلمة، وأعفوا(١) منها، واستُخْرج من سائر الأعمال والبلاد والقرى بالديار المصرية أموال، قررت على كل بلد من البلاد المقطعة، واستخرجت الأموال من الرعايا والفلاحين.

وأما دمشق، فإنه رُسِم باستخراج أجرة أربعة أشهر من أرباب الأملاك والأوقاف التي بدمشق وظاهرها، ومن الضياع، التي ضمانها أكثر من أمدائها ثلث ضمانها. وإن كانت أمداؤها أكثر من ضمانها، استخرج عن كل مدي، ستة دراهم وثلثا درهم - والمُدي أربعون ذراعاً في مثلها، ويكون تكسيره ألف ذراع وستمائة ذراع، بذراع العمل(٢) - فنال الناس من ذلك شدة. وكان المال المطلوب، عن ما تحصل في سنة تسع وتسعين وستمائة.

وفيها، في المحرم، كثرت الأراجيف بحركة التتار، فجفل أهل الشام أجمع، منهم من التجأ إلى الحصون، وأكثرهم وصلوا إلى الديار المصرية، حتى امتلأت القاهرة ومنهم مصر. وكان سعر القمح، قبل وصول هذه الجفول، عن كل أردب عشرين درهماً. فنزل إلى خمسة عشر درهماً، على ما نذكره إن شاء الله تعالى(٣).

ذكر توجه السلطان الملك الناصر بالعساكر إلى الشام وعوده

لما كثرت الأراجيف وقويت الشناعة، بقرب التتار، توجه السلطان بالعساكر إلى الشام. واستقل ركابه من منزلة مسجد التبن(٤)، وهي المنزلة الأولى من قلعة الجبل، في يوم السبت ثالث عشر صفر، ووصل إلى غزة، ونزل بمنزلة بدعرش(٥)، وأقام بها.

---

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٠٧.

(٢) ذراع العمل: مقياس طوله ثلاثة أشبار، بشبر رجل معتدل، المقريزي: السلوك ج ١، ص ٩٠٧، حاشية (٤).

(٣) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٠٨ - ٩٠٩.

(٤) مسجد التبن: هذا المسجد يعرف اليوم بزاوية الشيخ محمد التبري جنوبي سراي القبة بضواحي القاهرة. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٨، ص ١٠٦، حاشية (٢).

(٥) منزلة بدعرش: هي منزلة الناصر محمد بن قلاوون التي كان ينزل بها إذا أراد السفر من القاهرة إلى دمشق أو أراد العودة منها. المقريزي: السلوك ج ١، ص ٨٢٢، حاشية (٤). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٨، ص ١٠٦، حاشية (٣).

وتوالت الأمطار وكثرت،واشتد البرد، وانقطعت الأجلاب على العسكر، حتى عدمت الأقوات. واستمر السلطان بهذه المنزلة إلى سلخ شهر ربيع الآخر. ثم عاد إلى القاهرة، فكان وصوله إلى قلعة الجبل في يوم الاثنين، حادي عشر جمادى الأولى، بعد أن جرد من منزلته بدعرش، الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ومضافيه، والأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزوري ومضافيه. فتوجهوا إلى دمشق بألفي فارس، فوصلوا إليها، في سابع جمادي الأولى.

ولما ظهر بدمشق عود السلطان إلى الديار المصرية؛ خرج من بقي من الدماشقة إلى الديار المصرية. وذلك أن متولي دمشق، كان يمر بالأسواق فيقول للناس: ما يجلسكم ها هنا، وأي شيء تنتظرون، وأشباه هذا الكلام. ثم نودي بدمشق في تاسع[١] جمادى الأولى، من أقام، فدمه في عنقه، ومن عجز من السفر فليتحصن بالقلعة[٢].

وفي مدة مقام السلطان بمنزلة بدعرش، توفي الأمير سيف الدين بلبان الطباخي. واستعفى الأمير سيف الدين كراي المنصوري من نيابة السلطنة بصفد، فأعفي منها؛ وأقطع إقطاع الأمير سيف الدين الطباخي بالديار المصرية. وفوضت نيابة المملكة الصفدية إلى الأمير سيف الدين بتخاص المنصوري، أحد أمراء الشام.

ذكر وصول غازان إلى الشام وعوده وما فعلته جيوشه

كان خبر غازان من هذه السنة، أنه وصل بجيوشه إلى بلاد حلب، ونزل بقرون حماه إلى بلاد سرمين، وبعث معظم جيوشه إلى جبال أنطاكية، وجبال السماق[٣]. فنهبوا من الدواب والأغنام والأبقار شيئاً كثيراً، وسبوا من النساء والصبيان وأسروا من الرجال خلقاً كثيراً. وكانوا في سنة تِسع وتسعين وستمائة لم يصلوا إلى هذه الجهة، فظن الناس أنهم لا يقصدونها في هذه السنة. فاجتمع بها خلق كثير، فقُتِلوا وأُسِروا وسُبوا. ورخصت الأسرى من المسلمين، حتى أبيع الأسير والأسيرة بعشرة دراهم. واشترى الأرمن منهم خلقاً كثيراً، وسيروا في المركب إلى بلاد الفرنج. وأرسل الله تعالى على غازان وجيوشه أمطاراً كثيرة وثلوجاً، حتى هلك كثير منهم. فرجع بعساكره إلى بلاد الشرق، وقد نفق من خيولهم ما لا تحصى كثرة، فرجعوا شبه المكسورين،

---

(١) «يوم السبت» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٠٧.

(٢) «فليطلع إلى القلعة» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٠٧.

(٣) جبال السماق: سلسلة مرتفعات عظيمة بجهات حلب تشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع عامتها للإسماعيلية الملحدة وأكثرهم في طاعة صاحب حلب. سمي كذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢، ص ١١٩.

وعجزت كل طائفة من المسلمين والتتار، عن ملاقاة الأخرى. وكان رجوعهم في جمادى الآخرة وقد خلت دمشق وجميع بلاد الشام [من سكانها][١]. وغلت الأسعار في هذه السنة بدمشق، فأبيعت غرارة القمح بثلثمائة درهم، ورطل اللحم بتسعة دراهم، ثم رخصت الأسعار.

وفيها، استعفى الأمير سيف الدين قطلبك المنصوري من نيابة المملكة الطرابلسية، فأعفي، وفوضت النيابة بها إلى الأمير سيف الدين استدمر كرجي.

وفيها، فنيت الأبقار بالديار المصرية فناء، لم يسمع بمثله. وحُكي لي أن بعض مشايخ البلاد بأشموم طناح، كان يملك ألف رأس وأحد وعشرين رأساً من بقر الخيس، فمات منها ألف رأس وثلاثة رؤوس، وبقي له ثمانية عشر رأساً، وغلت الأبقار بعد هذا الفناء، حتى كادت تعدم. وبيع الثور منها بألف درهم وما يقارب هذا الثمن. واستعمل الناس في السواقي بالديار المصرية لإدارتها، الخيل والجمال والحمير.

ذكر خبر أهل الذمة وتغيير لباسهم وما تقرر في ذلك، والسبب الذي أوجبه

في هذه السنة[٢]، وصل وزير بلاد المغرب[٣] إلى الديار المصرية، بسبب الحج. وتكلم مع الأمراء[٤] في أمر أهل الذمة، وذكر ما هم فيه من الذل والصغار ببلاد المغرب، وأنهم لا يمكنونهم من ركوب الخيل والبغال، ولا يستخدمونهم في المناصب، وذكر أشياء كثيرة من هذا القول. فرسم أن يعقد مجلس بحضور الحاكم، وندب لذلك قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي، فجلس بالمدرسة الصالحية. وحضر القاضي مجد الدين بن الخشاب، وكبار بيت المال، وجماعة من الفقهاء وأحضر بطرك النصارى، وجماعة من أساقفتهم[٥]، وأكابر قسيسيهم، وأعيان ملتهم ودين اليهود وأكابر ملتهم، وسئلوا عما أقروا عليه خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، من عقد الذمة. فلم يأتوا عن ذلك بجواب. وبحث الفقهاء في ذلك، فاقتضت

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٠٧.

(٢) «في شهر رجب» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٠٧.

(٣) «وهو في تلك السنة أبو فارس المتوكل»، المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٩١٠، حاشية (٣).

(٤) «واجتمع بالسلطان وبالأمير سلار نائب السلطنة وبالأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فقابلوه بالإكرام وأنعموا عليه واحترموه» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٠٧.

(٥) «فحضر بعض كتّاب النّصارى» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١٠٨.

المباحث الشريفة بين العلماء، أن يميز النصارى[١] بلبس العمائم الزرق غير الشعرى[٢]، واليهود بلبس العمائم الصفر. وتميز نساء أهل كل ملة كذلك بعلامة تظهر. ولا يركبون الخيول ولا يحملون سلاحاً، ويركبون الخيول الحمر بالأكف[٣] عرضاً من غير تزيين لها ولا قيمة، ويتجنبون أوساط الطرق للمسلمين في مجالسهم عن مراتبهم، ولا يرفعون أصواتهم على أصوات المسلمين. ولا يعلو بناؤهم على بناء المسلمين، ولا يظهرون شعانينهم[٤]، ولا يضربون بالنواقيس. ولا ينصّرون مسلماً ولا يهودونه. ولا يشترون من الرقيق مسلماً ولا من سباه مسلم، ولا من جرت عليه سهام المسلمين. ومن دخل منهم الحمام يميز نفسه بعلامة عن المسلمين، بجرس في حلقه. ولا ينقشون فصوص خواتيمهم بالعربية، ولا يعلمون أولادهم القرآن، ولا يستخدمون في أعمالهم الشاقة مسلماً، ولا يرفعون النيران. ومن زنى منهم بمسلمة قتل.

وقال بطرك النصارى بحضرة جماعة العدول: «حرّمت على أهل ملتي وأصحابي مخالفة ذلك، والعدول عنه». وقال رئيس اليهود وديانهم: «أوقعت الكلمة على أهل ملتي وطائفتي في مخالفة ذلك، والخروج عنه»[٥].

ونظمت المكاتيب بذلك، ورسم بحمل الأمراء على حكمها. وكتب إلى سائر أعمال الديار المصرية بإجرائهم على ذلك. [وكتب إلى أمراء][٦] الشام بذلك، فالتزموا به في شعبان من السنة.

وتقرر بدمشق أن تلبس النصارى العمائم الزرق، واليهود العائم الصفر، والسامرة العمائم الحمر. واستقر ذلك في سائر المملكة، إلا بالكرم فإن النائب بها الأمير جمال الدين آقش الأشرفي، رأى إبقاءهم على حالتهم. واعتذر أن أهل الكرك نصارى، وأن المسلمين بها قليل، وأن هذا القدر[٧] يؤدي إلى ظهور كثرتهم للغريب، وما أشبه هذه

---

(١) أورد المقريزي خبراً تحت عنوان «وقعة أهل الذّمة» قال: إنهم (أي النصارى) كان قد تزايد ترفههم بالقاهرة ومصر، انظر تفاصيل ذلك في السلوك ج ١، ص ٩٠٩ - ٩١٠.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) الأكف: جمع أكاف، وهو برذعة الحمار. الفيروزأبادي: القاموس المحيط.

(٤) عيد الشعانين: ومعناه التسبيح ويطلق عليه أيضاً «عيد الزيتونة»، وهو أحد أعياد القبط في مصر ويقع في سابع أحد من صومهم الكبير، الذي يسبق عيد الفصح، وفيه يخرجون بسعف النخيل، ويرون أنه يوم ركوب المسيح بالقدس، والناس بين يديه يسبحون، ومن شعاراته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. المقريزي: المواعظ والاعتبار ج ٢، ص ٢٤.

(٥) انظر ما ورد في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩١٠ - ٩١١.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

(٧) هكذا في الأصل ولعلها القرار.

الأعذار. فاستقر ذلك بالكرك والشوبك إلى الآن[(١)].

وأخبرني الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري في سنة إحدى وسبعمائة وهو يومئذٍ أستاذ الدار السلطنة وشاد الدواوين بدمشق، قال: ركبت في الموكب مع الأمير جمال الدين آقش الأفرم، نائب السلطنة بها، فمر بنا طائفة من أهل الذمة، بالأقمشة النفيسة والعمائم اللانس[(٢)]. قال: فشق ذلك عليّ كونهم لم يتميزوا بعلامة. فذكرت ذلك لنائب السلطان، وقررت معه أن يأمر بتغيير هيأتهم، وأن تلبس النصارى العمائم الزرق، واليهود العمائم الصفر، والسامرة[(٣)] العمائم الحمر، وتقرر أن يطالع في ذلك، فورد مثال السلطان بذلك، قبل وصول المطالعة إليه، ووافق تاريخ تلبيسهم بالديار المصرية، التاريخ الذي حدثت نائب السلطان فيه بسببه. ولما منعوا من الاستخدام بالديار المصرية، أسلم جماعة كثيرة من أعيانهم، لأجل مناصبهم. فاستمروا بعد إسلامهم على ما كانوا عليه.

وقد وقفت على كتاب «الدر الثمين في مناقب المسلمين، ومثالب المشركين»، تصنيف محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد الكاتب. وهو كتاب خدم به السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، رحمه الله تعالى.

وقد رأيت أن أذكر منه نبذة في هذا الموضع، لتعلقه به، فالشيء بالشيء بذكر. جاء في لكتاب المذكور، في صدره، بعد تفويض السلطان الناصر المشار إليه، نثراً، والاستشهاد بأبيات من الشعر في معناه. ثم قال: وكان مولانا الملك الناصر، خلد الله ملكه، وأبقى دولته، لما ملّكه الله الديار المصرية والشامية وما قاربها. ووعده على لسان عدله، أن يفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها. وانتصر لله، وتعصب لدينه، واجتهد في رضاه، والعمل بحكم كتابه، وسنة نبيه، ولحقته الحميّة الإسلامية، وسار السيرة العمرية. وأمر بصرف الذمة وأن لا يتصرفوا ما بقيت هذه الأمة، وسطرها الكاتبان[(٤)] في صحائف حسناته. وأثبتها المؤرخون في محاسن سيرته، ونظمها الشعراء في مدائح عقد مدائحه. وشغله النظر في مصالح الإسلام، عن تميم هذا الاهتمام، والأعمال بخواتيمها.

---

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩١٢.

(٢) اللانس: لفظ فارسي معناه الحرير الموسلين. Dozy. Supp. Dict, Ar.

(٣) السامرة: طائفة من اليهود. وهم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة طه الآية ٨٥ ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وقال بعض المفسرين اسمه موسى بن ظفر. ثم السامرة لهم توراة تخصهم غير التي بيد القرائين والربانيين والنصارى. وهم ينفردون عن غيرهم بمخالفتهم في كثير من الأصول. القلقشندي: صبح الأعشى ج ١٣، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٤) لعل المقصود هنا العماد الكاتب، والمؤلف الذي نقل عنه النويري هذا النص.

ونرجو من الله، أن يبادر بتكميلها وتتميمها. ولقد قيل إن الشريف مسعود بن المحسن المعروف بالبياضي[(١)]، رؤي في المنام بعد موته، فقيل له ما فعل الله بك. قال: غفر لي بأبيات قلتها، وكتبت بها إلى الراضي وهي:

يا ابن الخلائف من قريش والأولى ... طهرت أصولهم من الأدناس

قلدت أمر المسلمين عدوهم ... ما هكذا فعلت بنو العباس

حاشاك من قول الرعية أنه ... ناسٍ لقاء الله أو متناسي

ما العذر إن قالوا غداً هذا الذي ... ولّى اليهود على رقاب الناس

أتقول كانوا وفّروا أموالهم ... فبيوتهم قفر بلا أساس

لا تذكرن إحصاءهم وما وفّروا ... ظلماً وتَنْسى مُحْصي الأنفاس

وخَف القضاء غداً إلى وافيت ما ... كسبت يداك اليوم بالقسطاس

في موقف ما فيه إلا شاخص ... أو مهطع أو مُقْنِع للراس

أعضاؤهم فيه الشهود وسحتهم ... نار وخازنهم شديد البأس

إن عطل اليوم الديون مع الغنى ... فغدا يؤديها مع الإفلاس

لا تعتذر عن صرفهم بتعذر المـ ... ـتصرّفين الحُذَّق الأكياس

ما كنت تفعل بعدهم لو أهلكوا ... فافعل وعدُّ القوم في الأرماس

قال المصنف محمد بن عبد الرحمٰن: قرأت أن النصيحة من الدين. وقرأت: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥]. ثم ذكر ما ورد في كتاب الله تعالى من التحذير، فبدأ بقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠].

---

(١) هو مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي أبو جعفر، شاعر هاشمي من أهل بغداد، والبياضي نسبة إلى لبس البياض، توفي سنة ٤٦٨ هـ/ ١٠٧٦ م. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢١٨، ترجمته في الكامل لابن الأثير ج ١٠، ص ٨٨ ـ ٨٩، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥، ص ١٩٧ ـ ١٩٨، ترجمة ٧١٩.

ثم ذكر نسخة كتاب كتب إلى عمر بن الخطاب، عن أهل الذمة، فقال: قال عبد الرحمٰن بن عثمان: كتبنا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في نصارى أهل الشام ومصر ما نسخته(١):

«هذا كتاب(٢) لعبد الله عمر، أمير المؤمنين، من نصارى أهل الشام ومصر.

لما قدِمتُم علينا، سألناكم الأمان لأنفُسنا وذَرَارِيِّنا وأموالِنا، وأهل ملّتِنا. وشَرْطنا على أنفسها، أن لا نُحدث من مدائننا، ولا فيما حولها، ديراً ولا كنيسةً، ولا قِرية(٣)، ولا صومعة لراهب، ولا نجدد ما خرب منها، ولا ما كان في خِطَطِ(٤) المسلمين، وأن نوسع للمارة ولبني السبيل. وأن ننزل من مرّ بنا من المسلمين ثلاث ليال، نطعمهم. ولا نأوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسُوساً، ولا نكتمُ عيناً(٥) على المسلمين. ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا نظهر شرعنا، ولا ندعو إليه أحداً. ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في دين الإسلام، إن أراد وأن نوقّر المسلمين، ونقوم لهم في مجالسنا، إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم، في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر. ولا نتسمى بأسمائهم، ولا نتكنى بكناهم. ولا نركب بالسروج(٦)، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله. ولا ننقش على خواتمنا بالعربية. وأن نجز مقادم رؤوسنا. ونلزم زيّنا حيث كنا، أن نشد الزنانير(٧) على أوساطنا، وأن لا نظهر صلباننا، ولا نفتح كتبنا في طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا نضرب بنواقيسنا، في كنائسنا، في شيء من حضرة المسلمين. ولا نخرج في شعانيننا، ولا طاغوتنا(٨). ولا نرفع أصواتنا مع موتانا. ولا نوقد النيران في طرق المسلمين ولا

(١) انظر نص كتاب عقد الذمة الذي بعثه نصارى الشام إلى عمر بن الخطاب فوافق عليه وزاد فيه صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣، ص ٣٥٧.

(٢) نص هذا العهد هو نفس نص عهد أبي عبيدة بن الجراح لأهل دمشق لما افتتحها خالد بن الوليد. انظر جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت، ج ١، ص ١٥١.

(٣) «قِلّيَّة» في صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣، ص ٣٥٧. والقلاية: من بيوت عبادات النصارى كالصومعة، وفي لسان العرب: القِلِّيَّة كالصومعة، ونقل عن ابن الأثير في حديث عمر لما صالح نصارى الشام أنه قال: كذا وردت، واسمها عند النصارى القلّاية. وهي تعريب «كلاذة». انظر المصدر نفسه ج ١٣، ص ٣٥٧، حاشية (٢).

(٤) الخطط: جمع خطة (بالكسر): وهي الأرض التي يختطها الرجل لنفسه. محيط المحيط.

(٥) «غشاً» في صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣، ص ٣٥٧.

(٦) «ولا نركب السروج» في المصدر نفسه ج ١٣، ص ٣٥٧.

(٧) هو من قبيل لبس الغيار، أي العلامة التي تميز أهل الذمة من يهود ونصارى.

(٨) «باعُوثاً» في صبح الأعشى ج ١٣، ص ٣٥٧. وهو لفظ سرياني كالاستقاء عندنا. انظر لسان العرب لابن منظور.

أسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيقِ، من جرت عليه سِهام المسلمين. ولا نطّلع عليهم في مَنازِلهم، ولا تعلو منازلنا منَازلهم. فلما أتيت أمير المؤمنين عمر بالكتاب زاد فيه: «ولا نضرب أحداً من المسلمين».

شرطنا ذلك على أنفسنا وملّتِنا، وقبلنا عليه الأمان. فإن نحنُ خالَفْنا في شيء مما اشترطناه لكم علينا، وضمنّاه عن أنفسنا، وأهل ملتنا، فلا دِيّة لنا عليكُم، وقد حلّ بنا ما حلّ بغيرنا، من أهل المعاندة والشقاق، فكتبَ عمر رضي الله عنه: امض ما سألوه، والحقّ فيه حرفين، اشترطهما عليهم، مع ما شرطوه، أنه من ضرب مسلماً عمداً فقد خلَع عهده[1].

قال عبد الرحمٰن بن عثمان: وأجمعَ العلماءُ بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على أنه متى نقض الذمي عهده، بمخالفة شرطٍ من هذه الشروطِ المأخوذة عليهم، فالإمام مخيّر فيه بين القتل والأسر. ويلزمهم مع ذلك أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس والزي، ولا يشتهرون بهم في أمر من أمور زيهم، ويشدّون الزنانير في أوساطهم. ويكون في رقابهم خواتم رصاص أو نحاس أو جرس، يدخل معهم في الحمام. وليس لهم أن يلبسوا العمائمَ والطيلسان.

وأما المرأة فتشدّ الزنار من تحت الإزار، وقيل من فوق الإزار وهو الأولى، ويكون في عنقها خاتم رصاص، يدخل معها الحمام. ويكون أحد خفيها أسود، ليبقى مشتهراً ظاهراً، والآخر أبيض.

ويركبون الحمير بالأكف، ولا يركبون بالسّروج. ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدأون بالسلام. ويلجأون إلى أضيقِ الطرقِ. ويُمنعون أن يعلو بناؤهم على أبنية المسلمين، وتجوز المساواة، وقيل لا تجوز، بل يُمنعون، ويَجعل الإمام عليهم رجلاً يكتب أسماءهم وحلاهم، ويستوفي عليهم ما يؤخذون به من هذه الشرائط، وأن زنى منهم أحد بمسلمة، أو أصابها بنكاح، برئت منه الذمة. وقال أبو هريرة: أمر أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، بهدم كل كنيسة استجدّت بعد الهجرة، ولم يبق إلا ما كان قبل الإسلام. وسيَّر عروة بن محمد، فهدم الكنائس بصنعاء. وصانع القبط على كنائسهم بمصر، وهدم بعضها، ولم يبق من الكنائس إلا ما كان قبل بعثة النبي ﷺ. هذا آخر ما لخصناه من الكتاب المذكور[2]. فلنرجع إلى تتمة حوادث سنة سبعمائة.

---

(١) قارن هذا النص مع ما ورد في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ج ٣، ص ٣٥٨. ففيه خلاف في العبارات.

(٢) أورد قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة في كتابه «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام باباً كاملاً =

ذكر وصول رسل غازان ملك التتار وما وصل على أيديهم من المكاتبة وما أجيبوا به

وفي هذه السنة، في ذي القعدة، وصل رسل غازان إلى البلاد الشامية[١]، وهم الأمير ناصر الدين علي خواجا، والقاضي كمال الدين موسى بن يونس، ورفيقهما. فوصل البريد من حلب بوصولهم. فرسم بتوجيه الأمير سيف الدين كراي المنصوري لإحضارهم. فتوجه على خيل البريد فأحضرهم إلى الأبواب السلطانية. وكان وصولهم إلى قلعة الجبل، في ليلة الاثنين، خامس عشر ذي الحجة. وأحضروا بين يدي السلطان، في عشية نهار الثلاثاء. فخطب كمال الدين خطبة في معنى الصلح، واتفاق الكلمة، ورغب فيه. ثم أخرج كتاباً نسخته[٢]: بسم الله الرحمٰن الرحيم. بقوة الله تعالى، وميامين الملة المحمدية فرمان السلطان محمود غازان.

ليعلم السلطان الملك المعظم الناصر، أنه في العام الماضي، بعض عساكرهم المفسدة، دخلوا أطراف بلادنا، وأفسدوا فيها، لعناد الله وعنادنا، كماردين ونواحيها، وجاهدوا الله بالمعاصي فيمن ظفروا به من أهلها، وأقدموا على أمور بديعة، وارتكبوا آثاماً شنيعة، من محاربة الله وخرق ناموس الشريعة فأنفنا من تهجمهم، وغرنا من تقحمهم. وأخذتنا الحمية الإسلامية، فحدتنا على دخول بلادهم، ومقاتلتهم على فسادهم. فركبنا بمن كان لدينا من العساكر، وتوجهنا بمن اتفق منهم أنه حاضر. وقبل وقوع الفعل منا، واشتهار الفتك عنا، سلكنا سنن سيد المرسلين، واقتفينا آثار المتقدمين. وافتدينا بقول الله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وأنفذنا صحبة يعقوب السكرجي، جماعة من القضاة والأئمة والثقات. وقلنا: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النجم: ٥٦ ـ ٥٨].

فقابلتم ذلك بالإصرار، وحكمتم عليهم وعلى المسلمين بالإضرار، وأهنتموهم وسجنتموهم. وخالفتم سنن الملوك في حسن السلوك. فصبرنا على تماديكم في غيّكم، وخلودكم إلى بغيكم، إلى أن نصرنا الله، وأراكم في أنفسكم قضاه. ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ

= (الباب السابع عشر) في عقد الذمة وأحكامه أو ما يجب بالتزامه، والمعروف أن ابن جماعة كان معاصراً تلك الأحداث سنة ٧٠٠ هـ انظر (الطبعة المصرية ١٩٩٢) صفحة ٤٢٦ حاشية (٢).

(١) «الديار المصرية» في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١١٠.

(٢) انظر هذا نص هذا الكتاب في السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩١٥، وتتفق روايته مع رواية ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٨، ص ١١١ ـ ١١٢. انظر أيضاً نص هذا الكتاب في السلوك ج ١، ص ١٠١٦، ملحق رقم (١٤).

ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]. وظننا أنهم حيث تحققوا كنه الحال، وآل بهم الأمر إلى ما آل، أنهم ربما تداركوا الفارط في أمرهم، ورتقوا ما فتقوا بغدرهم، وأوْجه إلينا وجه عذرهم، وأنهم ربما سيروا إلينا حال دخولهم إلى الديار المصرية، رسلاً لإصلاح تلك القضية. فبقينا بدمشق غير متحشحثين، وتثبطنا تثبيط المتملكين المتمكنين. فصدهم عن السعي في صلاح حالهم التواني، وعلّلوا نفوسهم عن اليقين بالأماني.

ثم بلغنا، بعد عودنا إلى بلادنا، أنهم ألقوا في قلوب العساكر والعوام، وراموا جبر ما أوهنوا من الإسلام، أنهم فيما بعد يلقوننا على حلب أو الفرات. وأن عزمهم مصر على ذلك لا سواه. فجمعنا العساكر وتوجهنا للقيامهم. ووصلنا الفرات مرتبقين ثبوت دعواهم، وقلنا ولعلهم وعساهم. فما طلع لهم بارق، ولا ذرَّ شارق. فتقدمنا إلى أطراف حلب، وتعجبنا من بطئهم غاية العجب. فبلغنا برجوعهم بالعساكر، وتحققنا نكوصهم عن الحرب. وفكرنا في أنه متى تقدمنا بعساكرنا، الباهرة وجموعنا العظيمة القاهرة، ربما أخرب البلاد مرورها، وبإقامتهم فيها فسدت أمورها، وعم الضرر العباد، والخراب البلاد، فعدنا بُقْيا عليها، ونظرة لطف من الله إليها.

وها نحن الآن أيضاً مهتمون بجمع العساكر المنصورة، ومشحذون غرار عزماتنا المشهورة، ومنشغلون بصنع المجانيق وآلات الحرب، وعازمون بعد الإنذار ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد سيرنا حاملي هذا الفرمان: الأمير الكبير ناصر الدين علي خواجة، والإمام العالم ملك القضاة، كمال الدين موسى بن يونس. وقد حملناهما كلاماً يشافهاهم به. فلثقوا بما تقدمنا به إليهما. فإنهما من الأعيان المعتمد عليهما؛ لنكون كما قال الله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩]. فيعدوا لنا الهدايا والتحف. فما بعد الإنذار من عاذر. وإن لم يتداركوا الأمر، فدماء المسلمين وأموالهم مطلولة بتدبيرهم، ومطلوبة منهم عند الله على طول تقصيرهم.

فليمعن السلطان لرعيته النظر في أمره. فقد قال ﷺ: «من ولاه الله أمراً من أمور هذه الأمة، واحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقرهم. احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره». وقد أعذر من أنذر، وأنصف من حذّر. والسلام على من اتبع الهدى.

كتب في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة سبعمائة بجبال الأكراد، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين.

فقرىء كتباً، ورسم بإنشاء جوابه، فكتب. وهو من إنشاء المولى القاضي علاء لدين علي ابن المولى المرحوم فتح الدين محمد ابن القاضي المرحوم محيي الدين عبد

الله بن عبد الظاهر[١]. وأعاد السلطان رسله، من غير أن تصحَبَهم رسولاً، بل استحضرهم بمنزلة الصالحية، وأنعم عليهم وجهزهم، فتوجهوا في سنة إحدى وسبعمائة.

ونسخة الجواب[٢]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، بقوة الله تعالى، وميامين الملّة المحمدية.

أما بعد حمد الله، الذي جعلنا من السابقين الأوّلين، الهادين المهتدين، التابعين لسنة سيد المرسلين، بإحسان إلى يوم الدين. والصلاة على سيدنا محمد والسلام على آله وصحبه الذين فضل الله من سبق منهم إلى الإيمان في كتابه المكنون. فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة: ١٠] بإقبال دولة السلطان الملك الناصر.

كلام محمد بن قلاوون:

«ليعلم[٣] السلطان المعظم، محمود غازان، أن كتابه ورد، فقابلناه، بما يليق بمثلنا لمثله من الإكرام، ورعينا له حق القصد، فتلقيناه منّا بسلام. وتأملنا تأمّل المتفهم لدقائقه، المستكشف عن حقائقه، فألقيناه قد تضمن مؤاخذات بأمور، هم بالمؤاخذة عليها أحرى، معتذراً في التعدي، بما جعله ذنوباً لبعض، طالب بها الكل. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

أما حديث إغارة من أغار على ماردين من رِجاله بلادنا المتطرفة، وما نسبُوه إليهم من الإقدام [على][٤] الأمور البديعة والآثام الشنيعة، وقولُهم: إنهم أَنِفُوا من تهجُّمهم، وغارُوا من تَقَحمهُم، واقتضت الحمِيَّة ركُوبَهم في مقابلة ذلك، فقد تلمَّحنا هذه الصورة التي أقاموها عذراً في العدوان، وجعلوها سبباً إلى ما ارتكبوه من طغيان. والجواب عن ذلك أن الغارات من الطَّرفين، [و][٥] لم يحصل من المُهادنة والموادعة، ما يكفُّ يدها[٦] الممتدة، ولا يفتر هممها المستعدّة. وقد كان أباؤكم وأجدادكم على ما علمتم من الكُفر والشِّقاق، وعدم المصافاة للإسلام والوفاق. ولم يزل ملك ماردين ورعيّته منفِّذين ما يصدر من الأذى للبلاد والعباد عنهم، متولِّين كبْرَ مكرهم، والله تعالى

(١) انظر ترجمته في صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ حاشية (٤).
(٢) انظر نسخة الجواب في صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٦٥.
(٣) «فليعلم» في صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣، ص ٢٦٦.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من صبح الأعشى للقلقشندي، ج ٧، ص ٢٦٦.
(٦) «يدنا» في صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٦٦.

يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

«وحيث جعلتم هذا ذنباً، موجباً للحميّة الجاهلية، وحاملاً على الانتصار، الذي زعمتم أن همتكم به مَليَّة، فقد كان [هذا][١] القصد، الذين ادعيتموه، يتم بالانتقام من أهل تلك الأطراف، التي أوجب ذلك فعلها، والاقتصار على أخذ الثأر ممن ثار اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٢]، لا أن تقصدوا الإسلام بالجموع الملفَّقة، على اختلاف الأديان وتطأوا البقاع الطاهرة بعبدة الصلبان، وتنتهكوا حرمة البيت المقدس، الذي هو ثاني بيت الله الحرام، وشقيق مسجد رسول الله، عليه الصلاة والسلام. وإن احتججتم أن زمام تلك الغارة بيدنا، وسبب تعدّيهم من سُنَّتنا. فقد أوضحنا الجواب عن ذلك، وأن عدم الصلح والموادعة، أوجب سلوك هذه المسالك».

وأما ما أدعوه من سلوك سنن المرسلين واقتفاء آثار المتقدّمين، في إنفاذ الرسل أولاً، فقد تلمحنا هذه الصورة، وفهمنا ما أوردوه من الآيات المسطورة، والجواب عن ذلك أن هؤلاء الرسل ما وصلوا إلينا [إلا][٢] وقد دنت الخيامُ من الخيام، وناضلت السهام السِّهام، وشارف القومُ القوم، ولم يبق للقاء إلا يومٌ أو بعض يوم، وأشرعت الأسِنَّةُ من الجانبين، ورأى كلٌّ خصمه رأي العين. وما نحن ممن لاحت له رغبة راغب، فتشاغل عنها، ولا ممن يُسالم فيقابل ذلك يجفوه النفار، والله تعالى يقول: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]. كيف والكتاب بعُنوانه. وأمير المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب، رضي الله عنه، يقول: «ما أضمر إنسانٌ شيئاً إلا ظَهر، في صفحاتِ وجهِه وفلتاتِ لِسانِه».

ولو كان حضور هؤلاء الرسلِ والسيوفُ وادعةٌ في أغمادها، والأسنة مستكنَّة في أعوادها والسِّهام غير مفوّقةٌ، والأعنةُ غير مُطْلَقة، لسمِعْنا خطابهم وأعدْنا جوابهم.

وأما ما أطلقُوا بِهِ لسانَ قلمِهم، وأبدَوْه من غليظ كلِمهم في قولهم: فصبَرْنا على تماديكم في غيّكم، وإخلادكم إلى بَغْيِكم، فأيُّ صبر ممن أرسل عنانه إلى المكافحَة، قبل إرسال رسل المصالحة، وجاسَ خِلال الديار قبل ما زَعَمه من الإنذار والإعذار؟ وإذا فكروا في هذه الأسباب، ونظروا فيما صدر عنهم من خطاب، علموا العُذر في تأخير الجواب، وما يتذكر إلا أولوا الألباب.

وأما ما تحججوا به مما اعتَقدُوه من نُصرة، وظنُّوه من أن الله جعل لهم على حزبِه الغالب في كل كرةٍ الكرة. فلو تأملوا ما ظنُّوه ربحاً، لوجدوه هو الخُسران المبين.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

ولو أمعنُوا النَظَر في ذلك، لما كانوا به متفخرين، ولتحقَّقوا أن الذي اتفق لهم، كان غُرماً لا غُنماً، وتدبروا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. ولم يخف عنهم من أبلته[1] السيوف الإسلامية منهم. وقد رأوا عزم من حضر من عساكرنا، التي لو كانت مجتمعة عند اللقاء، ما ظهر خبرٌ عنهم.

فإنا كنا في مفتتح ملكنا، ومبتدإ أمرنا، حللنا بالشام للنظر في أمور البلاد والعباد. فلما تحققنا خبركم، وقفونا أثركم، بادرنا نُقدُّ أديم الأرض سيراً، وأسرعنا لندفع عن المسلمين ضرراً وضيراً، ونؤدي من الجهاد السنة والفرض ونعمل بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فاتفق اللقاء بمن حضر من عساكرنا المنصورة، وثوقاً بقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وإلا فأكابركم يعلمون وقائع الجيوش الإسلامية، التي كم وطئت موطئاً يغيظ الكفار، فكُتِب لها به عمل صالح، وسارت في سبيل الله، ففتح الله عليها أبواب المناجح. وتعددت أيام نصرتها، التي لو دققتم الفكر فيها لأزالت ما حصل عندكم من لبس، ولما قدرتم على أن تنكروها، وفي تعبٍ من يجحد[2] ضوء الشمس، وما زال الله لنا نعم المولى ونعم النصير. وإذا راجعتموهم قصّوا عليكم نبأ الاستظهار ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

وما زالت تتفق الوقائع بين الملوك والحروب، وتجري المواقف التي هي بتقدير الله، فلا فخر فيها للغالب، ولا عار على المغلوب، وكم من ملك استظهر عليه، ثم نصر، وعادوه التأييد. فجبر بعدما كسر، خصوصاً ملوك هذا الدين، فإن الله تكفل لهم بحسن العقبى. فقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وأما إقامتهم الحجة علينا، ونسبتهم التفريط إلينا، في كوننا لم نُسَيِّر إليهم رسولاً، عندما حلوا بدمشق فنحن عندما وصلنا إلى الديار المصرية، لم تزد على أن اعتددنا وجمعنا جيوشنا من كل مكان. وبذلنا في الاستعداد غاية الجهد والإمكان وأنفقنا جزيل الأموال في العساكر والجحافل. ووثقنا بحسن الخلف، لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ولمَّا خرجنا من الديار المصرية، وبلغنا خروج الملك من البلاد، لأمر حال بينه وبين المراد، وتوقفنا عن المسير، توقف من أغنى رُعْبُه عن حث الركب، وتثبتنا تثبت الراسيات ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨] وبعثنا طائفة من

---

(١) «نالته» في صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٦٨.

(٢) «من يُنكر» في صبح الأعشى، ج ٧، ص ٢٦٨.

العساكر المقاتلة من أقام بالبلاد، فما لاح لنا منهم بارق ولا ظهر. وتقدمت فتخطفت من حمله على التأخر الغرر، ووصلت إلى الفرات فما وقفت للقوم على أثر.

وأما قولهم: أننا ألقينا في قلوب العساكر والعوام، أنهم فيما بعد يلتقوننا[١] على حلب أو الفرات، وأنهم جمعوا العساكر ورحلوا إلى الفرات وإلى حلب، مرتقبين وصولنا. فالجواب عن ذلك، أنه من حين بلغنا حركتهم، جزمنا، وعلى لقائهم عزمنا، وخرجنا وخرج أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله، ابن عم سيدنا رسول الله ﷺ، الواجب الطاعة على كل مسلم، المفترض المبايعة والمتابعة على كل منازع ومسلم، طائعين لله ولرسوله في أداء فرض[٢] الجهاد، باذلين في القيام بما أمرنا الله تعالى غاية الاجتهاد، عالمين أنه لا يتم أمر دين ولا دنيا إلا بمشايعته. ومن والاه فقد حفظه الله وتولاه. ومن عانده أو عاند من أقامه، فقد أذله الله.

فحين وصلنا إلى البلاد الشامية، تقدمت عساكرنا إلى[٣] السهل والجبل، وتبلغ بقوة الله تعالى في النصر الرجاء والأمل. ووصلت أوائلها إلى أطراف حماه وتلك النواحي، فلم يقدم أحد منهم عليها. ولا جسر أن يمد [حتى][٤] ولا الطرف إليها. فلم نزل مقيمين، حتى بلغنا رجوع الملك إلى البلاد، وإخلافه موعد اللقاء، والله لا يخلف الميعاد، فعدنا لاستعداد جيوشنا التي لم تزل تندفع في [طاعة الله تعالى][٥]، اندفاع السيل، عاملين بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأما ما جعلوه عذراً في الإقامة[٦] بأطراف البلاد، وعدم الإقدام عليها، وأنهم لو فعلا ذلك، ودخلوا بجيوشهم، ربما أخرب البلاد مرورها، وبإقامتهم فيها فسدت أمورها، فقد فهم هذا المقصود. ومتى أَلِفت البلاد والعباد منهم هذا الإشفاق؟ ومتى اتصفت جيوشهم بهذه الأخلاق؟ وها آثارهم موجودة [ودعاوى خلافها بمشاهدة الحال مردودة. وهل هذا اعتماد من رمق شخص الإسلام بإنسانه؟ كيف ورسول الله ﷺ يقول: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه». وأسارى المسلمين عندهم في أشد وثاق، وفي يد الأرمن والتكفور منهم، ما يخالف ما ادعوه من إشفاق.

---

(١) «يتلقونا» في صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٦٩.
(٢) «مُفترض» في المصدر نفسه ج ٧، ص ٢٦٩.
(٣) «تملأ» في المصدر نفسه ج ٧، ص ٢٦٩.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٦٩.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٧٠.
(٦) الإقامة: الجمع إقامات. وهو ما يلزم العساكر من المؤن والعلف Dozy. Supp. Dict, Ar.

وقد كان المسلمون غزوا عسكر أبغا، وقتلوا من قتلوا من التتار، وحصل لهم التمكن في البلاد والاستظهار، واستولوا][١] على ملك آل سلجوق، وما تعرضوا لدار ولا جار، ولا عفوا أثراً من الآثار. وما حصل لمسلم منهم ضرر ولا أذى في ورد ولا صدر. وكان أحدهم يشتري قوته بدرهمه وديناره، ويأبى أن تمتد إلى أحد من المسلمين يد أضراره. هذه سنة أهل الإسلام، وفعل من يريد لملكه الدوام.

وأما ما أرعدوا به وأبرقوا، وأرسلوا به عنان قلمهم وأطلقوا، وما أبدوه[٢] من الاهتمام بجمع عساكرهم، وتهيئة المجانيق، إلى غير ذلك مما ذكروه من التهويل، فالله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وأما قولهم: وإلا فدماء المسلمين مطلولة، فما كان أغناهم عن هذا الخطاب، وأولاهم [بأن لا][٣] يصدر إليهم عن ذلك جواب، ومن قصد الصالح والإصلاح، كيف يقول هذا القول، الذي عليه فيه من جهة الله، ومن جهة رسوله أي جناح؟ وكيف يضمر هذه النية، ويتبجح بهذه الطوية؟ ولم يخف مواقع الزلل [من][٤] هذا القول وخلله، والنبي ﷺ يقول: «نيةُ المرءِ أبلغُ من عَملِه»، وبأي طريق تهدر دماء المسلمين، التي من تعرض إليها، يكون الله له في الدنيا والآخرة مطلباً وغريماً، ومؤخذاً بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وإذا كان الأمر كذلك، فالبشرى لأهل الإسلام، بما نحن عليه من الهمم المصروفة إلى الاستعداد، وجمع العساكر التي يكون لها الملائكة الكرام، إن شاء الله تعالى من الأنجاد، والاستكثار من الجيوش الإسلامية المتوفرة العدد، المتكاثرة المدد، الموعودة بالنصر، الذي يحفها في الظعن والإقامة، الواثقة بقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على عدوهم إلى يوم القيامة». المبلغة في نصر دين الله آمالاً، المستعدة لإجابة داعي الله إذ قال: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١].

وأما رسلهم، [وهم فلان وفلان][٥]، فقد وصلوا إلينا، ووفدوا علينا، وأكرمنا

---

(١) من «ودعاوى خلافها بمشاهدة الحال» إلى قوله: «لهم التمكن في البلاد والاستظهار واستولوا» غير واردة في صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٧٠.

(٢) «وما أبدوا» في صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٧٠.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٧٠.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٧١.

وفادتهم، وغزرنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم، وسمعنا خطابهم، وأعدنا جوابهم هذا، مع كوننا لم يخْفَ علينا انحطاط قدرهم، ولا ضعف أمرهم. وأنهم ما دفعوا الأفواه الخطوب إلا لما ارتكبوه من ذنوب. وما كان ينبغي أن يُرْسَل مثل هؤلاء لمثلنا من مثله. ولا ينتدب لهذا الأمر المهم إلا من يُجْمع على فصل خطابه وفضله.

وأما ما التمسوه من الهدايا والتُّحف، فلو قدموا من هداياهم حسنة، لعوضناهم بأحسن منها. ولو أتحفونا بتحفة لقابلناهم[1] بأجمل عوض عنها. وقد كان عمّهم الملك أحمد[2]، راسل والدنا السلطان الشهيد وناجاه بالهدايا [والتحف][3] من مكان بعيد. وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب، فأحسن له الجواب، وأتى البيوت من أبوابها، بحسن الأدب، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب.

والآن، فحيث انتهت الأجوبة إلى حدها، وأدركت الأنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدها، فنقول: إذا جنح الملك للسلم، جنحنا لها، وإذا دخل في الملّة المحمدية، ممتثلاً ما أمر الله به، مجتنباً ما عنه نهى، وانضم[4] في سلك الإيمان، وتمسك بموجباته، تمسك المتشرف بدخوله فيه لا المنَّان، وتجنَّب التشبه بمن قال الله عز وجل في حقهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ﴾ [الحجرات: ١٧]. وطابق فعله قوله، ورفض الكفار الذين لا يحل له أن يتخذهم حوله، وأرسل إلينا رسولاً من جهته يرتِّل آيات الصلح ترتيلاً، ويرُوق خطابه وجوابه، حتى يتلو كل أحد عند عوده ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧]. صارت حجَّتنا وحجَّته المركبة على من خالف ذلك، وكلمتنا وكلمته قامعة أهل الشرك في سائر الممالك، ومظافرتنا[5] له تكسب الكافرين هوانا، والمشاهد لتصافينا يتلو قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وينتظم إن شاء الله تعالى شمل الصلح، أحسن انتظام. ويحصل التمسك من الموادعة والمصافاة بعروة ولا انفصال ولا انفصام. وتستقر قواعد الصلح، على ما يرضي الله ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، إن شاء الله تعالى.

كتب في ثامن وعشرين المحرم سنة إحدى وسبعمائة[6].

---

(١) «لقابلناها» في المصدر نفسه ج ٧، ص ٢٧١.
(٢) المقصود هنا أحمد تكدار. انظر ما سبق.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٧١.
(٤) «انتظم» في صبح الأعشى، ج ٧، ص ٢٧١.
(٥) «والمظافرة» في صبح الأعشى، ج ٧، ص ٢٧٢.
(٦) هذا الكتاب يطابق ما ورد في صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧، ص ٢٦٥ ـ ٢٧٢.

وفي سنة سبعمائة، ولي الأمير فارس الدين البكي الساقي نيابة السلطنة بحمص.

وفيها، توجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وزير الدولة ومدبّرها، إلى الممالك الشامية لكشفها، ووصل إلى المملكة الحلبية، وعاد إلى الديار المصرية، في سنة إحدى وسبعمائة، وعزل عن الوزارة في غيبته[١].

وفيها، توجه الأمير سيف الدين بكتمر الجوكان دار، أمير جاندار، إلى الحجاز الشريف؛ وتصدق بصدقات عظيمة. فيقال إنه أنفق في هذه السفرة خمسة وثمانين ألف دينار عيناً[٢].

وفي هذه السنة، توفي الأمير عز الدين أيدمر الظاهري؛ وهو الذي ناب عن السلطنة بالشام، في الدولة الظاهرية والسعيدية، وكانت وفاته برباطه بجبل الصالحية، في يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول ودفن هناك رحمه الله تعالى[٣].

وفيها، توفي الشيخ زين الدين عبد الرحمٰن ابن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، أخو قاضي القضاة بدر الدين. وكانت وفاته بحماه في سابع شعبان. وكان رجلاً صالحاً ديناً خيراً. ومولده في شهور ربيع الأول سنة سبع وعشرين وستمائة رحمه الله تعالى.

وفيها، توفي الأمير عز الدين أيبك كربي الظاهري بدمشق، في عاشر ذي القعدة، ودفن بسفح قاسيون. وكان من أعيان أمراء الشام، مقدمي الألوف. وورثه بناته، وأخوه الأمير بدر الدين بكتوت العديمي المنصوري[٤].

كمل الجزء الحادي والثلاثون من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب،
يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السفر الثاني والثلاثين
واستهلت سنة إحدى وسبعمائة للهجرة النبوية.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل

---

(١) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩١٧.
(٢) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩١٧.
(٣) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩١٧.
(٤) انظر السلوك للمقريزي، ج ١، ص ٩٢٨.

المصادر والمراجع

(١) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار لحسن باشا، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.

(٢) الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٢.

(٣) أزهار الأفكار في جواهر الأحجار للتيفاشي، تحقيق د. محمد يوسف حسن، ود. محمود بسيوني خفاجة، مركز تحقيق التراث، ١٩٧٧.

(٤) الاعتبار لأسامة بن منقذ الشيزري. تحقيق الدكتور قاسم السامرائي دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ١٩٨٧.

(٥) إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٨.

(٧) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٨٢.

(٨) بلدان الخلافة الشرقية، لسترانج ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٤.

(٩) بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني، القاهرة ١٣٣٠ هـ.

(١٠) تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل لأحمد السعيد سليمان، دار المعارف بمصر ١٩٧٩.

(١١) تاريخ ابن الفرات لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، المطبعة الأميركية، بيروت ١٩٤٢.

(١٢) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، تحقق عبد القادر أحمد طليمات دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ١٩٦٣.

(١٣) تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب، ٣ أجزاء. تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢ ـ ١٩٨٦.

(١٤) تشريف الأيام والقصور لابن عبد الظاهر، تحقيق مراد كامل ومحمد علي النجار، منشورات وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة.

(١٥) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، ١٩٨٤.

(١٦) تقويم البلدان لأبي الفدا، باريس ١٩٤٠.

(١٧) التواريخ الهجرية لمحمد مختار باشا، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ١٩٨٠ م.

(١٨) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين لابن دقماق، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب ط ١، ١٩٨٥.

(١٩) جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، تأليف أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت.

(٢٠) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين السيوطي (١ ـ ٢) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨.

(٢١) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة لابن الفوطي ـ دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٨٧.

(٢٢) خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار) للمقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد) مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ. ومطبعة بولاق ١٨٥٤. ودار صادر بيروت.

(٢٣) دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، إصدار أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد، القاهرة.

(٢٤) الدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغري بردي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة جامعة أم القرى ١٩٨٣.

(٢٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني تحقيق محمد سياد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦.

(٢٦) دول الإسلام للذهبي مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٥.

(٢٧) ذيل مرآة الزمان لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني ٤ أجزاء الهند ١٩٦١.

(٢٨) ذيل تاريخ دمشق لأبي يعلى حمزة بن القلانسي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨.

(٢٩) الروض المعطار في خبر الأقطار، تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق الدكتور إحسان عباس. مكتبة لبنان ١٩٨٤.

(٣٠) زبدة كشف الممالك وبنيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهري، باريس ١٨٩١.

(٣١) السلوك لمعرفة دول الملوك لأحمد بن علي المقريزي، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢، ١٩٥٦.

(٣٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩.

(٣٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا لابن العباس أحمد القلقشندي، طبعة القاهرة، وطبعة دار الكتب العلمية ١٩٨٧.

(٣٤) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (١ ـ ٦) المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٤.

(٣٥) العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٠.

(٣٦) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان تأليف بدر الدين محمد العيني، حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨.

(٣٧) العلاقات السياسية بين المماليك والمغول لجوزيف نسيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

(٣٨) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٣.

(٣٩) القاموس الجغرافي للبلاد المصرية لمحمد رمزي.

(٤٠) قضاة دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام) لشمس الدين ابن طولون، دمشق ١٩٥٦.

(٤١) قوانين الدواوين لابن مماتي، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة ١٩٤٣.

(٤٢) كامل الصناعة في الطب للمجوسي، مطبعة بولاق ١٩٢٤/١٨٧٧ م.

(٤٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار صادر، بيروت ١٩٧٩ م.

(٤٤) كنز الدرر، وجامع الغرر لأبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١ هـ.

(٤٥) المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٤٦) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل، تحقيق الدكتور، جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٠.

(٤٧) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٥١.

(٤٨) المخصص لابن سيده، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

(٤٩) معجم الأدباء لياقوت الحموي، القاهرة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨.

(٥٠) معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية لأنيس فريحة، مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٧٢.

(٥١) معجم لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.

(٥٢) معجم محيط المحيط لبطرس البستاني، بيروت، ١٨٧٠.

(٥٣) معجم القاموس المحيط للفيروزأبادي، القاهرة ١٩٥٢.

(٥٤) معجم البلدن لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٠.

(٥٥) مقدمة ابن خلدون، القاهرة، ١٩٣٠.

(٥٦) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي تأليف يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب المصري، ١٩٨٦.

(٥٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم تأليف أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي. مطبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ.

(٥٨) الموسوعة الفلسطينية، دمشق ١٩٨٤.

(٥٩) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢. (١٦ جزءاً).

(٦٠) نخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن الأكفاني، نشر الأب أنستاس ماري الكرملي، القاهرة ١٩٣٩.

(٦١) نظم دولة سلاطين المماليك للدكتور عبد المنعم ماجد. جزءان، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧.

(٦٢) الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق هلموت ريتمر ط ٢ ١٩٨١.

(٦٣) الوسيط في شرح القانون المدني لعبد الرزاق السنهوري ١٩٦٠.

(٦٤) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان ١٩٧٢.



فهرس المحتويات